الدكتــور
محمد رمزي أحمد فواز

نزهة العلماء في بستان أبي الصهباء

الطبعة الأولي

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م



مطبعة الشمس – شبين الكوم

بسم الله الرحمن الرحيم

- قال تبارك وتعالي

" من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم منْ قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا "

- وقال جل ذكره

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلي الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين "

- وقال عز شأنه :

" وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين "

صدق الله العظيم

- وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

" لأن يهدي الله علي يديك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس "

صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم

الإهداء

- إلي والديّ رحمهما الله تعالي ، وجعل الجنة مثواهمــا ، الذين دفعا بي إلي رحاب الأزهر المعمور .
- إلي كل استاذ علمني حرفا بداية من شيخ كتاب قريتي .
- إلي كل من له فضل عليّ قل أو جل .
- إلي زوجتي البارة التي حظيت منها بكل رعاية ومعاونة
- إلي كل رجلٍ أو إمرأةٍ تعمل في حقل الدعوة الإسلامية
- إلي الباحثين عن معــالم الطريــق ، ومنــارات الهــدي الموصلة إلي مرضاة ربهم .
- إلي الذين يفتخرون برجال الــدعوة إلــي الله تعــالي ، ويمشون علي دربهم ، ويتلمسون خطاهم .
- إلي أولادي الأعزاء :

محمــد ــ ومريم ــ وصالح ــ وحمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجــلال وجهك وعظيم سلطانك ، والصلاة والسلام عل من لا نبي بعده ، وعل آله وأصحابه والتابعين وتابعي التابعين ، ومن تعهم بإحسان إلي يوم الدين ..

وبعـــــــــــــد

فإني أقدم لكم أيها القراء الأعزاء في هذا الكتاب شخصية فذة ، ذات أثــر بالغ في الحياة الإسلامية ، وبخاصة في حقل الدعوة إلي الله تعالي ، فهو مثال يحتذي ، وقدوة صالحة ، ومثل فريد ، ينبغي أن نضعه أمام أعيننا ، وهو معلم من معلم الهدي والنور ، ومنارة من منارات الإســلام التــى تهدي الحياري في دياجير الظلام ، وتأخذ بأيدينا نحو انوارها الكاشفة إلي الطريق الوصلة إلي مرضاة الله عز وجل ..... سلك هذا الرجــل ســبيل الهدي والرشاد وخاض غمار الحياة بحلوها ومرها ، جاهد في الله وفــي سبيل الله تبارك وتعالي باللسان والسنان ، تعلم وعلم ، تربي وربّي ، اتعظ ووعظ ، احتسب واُحتُسب ، فكم له من أيادي بيضاء مشرقه ، وبصــمات بارزة ،في اللنصح والتربية والتعليم والدعوة ، كم وقف أمام الأعداء لصد هجماتهم ، لم يجرؤ العدو أن ينفذ من ثغرة يقف فيها هذا البطل الأبي ، وكم اندحر أمامه من أعداء في معارك ضارية ، كان سخيا كريما ، نــديا سمحا ، لينا مع أسرته الكريمة ومع المسلمين ، لم يكن فظا غليظا فــي أسلوبه الدعوي .... نأي بنفسه عن الخوض في غمار الفتن الداخلية

ووجه كل جهده إلي إصلاح الفرد والمجتمع والنصح والنصيحة ، ومقارعة الأعداء ..... عاش كريما ومات شهيدا ، كما كانت له دعوات مستجابات ، وكرامات باهرات ، إنه عبقري من عباقرة الدعوة الإسلامية ، ورجل من رجالاتها الأبرار وعلم من معالمها المشرقة ، وعالم من علمائها المخلصين ، ورجل فريد ، قلما يجود الزمان بمثله ، وإذا سألتم عن إسم هذا الرجل فهو : الداعية المجاهد ، الزاهد العابد الطاهر النقي ، التقي النقي الورع : صلة بن أَشْيَم وكنيته أبو الصهباء ، ولعل الكثير والكثير لايعرف عنه شيئا ، ولا عن زوجته التقيه ابارة : معاذة العدويه . وما هذا الكتاب إلا صفحة من صفحات حياة هذا الرجل ، وقطرة من فيض عطاءه ، نتكشف فيها عن جانب من جوانب عظمة هذا الرجل ، فهو جدير بالبحث والدرس والمطالعة ، ونحن في أمس الحاجة وبخاصة في زماننا هذا إلي التنقيب في تراثنا الإسلامي لإبراز رجالات الدعوة ، ونشر سيرتهم أمام النشيء والشباب ، حتي يكون المثل والقدوة والعفة والطهارة والصلاح والإصلاح شاخصة أمام الجميع ، فعلي منوالهم ينسجون ، وفى طريقهم يمشون ، وعلي طريقهم يسيرون ، وعلي خطاهم يمضون حتي يفوزوا بالرضا والرضوان ويخلد ذكراهم التاريخ والزمان وتصل بهم السفينة في النهاية إلي شاطيء الأمان وحسن الختام .

هذا وقد جعلت هذا الكتاب تحت عنوان :

(نزهة العلماء في بستان أبي الصَّهْبَاء)

وضمنته ثمانية مباحث :

- المبحث الأول : نشأة وتربية أبي الصهباء
- المبحث الثاني : عبادته وأسلوبه في الدعوة
- المبحث الثالث : ليلة عرسه
- المبحث الرابع : الدعاء المستجاب وأبو الصهباء
- المبحث الخامس : الكرامة وأبو الصهباء
- المبحث السادس : الجهاد وأبو الصهباء
- المبحث السابع : أبو الصهباء يحتسب ولده
- المبحث الثامن : معاذة العدوية

وأتوجه إلي الله عز وجل وأسأله خاشعا متضرعا مبتهلا إليه : أن يتقبل مني هذا الجهد ، وأن يكتب له القبول ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن يكون ضمن زادي يوم لا ينفع مال ولا بنون ...

سيبقي الخط بعدي في الكتاب وتبلي الـــيد مني في التراب
فياليت الـــــذي يقـــــرأ كتابي دعا لي بالخلاص من الحساب

الفقير الي الله تعالي
د/ محمد رمزى أحمد فواز
الأستاذ المساعد بكلية
أصول الدين والدعوة بالمنوفية

المبحث الأول

نشأة وتربية أبي الصهباء

ويشتمل علي سبع نقاط :

النقطة الاولي : نسبه

النقطة الثانية : الحوادث المعاصرة له

النقطة الثالثة : موقفه من هذه الحوادث

النقطة الرابعة : طلبه للعلم

النقطة الخامسة : شيوخه

النقطة السادسة : تلاميذه

النقطة السابعة : سنة وفاته

النقطة الأولى : نسبه

هو صلة بن أشيم بن عبد مناة بن أد بن طانجة بن إلياس بن مضر، من بني عدى من أهل البصرة ، ويكنى أبا الصهباء . [1]

وبعد البحث المضني في مراجع كثيرة ، لم أقف على سنة مولده ..

الثانية : الأحوال المعاصرة لأبي الصهباء :

عاش أبو الصهباء في زمن اجتاحت فيه الفتن ، والخلافات ، وهبت على الأمة ريحاً عاصفة عاتية ، وهاجت أموا ج الإحن و المحن .. وباتت حصون المسلمين الداخلية مهددة .. فتن تموج وتجوب البلاد عرضا وطولاً كموج البحر المتصل ، ومعارك ضارية وشرسة .. وقتا ل عنيف ، ليس بين المسلمين وخصوم الإسلام بل بين بعضهم البعض .. وكادت الفتوحات الإسلامية تتوقف.. وأصبحت ثغور المسلمين مفتوحة أمام الأعداء .. كل ذلك نتيجة الطمع في خلافة المسلمين .. وشهوة السلطة .. وأيضا خروج فرق من هنا وهناك ، ولكل فرقة أغراضها ووسائلها .. ومفاهيمها .. بل وظهور غلاة من هذه الفرق ، وخروجها عن المنهاج المستقيم لتفسير القرآن الكريم ، ومحاولات كثيرة لتأويل معانيه وفق الأهواء والنزوات التي تخدم كل فرقة وكل جماعة .. وكذلك محاولة السطو على الخلافة ممن لا يستحقها ، وليس لها أهلا .. كل هذه الأحوال والظروف وهى من الخطورة بمكان ، داء مر وقتال يفتك بالأمة .. بلا جدال .. ومنذ مقتل سيدنا عثمان بن عفان .. توالت على الأمة ضربات قاسية من ذلك مثلا : ما كان بين سيدنا معاوية وسيدنا على رضي الله عنهما . وما كان من مقتل سيدنا الحسين ، وما كان من ظهور الشيعة ، ووقعة الحرة المريرة سنة ثلاث وستين ، وما كان من الثأر لمقتل سيدنا الحسين ، والمعارك الضارية بين بني أمية وسيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .. وأيضا ظهور الأزارقة

---

[1] - انظر الطبقات الكبرى ، بن سعد ١٣٤/٧ دار صادر بيروت وانظر الطبقات ، خليفه بن حياط ١٥٢٨، بدون

والخوارج ، ومقتل عبد الله بن الزبير ، وقسوة الولاة .. كل هذه الأحداث والأحوال عاصرها سيدنا صلة بن أشيم[١]

النقطة الثالثة : موقف أبي الصهباء من هذه الحوادث:

عاش أبو الصهباء – رضي الله عنه – هذه الحوادث المؤلمة ،وعاصر هذه الأحوال المفجعة . من تسلط ، وفتن ، وظلم ، واقتتال بين الجماعة المسلمة ، و تناحر وصراع على السلطة ، وشدة الحكم – ولكل وجهة– وبروز وظهور رءوس الفرق المختلفة ... عاش هذه الظروف القاسية والمريرة . والتي تفجع قلب كل مؤمن غيور على دينه وعلى أمة الإسلام ، و لكنه نظر بعينه الثاقبة ، وقلبه البصير ، وبعد نظره ، وراقب الأحداث عن كثب ، وأدرك ببصره وبصيرته تلك الحقيقة الهائلة .. أن الانغماس فيها لا يجدي ، ولا يثمن ولا يغني ، وليس الاقتتال بين المؤمن وأخيه فيه نفع أو أدني فائدة للإسلام ، ولا من مصلحة المسلمين ، إنه يدمر ولا يعمر ، ويوقف المد الإسلامي وانسياحه في ربوع الدنيا .. وأبى الرجل الفطين إن يكون طرفا ، أو منحازا إلى إحداها من قريب أو بعيد ، والبعد عن هذا المستنقع الآسن غنيمة ، وسلامة له وللإسلام والمسلمين ، فنأى بنفسه وأهله عنها ، وابتعد عنها كل البعد[٢] ، اللهم إلا ما كان موقفه من الحرورية ...[٣] ومع ابتعاده وبعده عن هذه الفتن الداخلية ، والتي أضرت بأمة الإسلام آنذاك ، إلا أنه لم يقف متفرجا ، أو أغلق بابه على نفسه بل اتخذ لنفسه منهاجا خاصا ، فكان يترصد رايات الجهاد في سبيل الله تعالى ويتحرك معها ، فإذا علم أو وجد جيشا نفر لميدان الجهاد ضد خصوم الإسلام هبّ الرجل ، وذهب معه أينما كانت وجهته ، ولو تناءت به الديار.. وكان يرى إن هذا هو الميدان الحقيقي للقتال وهو ميدان الأبطال والشجعان ، وميدان

---

[١] انظر هذه الأحداث ، البداية والنهاية بن كثير ٢٢٣/٤ وما بعدها

[٢] هناك من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ هذا الموقف ولعله اقتدى بهم

[٣] سيأتي بيان ذلك إن شاء الله

الشرف والشهادة والرجولة ، وهو الميدان الذي يخلص وينفذ منه للآخرة ومرضاة الله عز وجل ، وليس الاقتتال بين الأصحاب بعضهم بعضا .. وهكذا كان التوفيق حليفه ، عندما سدده الله تعالى ، وأرشده لهذا الطريق المستقيم في اختيار اجل وأنبل وأشرف وأعظم أجرا .. في ميدان الجهاد في سبيل نصرة دين الله تعالى .. ونشره ورفع راياته في آفاق الدنيا ، وذلك بنقل الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان .. مهما كانت التضحيات ، حتى ولو كانت بالنفس والولد وهذا ما سوف يتضح بمشيئة الله تعالى فيما بعد .

النقطة الرابعة: طلبه للعلم

إن للمال طلابا ، وللمناصب طلابا ، وإن للشهرة والسمعة طلابا وإن للدنيا بما فيها من شهوات وإغراءات طلابا ، وإن للشيطان طلاباً ، وإن للآخرة طلابا ، وإن لطريقها طلاباً ، ولطلاب الآخرة سبلا ، منها يطرقون أبوابها ، عساها تفتح لهم ، ويحظون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن أقوم الطرق الموصلة للآخرة طلب العلم .. العلم النافع الذي ينفع صاحبه ، وينفع الآخرين دنيا ودينا ، وسيدنا صلة كان طالبا لأجل وأشرف العلوم والمعارف ، فقد تنقل – وهو تابعي – بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم منهم – كما سبق– كما تلقى عنهم دروسا تربوية في غاية النفاسة من حيث الأسلوب والهدف .. والشغف بنشر الإسلام وذيوعه .. وأخذ عنهم المثل والقدوة في كل مناحي الحياة .. واختار لنفسه هذا النوع من العلم .. وتخصص في حفظ القرآن الكريم وعلومه ، وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة أصحابه ، وتلقى منهم : كيف تكون العبادة الخالصة لله تعالى ، كما تعلم منهم الدعوة إلى الله تعالى والأسلوب الأمثل والأقوم والمجدي والمؤثر فى النفوس ، والمحبب إلى القلوب ، والجاذب للأرواح .. والأخذ باللين وبالأيدي الحانية بالمدعو . وميدان الدعوة كما هو معلوم من أجل وأشرف الميادين على الإطلاق . كما يتلقى من الصحابة

جرعات كافية لحب الجهاد في سبيل الله في ميادينْ القتال ، ومنازل الأعداء ، حتى لا يعيثوا في أرض الإسلام فساداً . فتعلم منهم الجهاد باللسان والسنان .. كما هو شأن العلماء العاملين .. وأخذ عنهم بيان الطرق التي يسعى الإنسان من خلالها على رزقه ، وتعلم منه القناعة والرضــــا بالكفاف والزهــــد ، وأخذ عنهم أيضـــاً : الرضـــا بقضاء الله وقدره ، والصبر على مصائب الدنيا .. واحتساب الأخ والابن عند الله تعالى [1] ....الخ ، وهكذا تنتقل أبوالصهباء بين رياض الصالحين ، واستنشق عبير الصحابة رضوان الله عليهم .. حتى صار مثلاً يحتذى ، وعالماً تشد له الرحال ..يعلم ، ويربى ، وينصح ، ويهذب .. حتى صارت بذكره الركبان ... وصار علما من أعلام الهدى والنور ، ومنارة من منارات الإسلام المضيئة ... وصاحب منهج فريد في الدعوة إلى الله تعالى .. كما سيتضح فيما بعد .. كل ذلك بعد أن عاش طالباً ربانياً .. عرف للعلم حقوقه من صبر ، وتواضع ، وفهم وإدراك ، وحرص عليه ، وحفظه ، وصيانته .. وكما عرف للعلم حقه كذلك عرف للعلماء حقوقهم من تقدير و توقير، واحترام وتبجيل ، ووفاء ٠ وبعد أن امتلأ علما اخذ يفيض على طلابه علما مما علمه الله تعالى ... جاءه احد طلاب العلم – وهو أبو السليل – وقال : أتيت صلة العدوى فقلت له : علمني مما علمك الله عز وجل ، قال : – أي صلة– أنت اليوم مثلي أو نحوى ، حيث أتيت أصحاب رسول الله عليه وسلم فقلت لهم : علموني مما علمكم الله تعالى ، فقالوا : أنتصح للقران الكريم ، وانصح للمسلمين ، وأكثر من دعـــاء الله تعالى ما استطعت ، ولاتكن قتيل العصا ، قتيل عمية .. أو قتيل آل فلان و آل فلان [2] ٠ وهذا كلام غال ونفيس فالانتصاح للقرآن الكريم معناه تلقي ما جاء في القرآن الكريم بالقبول والرضا والعمل بمقتضـــاه دون ما تباطؤ أو تسويف .. وإذا انتصح المسلم للقرآن فعليه بالتالي

---

[1] ستأتي إشارات مشرقة لكل هذا إن شاء الله تعالى

[2] انظر التاريخ الكبير البخارى ٣٢١/٤ ، وانظر حليه الاولياء ٢٢٧/٢ لأبى نعيم ٠٠ وقتيل العصا والعميه من العماء وهى الضلالة كالقتال فى العصبيه والأهواء وقتيل ال فلان أو ال فلان تفسير وتوضيح لقتيل العمية انظر هامش المرجع السابق الصفحة نفسها

أن ينصح به المسلمين بل وغير المسلمين ، قاصداً إرادة الخير لهم ، والإخلاص في دعوتهم إلى الله تعالى .. وإذا فعل ذلك بالقرآن ، فعليه بالتالي مثل ذلك في السنة المطهرة .. أما الإكثار من الدعاء إلى الله تعالى فهو من أجل الطرق الموصلة إلى مرضاة الله تبارك وتعالى .. كما أنه يورث الصلة الدائمة بالخالق على كل حال .. واللجوء إليه تبارك وتعالى في أوقات الشدائد والملمات .. وقتيل العمية ، وقتيل آل فلان وآل فلان – كما سبق – قتيل العصبية والأهواء والأغراض الدنيوية بأشكالها المختلفة وهو ما يرفضه الإسلام تماماً .. وقد امتثل سيدنا أبو الصهباء بهذا النهج القويم بالتمام والكمال .. فانتصح للقرآن الكريم ، ونصح للمسلمين ، وكانت حياته كلها مرتبطة بتعاليم الإسلام ، وكان لاجئاً لربه في كل أحواله ، وثيق الصلة به وكان لسانه رطباً دائماً باللجوء والدعاء إلى الله تعالى ، وظهرت على يديه كرامات وأحوال – كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى – ونأى الرجل بنفسه وأهله عن الخوض في الفتن التي وقعت في زمانه ، ولم يقترب منها قط وأخذ العهد على نفسه أن لا يتورط في القتال مع آل فلان أو آل فلان ، أو هذا الفريق ، أو هذا الفريق .. وسيأتي الميدان الذي قاتل وقتل فيه وهو ميدان الشرف والرجولة ، ألا وهو ساحة الجهاد ، وقتال خصوم الإسلام ، وقد طبق كل ذلك بالقول والعمل والقدوة ، وقد اقتدى به تلاميذه ورواده ..وهكذا أثمر طلبه للعلم أجل وأينع الثمرات ..

النقطة الخامسة : شيوخه :

لأبى الصهباء صلة بن أشيم أساتذة من أجل الأساتذة ، وشيوخ من أنبل الشيخ ، وعلماء من أتقى العلماء وأعلاهم كعباً ومنزلة ، لم تر الدنيا لهم نظير ولا شبيها على وجه الإطلاق ، وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم الذين تلقوا الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة ، وهم الذين تلقوا كذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين طبقوا ونفذوا تعاليم القرآن المجيد ، وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين شرفهم

الله تعالى برؤية الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانوا نجوما سائرة في سماء دنيا الناس ، يهدونهم سبل السلام ، وهم الشموس الزاهرة التي تشرق على كل الآفاق ، يهدون الحيارى ، وفوق ذلك كله هم الذين زكاهم الله تعالى في كتابة الكريم ، كما زكاهم النبي الكريم في أحاديثه الشريفة .. ومن أجل مبتغى طالب العلم وأكرم نعمة ينالها ، أن يمنحه الله تعالى أساتذة أجلاء ، نبلاء ، أتقياء ، كرماء ، علماء عاملين ، مخلصين ، مجاهدين ، أسوة حسنه ، عيونهم على طالب العلم ، يوجهونه ، وينمون فيه حب العلم ومدارسته ، يربونه على أعينهم ، يشدون من أزره ، كل ذلك في حلم وبشاشة .. وصبر ، لأن طريق العلم شاق وطويل ، بل لانهاية له .. ويعدونه إعدادا طيباً لمستقبل الأيام : عالماً ، و معلماً ، ومجاهداً ، وصابراً ، وحليماً ، وكريماً ، يربى الأجيال من بعدهم ، كما تربوا على يد من سبقهم ويحمل الراية من خلفهم ، إذا خلوا و أفضوا إلى خالقهم ويكون خير خلف لخير سلف ... وهكذا تبقى معالم الهدى واضحة ، ونهر العلوم متدفق ، والنور مشرق في سماء الدنيا ، والإسلام في قلوب واعية أمينة .. على أصوله محافظة ، وعلى فروعه راعية .. لقي سيدنا صلة ابن أشيم من هؤلاء الشيوخ الشوامخ الكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشمر عن ساعد الجد ، ولم يترك هذه الفرصة الذهبية تفلت ، فذهب إليهم وكان اللقاء المبارك بين تلميذ نجيب ، وعلماء أنجب ، فعلى أيديهم تربى ، ومن رحيقهم تغذى ، ومن علومهم شرب وارتوى ، وتعلم وتأدب .. حتى صار علما من أعلام الدعوة الإسلامية يؤرخ له المؤرخون ، ويكتب عنه أصحاب السير والتراجم ، لإبراز علمه وسيرته ، وورعه ، وزهده ، وصبره ، وأسلوبه في الدعوة ، وشجاعته ، وجهاده ، حتى صار هو الآخر قدوة طيبة ، به يحتذي و يقتدي ، وصدقت فيه مقولة خير خلف لخير سلف .. ويكفى هنا فقط أن أذكر أن أحد شيوخه الأجلاء الذين أخذ عنهم أبو الصهباء سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو من

هو من الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والتقوى ، والصلاح ، وهو أشهر من أترجم له هنا ، حتى لا نطيل[١]

النقطة السادسة : تلاميذه ومنهم ثابت البنانى :

أخذ سيدنا صله بن أشيم العلم عن نخبة ممتازة من أجلاء الصحابة – كما سبق – فامتلأ علماً ، وصار عالماً فذاً ، ومُعلماً ، ومَعْلماً من معالم طريق النور والهداية ، كما صار أحد العلماء النبلاء بين الناس ، بل سلطاناً من سلاطين العلم بين العلماء ، يرشد ، ويوجه ، ويربى ، ويعلم ، يهدى الحيارى ويخرجهم من أضابير الجهالة ، ويدعو الناس بأسلوب هين لين ، وأثمرت دعوته وأينعت ، وأسفرت عن تلاميذ عباقرة ، سمعت بهم الدنيا ، وصاروا من بعد صلة علماء ممتازين صاروا هم الآخرين أعلاما من أعلام الدعوة ، ومن تتبع الذين رووا عن أبي الصهباء فى كتب التراجم يجدهم كثيرين ، أذكر منهم : أهله معاذة – زوجه –[٢] والحسن ، وحميد بن هلال ، أو العلاء بن هلال ، وأبو السليل القيسى[٣] وبن عون ، وفضيل بن زيد ، وثابت البنانى وغيرهم كثير[٤] ، وأتناول هنا ترجمة موجزة عن واحد منهم وهو :

ثابت البناني : هو أبو محمد ثابت بن اسلم البنانى

أحد أئمة التابعين بالبصرة ، كان من العباد ، وكان شغوفا بالصلاة ، وبخاصة التهجد بالليل ، وكان يهيم بها ، ويرى أنها أفضل القربات إلى الله تعالى وله أقوال كثيرة في هذا الشأن من ذلك قوله : الصلاة خدمة الله في الأرض ، لو علم الله عز وجل شيئاً أفضل من الصلاة لما قال : " فنادته الملائكة وهو قائم يصلى بالمحراب "[٥] وقال : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعمت بها عشرين سنة . وقال : كان رجل من العباد يقول :

---

١ انظر ترجمة في البداية والنهاية ابن كثير ٨٤٧/٤
٢ ستاتى ترجمة موجزة خاصة بها ان شاء الله تعالى فى نهاية الكتاب
٣ اسمه ضُريب بن نظير
٤ انظر سير اعلام النبلاء ، الزهبى ٤٩٧/٣
٥ سورة ال عمران اية ٣٩

إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم ، فلا أنام الله عيني ، قال جعفر – الراوي عنه – كنا نرى ثابتاً إنما يعنى نفسه .. وقال : لا يسمى عابد أبداً عابدا ، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه الخصلتان : الصوم والصلاة ، لأنهما من لحمه ودمه ... ومن شغفه بالصلاة وحبه لها ، وهيامه بها ، لأنها الطريق الصحيح المقرب إلى طريق الصالحين ، كان يدعو ويقول : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك أن يصلى لك في قبره فأعطني ذلك ... وكان رضوان الله عليه : يصلى قائماً حتى يعي فإذا أعيبى جلس فيصلى وهو جالس ، ويحتبى في قعوده ويقرأ ، فإذا أراد أن يسجد وهو جالس فتح حبوته .. وقال : شيبان بن جسر عن أبيه قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البنانى لحده ومعي حميد الطويل – أو رجل غيره – فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلى في قبره ، فقلت للذي معي : ألا ترى !! قال : اسكت . فلما سوينا عليه ، وفرغنا ، أتينا ابنته ، فقلنا لها : ما كان عمل أبيك ثابت ؟ فقالت : وما رأيتم ؟ فأخبرناها . فقالت : كان يقوم الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحر ، قال في دعاءه : اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة فى قبره فاعطنيها ، فما كان الله ليرد ذلك الدعاء ... وكان رضى الله عنه مواظباً على قراءة القرآن الكريم ، وله ورده اليومي منه ... وكان يقول : ما تركت فى مسجد الجامع سارية إلا وقد ختمت القرآن عندها ، وبكيت عندها ... وكان لا يمر بمسجد إلا دخل وصلى فيه ... وكان كثير البكاء طمعاً فى رحمة الله تعالى ، ولعلمه أن عبادته وذكره لله تعالى قليل قليل على نعم الله تعالى عليه ، وكذلك خوفاً من عذاب الله تعالى ... قال حماد بن زيد : رأيت ثابتاً البنانى يبكى حتى أرى أضلاعه تختلف ... وعن جعفر بن سليمان قال : اشتكى ثابت البنانى عينيه ، فقال له الطبيب : اضمن لى خصلة تبرأ عيناك ، فقال وما هى ؟ قال : لا تبكى . قال : وما خير فى عين لا تبكى ... وقيل لثابت : يقولون : ليس بعينك بأس إن لم تكثر البكاء !! قال : فما أرجو بعينى ... وعبد الله بن احمد بن حنبل قال : حدثني أبى قال : بلغنى أن أنسا قال لثابت : ما أشبه عينيك

بعينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يبكى حتى عمشت عيناه ... وكان رضى الله عنه يتبع الجنائز فما يرى إلا متقنعاً باكياً ، أو متقنعاً متفكرا ... وكان يقول : ما أكثر أحد ذكر الموت إلا روى ذلك فى عمله ... وكان رضى الله عنه يوقر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لحبه لهم ... لشرفهم وتشريفهم باكتحال عيونهم لمشاهدة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهم بعد ذلك أساتذته وشيوخه ... ومن صور توقيره واحترامه لهم ما حدثت به جميله مولاة انس قالت : كان ثابت إذا جاء ، قال انس : يا جميله ، ناوليني طيبا أمس به يدي ، فان ابن أم ثابت لا يرضى حتى يقبل يدى ، ويقول : قد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وكان رضى الله عنه إذا علم بمريض ذهب إليه وعاده واخلص له الدعاء ، وابتغى بذلك وجه الله تعالى ، فعن ابن شوذب قال : ربما مشينا مع ثابت، فإذا عدنا مريضا بدا بالمسجد الذي فى بيت المريض فركع فيه ثم يأتي المريض ... وكان رضى الله عنه يمشى فى حاجة المسلمين ، ولا يرضى الانطواء ، فكان يعيش مع الناس وللناس ويسعى بكل جهده فى قضاء حاجاتهم ومصالحهم مستعينا بالله تعالى فى كل ذلك ... من ذلك مثلا : استعان رجل بثابت البنانى على القاضى فى حاجة ، فجعل لا يمر بمسجد إلا نزل فصلى حتى انتهى إلى القاضى ، وقد ختمت القماطر [1] ، فكلمه فى حاجة الرجل فقضاها ، فاقبل ثابت على الرجل فقال له : لعله شق عليك ما رأيت قال : نعم ! قال : ما صليت صلاة إلا طلبت إلى الله تعالى فى حاجتك ... كما كان رضوان الله عليه له مواعظ متعددة ومؤثرة ، اذكر منها طرفا : فى إحدى مجالسه لطلابه ومريديه : قال عن رجل من العباد – وكان يورى – ويقصد بذلك نفسه قال يوما لإخوانه : أنى لأعلم حين يذكرنى ربى ، قال – الراوى – : ففزعوا من ذلك ، فقالوا له : تعلم حين يذكرك ربك !! قال : نعم ! قالوا : ومتى ؟ قال : إذا ذكرته ذكرنى [2]

---

١ القماطر جمع قِمطْر بكسر القاف وفتح الميم وهو الحبل أو الخرقة واشى الذى تصان فيه الأوراق والكتب انظر المعجم الوجيز ط ١٤١٣ د مجمع اللغة العربية

٢ وهذا صحيح وثابت بالقران واسنه ... مع مراعاة ان الكافر والفاجر والفاسق اذا ذكر الله ، ذكرهم الله بلعنته .

قال : وإني لأعلم حين يستجيب لى ربى • قال : فعجبوا من قوله ... قالوا : تعلم حين يستجيب لك ربك عز وجل !! قال : نعم ! قالوا : وكيف تعلم ذلك ؟ قال : إذا وجل قلبى ، واقشعر جلدى ، وفاضت عيناى وفتح لى فى الدعاء ، فثم أعلم أن قد استجيب لى • قال : فسكتوا ... وقال ذات مرة لأحبابه يزهدهم فى الدنيا : كان رجل عاملاً للعمال ، فجمع ماله فجعله فى سارية ، فلما حضرته الوفاة ، أمر به فنثر بين يديه ، فجعل يقول : يا ليتها كانت بعرا ، يا ليتها كانت بعراً ... وذات مرة ألقى عليهم هذه الخاطرة : أي عبد أعظم حالاً من عبد يأتيه ملك الموت وحده ، ويدخل قبره وحده ، ويوقف بين يدي الله تعالى وحده ، ومع ذلك ذنوب كثيرة ونعم من الله كثيرة ... وقال فى مجلس علم مرة • كان داوود عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله ، فلم تكن ساعة من الليل إلا وإنسان من آل داوود قائم يصلى ، قال فعمهم الله تعالى فى هذه الآية " اعملوا آل داوود شكرا وقليلٌ من عبادي الشكور " [1] ... وقال : كان داوود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله عز وجل تخلعت أوصاله لا يشدها الأسر [2] ، وإذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت ... وقال : بلغني أنه ما من قوم جلسوا مجلساً فيقومون قبل أن يسألوا الله الجنة ، ويتعوذوا بالله من النار ، إلا قالت الملائكة :- المساكين أغفلوا العظيمين ... هذا وقد أورد أبو نعيم فى الحلية عدة أحاديث رواها ثابت عن مجموعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... منهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وشداد بن أوس ، وأنس بن مالك ، وأكثر الرواية عن سيدنا أنس ... وأخذ عنه جماعة من التابعين منهم عطاء بن أبى رباح ، وقتادة ، وأيوب ، ويونس بن عبيد ، وسليمان التيمي ، وحميد ، وداود بن أبى هند ، وعلى بن زيد بن جدعان ، والأعمش وغيرهم كثير ... رضى الله عن الجميع ... وكانت له أحوال ومقامات أذكر منها قوله : كنت إلي جنب سرادق مصعب بن الزبير فى مكان لا

---

١ سورة سبأ ١٣

٢ أى الشد والعصب

تمر فيه الدواب ، وقد استفتحت " حم ٠تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ٠ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب " [١] .

فإذا رجل قال لما قلت : غافر الذنب ، قال : قل : يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي ، قال قلت : يا غافر الذنب اغفر لي ، ولما قلت : وقابل التوب ، قال : قل : يا قابل التوب أقبل توبتي ، فلما قلت : شديد العقاب قال : قل : يا شديد العقاب أعف عن عقابي ، قال : والتفت يميناً وشمالاً فلم أر أحداً ..... وعند وفاته رووا عنه أشياء طيبة ، مما يجعل نفسه مطمئنة إلى لقاء الله تعالى ٠ من ذلك مثلاً : أن المبارك بن فضالة قال : دخلت على ثابت البنانى فى مرضه وهو فى علوله ، وكان لا يزال يذكر أصحابه ، فلما دخلنا عليه ، قال : يا اخوتاه لم أقدر أن أصلى البارحة كما كنت أصلى ، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ، ولم أقدر أن انزل إلى أصحابي فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم ... ثم قال اللهم إذا حبستني عن ثلاث فلا تدعنى فى الدنيا ساعة ، أو قال : إذ حبستني أن أصلى كما أريد ، وأصوم كما أريد ، وأذكرك كما أريد ، فلا تدعني فى الدنيا ساعة فمات من وقتة رحمة الله .... وفى اللحظات الأخيرة وهو يودع الدنيا ، ويخرج منها ويدخل الآخرة قال ابنه محمد : ذهبت ألقن أبى وهو فى الموت لا إله إلا الله فقال : يا بنى دعني فإني فى وردى السادس أو السابع هذا هو ثابت البنانى – رحمة الله تعالى – وجمعنا معه فى الجنة ، وما نقلت عنه إلا القليل مما ذكرته كتب التراجم وهذا هو أحد تلاميذ صلة ابن أشيم رضى الله عنهم جميعا .. هذا وقد قال الذهبي أن سيدنا ثابت البنانى مات سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقيل سنة سبع وعشرين ومائة [٢]

---

[١] أول سورة غافر

[٢] انظر في كل ماسبق عن ثابت البناني : تارخ الاسلام للذهبي ٤٦٥/٣ دار الغد العربي ط ١٩٩٦ م ٠ انظر الحلية لأبي نعيم ١٩٧/٢

النقطة السابعة : سنة وفاته

اختلف أصحاب السير والتراجم والتواريخ حول السنة التي مات فيها سيدنا صلة بن أشيم . فقد قيل : أنه قتل سنة خمس وثلاثون هجريه وهو ابن مائة وثلاثين سنة [١] ، أقول : وهذا خطأ كبير ، لأنه لو كان كذلك فيكون قد أدرك الجاهلية ، ويكون من المخضرمين ، ولعده المؤرخون وأصحاب السير والتراجم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلهم – تقريبا – مجمعون على أنه تابعى ، غير أنه من كبارهم ... وقيل أنه قتل سنة خمس وسبعين فى أول خلافة الحجاج بن يوسف على العراق ... وقيل : قتل فى ولاية يزيد بن معاوية ، ولم يحددوا سنة الوفاة [٢] وقيل قتل سنة اثنتين وستين [٣] ، وهذا فى آخر ترجمة لسيدنا صلة ، وإن كان قد ترجم له – أى الذهبي – ضمن ما ترجم للأعلام من سنة ثمان وستين إلى سنة سبعين ، ولم يحدد سنة الوفاة خلال هذه المدة ، وهذا تخبط واضح ... وقد ذكر بن كثير فى ترجمته لسيدنا صلة أنه استشهد سنة ست وسبعين من الهجرة [٤] وهذا التاريخ هو المعول عليه ، لأن كثير من العلماء المحققين مضوا على أنه استشهد سنة ست وسبعين والله أعلم .

---

١ انظر : الاصابة فى تمييز الصحابة بن حجر العسقلانى ٤٦٣/٣ ، دار نهضة مصر
٢ انظر كتاب الثقات بن حبان ٣٨٣/٤ ، والتاريخ الكبير . البخارى ٣٢١/٤
٣ انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبى ٤٩٧/٣ دار الغد العربى
٤ البداية والنهايه ، بن كثير ٢٣/٥ ، دار الغد العربى

المبحث الثاني

عبادته وأسلوبه في الدعوة

ويشتمل علي سبع نقاط

أولا : المنهج القرآني

ثانيا : المنهج النبوي

ثالثا : أسلوبه في الدعوة إلي الله تعالي

رابعا : من فقه مشهد قرآني

خامسا : نماذج من دعوة الصحابة

سادسا : قصة اسلام الطفيل وقومه

سابعا : سيدنا صلة علي الدرب يسير

أولا : المنهج القرآني

أدرك سيدنا أبو الصهباء المعاني الجليلة من القرآن الكريم والتي تدلل صراحة على ربط المسلم بخالقه ، من خلال العبادات التي فرضها الله على المسلمين من صيام وصلاة وزكاة وحج وجهاد فى كل ضروب الحياة ... إلا إن سيدنا صلة لم يتوقف ويكتفي بما فرض على المسلمين بل رغب فى المزيد من القرب إلى خالقه عز وجل ، وذلك بما تعبد به مولاه عباده من نوافل • وأسوق هنا نموذجاً واحداً من هذه النوافل وهو : النوافل فى الصلاة ••• أدرك سيدنا أبو الصهباء قول الله تعالى " وما خلقت الجن والإنس ألا ليعبدون • ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون • إن الله هـو الرزاق ذو القوة المتين " [١] ... وأدرك مرامي قوله عز وجل "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالو سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما " [٢] ، وأيضا قولـه جل ذكره " إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون • تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون •فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون "[٣] ... وأدرك تمام الإدراك قولـه جل وعلا " أمن هو قانت أناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه • قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون • إنما يتذكر أولوا الألباب "[٤] ••وكذلك قوله جل ذكره " إن المتقين في جنات وعيون •آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين •كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبا لأسحارهم يستغفرون " [٥] إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التي توضح طريق القرب من الله تعالى •• لا بالفرائض وحدها ، بل بالنوافل كذلك ...

---

١ سورة الذاريات الايات ٥٦:٥٨
٢ سورة الفرقان الايات ٦٣،٦٤
٣ سورة السجدة الايات ١٥،١٦،١٧
٤ سورة الزمر الايه ٩ •
٥ سورة الذاريات الايات من ١٥:١٨

ثانياً : المنهج النبوي .

تتطابق السنة مع القرآن فى كل شئ ويتفقان كل الاتفاق · ومن هذا اتفاقهما فى منهج العبادة والتى يتقرب بها المسلم إلى الله تبارك وتعالى سواء أكان هذا التقرب بالفرائض والمواظبة عليها أم بالنوافل ... فكما بين الله تعالى الطريق المستقيم إليه ، وكيفية التقرب إلى رضاه ، وأثنى سبحانه على التهجد والمتهجدين بالعبادة ... كذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الطريق القويم ... فقد طبق ونفذ الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء فى الذكر الحكيم ... وذكر أحاديث كثيرة فى هذا الشأن ليحببه إلى نفوس الصالحين ، ويفتح لهم طريق الرقى والسمو والصعود إلى أعلى الآفاق والدرجات ... من ذلك مثلاً "عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى قال : من عاد لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ومازال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألني أعطيته ، وإن استعاذني أعذته " [١] الحديث . وكتب السنة ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أحاديث كثيرة سواء أكانت قوليه أم فعلية في تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك مثلاً " عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حتى تزلع – يعني تشقق قدماه– " [٢] ...

" وعن المغيرة بن شعبة قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكورا " [٣] ...

---

١ أخرجه البخاري فى كتاب الرقائق باب التواضع ٢٨٧/١١ ،ط الثانية ١٤٠٢ دار احياء التراث العربى بيروت· مع فتح البارى

٢ أخرجهما النسائى فى كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢١٨/٣

٣ أخرجهما النسائى فى كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢١٨/٣

" وعن عبد الله رضى الله عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء ، قلنا : وما هممت ؟ قال : أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وسلم " [١] ... والأحاديث في هذا الأمر كثيرة سمع أبو الصهباء كل هذا ... ثم رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصالحين والعابدين من خيار هذه الأمة ، وهم يتقربون إلى بارئهم جل ذكره ، وهو سبحانه صاحب الفضل والنعم ، وهم مهما عبدوه لن يصلوا إلى شكره على نعمه وفضله ... لكن اجتهدوا كل الاجتهاد وبذلوا كل جهدهم فى سبيل نيل رضاه ، وهو جل شأنه كريم يجزى على القليل والكثير ... فسهروا الليل فى ذكره وشكره ... والوقت عندهم محسوب ... وليس عندهم وقت ضائع فيما لا يفيد وينفع ... بل الغريب والعجيب لدينا في أيامنا هذه أن نجد الصحابة وكبار التابعين ، وكذلك الصالحين لم يكن لهم فراش يعدونه للنوم ، بل كانوا في شغل أخر ، وهو محاولة الفوز في هذه الدنيا لدرجات الآخرة ، قال سعيد مولى عبد الله بن حنظلة : لم يكن لعبد الله بن حنظلة فراش ينام عليه ، وإنما كان يلقى نفسه إذا أعيا من الصلاة ، يتوسد رداءه وذراعه [٢] ... وكان سيدنا سعيد بن المسيب رضى الله عنه قد صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين عاماً [٣] .

سمع أبو الصهباء ورأى كل هذا سواء فى المنهج أو التطبيق العملي ... فشمر الرجل عن ساعد الجد ، وجد واجتهد ، وانطلق بإيمان راسخ ، وعقيدة ثابتة ، وعزيمة صادقة يبتغى الخير والفوز والفلاح ، وأمامه المثل والقدوة ... فلم لا يرتع فى هذه الرياض اليانعة ولم لا يعمل للآخرة ، وهى الحياة الباقية التي يبتغيها ويطلبها الصالحون ، ولم لا ينغمس فيها ، ويعيش لها ، وتكون هي كل أمله ورجاءه ومبتغاة ٠٠ وقد كان الرجل صادقاً مع نفسه عندما نوى وخطط لنفسه منهاج حياته ... فتروى كتب السير والتراجم أن أبا الصهباء كان شغوفاً بالعبادة والتقرب إلى ربه عز وجل ، فكان صواماً قواماً ، ذاكراً لله تبارك

---

١ أخرجه البخاري فى كتاب : العيدين باب طول القيام فى صلاة الليل ١٥/٣

٢ نظر الإصابة فى تمييز الصحابة ، بن حجر ٢١٩/٤ وسير اعلام النبلاء ، الذهبى ٣٢/٣

٣ انظر الموطأ الامام مالك ، فى صلاة الليل ص ٩٤

وتعالى ، يتهجد طوال الليل (فعن معاذة – زوجته – قالت : كان أبو الصهباء يصلى حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً)[١]... وهكذا آثر أبو الصهباء أن يحي ليالي عمره بالتقرب إلى خالقه ، وولى نعمه ، لينال رحمته وفضله ، ويسعد بالدار الآخرة ٠ وأبى الرجل كل الإباء أن يضيع وقته – وقد علم أنه سيحاسب عليه – وسيأتي إن شاء الله تعالى دعوته للشباب إلى ذلك ... كما سيأتي ما يثير إعجابك ، بل ما يدهشك نتيجة إحياء الليالي فى طاعة الله تبارك وتعالى ...

ثالثاً: أسلوبه فى الدعوة إلى الله تبارك وتعالى :

إن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى من أجل الأعمال ، وأفضلها على وجه الإطلاق ، وإن العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، لهم أنبل الناس في دنيا الناس ٠ فهم فى رياض الدعوة يرتعون ، من رحيقها ، العذب الطهور يرتشفون ، ومن عبيرها الذكي يستنشقون ... وبها يسعون إلى أخرتهم للقاء ربهم ، خاشعين متواضعين ... والذي جذبهم إلى حقل الدعوة تزكية الله تعالى لهم ، فقد قرأوا وسمعوا قول الحق وهو يناديهم ويخبرهم بقوله تعالى " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين "[٢] كما تم الانجذاب الكامل حين سمعوا وقرأوا قول الحق تبارك وتعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر "[٣]٠ والآيات في هذا كثيرة ... ثم إن العمل الدعوى هو رسالة صفوة خلق الله تعالى ولو لم تكن الدعوة أجل الأعمال على وجه الإطلاق لما اختار الله تعالى صفوة الناس وخلاصتهم إليها ... " الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميعٌ بصير "[٤] ولما كان ذلك كذلك فالداعي إلى الإسلام له فضله ومقامه ومنزلته عند الله تعالي ما أخلص

---

١ انظر سير أعلام النبلاء ٤٩٧/٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣٦/٧ ، البداية والنهاية بن كثير ٢٣/٥ ، وقال : ٠٠٠٠٠يأتى فراشه حبوا

٢ سورة فصلت الآيه ٣٣

٣ سورة ال عمران ايه ١١٠

٤ سورة الحج الايه ٧٥

للدعوة ، وبذل فيها النفس والنفيس ... وقد جاءت أحاديث كثيرة تقرر أن العمل فى ميدان الدعوة من أجل وأرقى وأطهر الأعمال ، والتى يتقرب بها الداعى إلى ربه ، من هذه الأحاديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه " يا على لأن يهدى الله بك رجلا واحد خير لك مما طلعت عليه الشمس " [1] ... وقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له " [2] ...

وعن أبى مسعود الأنصاري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أُبدِع – بضم الهمزة وكسر الدال – بي – أي أصبح منقطعاً – فاحملني . فقال : ما عندي . فقال رجل : يا رسول الله أنا أدله على من يحمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من دل على خير فله مثل أجر فاعله " [3] ...

" وعن جرير بن عبد الله قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم " [4] ... هذا والأحاديث في هذا الأمر كثيرة ، وكلها تشحذ الهمم في مجالات فعل الخير ، والميادين التي تعود على المسلمين بالنفع والفائدة ، وبخاصة في مجال الدعوة الإسلامية ، والإخلاص لها ، برجاء الفضل و الثواب من رب العالمين ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون . والدعوة إلي الله تبارك وتعالى لها وسائل كثيرة ومتنوعة ، ويمكن للداعية الذكي الفطن أن يختار منها ما يناسبه ، ويتناسب مع المدعو ووقته ومكانه ، فهناك الكتابة : سواء في الكتب أو المجلات أو الصحف أو الرسائل أو مجلات الحائط ، أو اللافتات الخ ... وهناك المثل والقدوة ، وهناك اللقاءات الفردية والجماعية ، وهناك المشافهة : مثل الخطابة والمحاضرات ، والدروس والندوات ، ولكل من هذه الوسائل خصائص وقواعد ينبغي دراستها ومراعاتها ، وهناك المجادلة بالتي هي أحسن ،

---

١ رواه بن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ١٢٢/١ وعزاه الى الطبرانى فى معجمه الكبير
٢ أحرجه مسلم فى كتابه الوصية ، باب : مايلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته ٨٥/١١ عن ابى هريرة -
٣ أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة ، باب : إغاثة الغازى فى سبيل الله ٤١/٦
٤ أخرجه مسلم فى كتاب الايمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ٣٩/٢ .

وهناك وسائل الإعلام الحديثة مثل التلفاز والمذياع والهاتف والرحلات والأقمار الصناعية ... الخ لو أسلمنا كل هذه الوسائل ، وأذيع من خلالها مبادئ الإسلام وقيمه ... فالداعية الجاد المخلص يختار من هذه الوسائل ما يناسبه ويبرع فيها ، وتتمشى مع شخصيته وثقافته وقدراته العلمية ، فإذا أتيحت له إحدى هذه الوسائل وكان لها أهلا ... اندفع إليها وبث من خلالها دعوة الإسلام ... ولكن عليه أن يختار الأسلوب الأمثل ، والمؤثر ، والجاذب للمتلقي أو السامع أو القارئ ، ويكون أسلوبه هيناً لينا ، حتى تثمر دعوته وتأتي بالنتائج المرجوة التي يبتغيها ، والمردود الذى يرجوه من وراء دعوته .

والقرآن الكريم وجهنا هذه الوجهة ، وعلمنا إياها وأرشدنا إليها ، وألح على الدعاء بالأخذ بها ، لأن الله تبارك وتعالى اعلم بخلقه وبنفوسهم ، و الأساليب التي تستميلهم وتجذبهم ، وهى في الوقت ذاته محببة إلى النفوس ... ولنسوق هنا مثالاً واحداً: إن الله تعالى أرسل سيدنا موسى عليه وعلي جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام إلى فرعون ، وكان معه أخوه سيدنا هارون ، وكان من توجيه الله تعالي لهما ما ذكره الله تعالي لنا في محكم التنزيل وذلك في قوله تعالي " اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ◦ اذهبا إلى فرعون إنه طغي ◦ فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى "[1] والقول اللين هو القول اللين السهل اللطيف الذي من ثماره الانقياد والاستجابة له[2]... ومن وسائل القول اللين : أن يأتي الداع إلى المدعو بسكون ووقار وخشوع ، وان يظهر له مدى حرصه عليه ، وقلبه مفعم بحب انعتاقه من الجهل الذي به ، وخلاصه منه ... ومعلوم أن عكس اللين وضده الخشونة والفظاظة والتعالي ... وهو ما يسفر عن نفور المدعو ولاشك ... والإسلام يبغى الخير للبشرية جمعاء ، فكانت كلمته حتى لأعتى العتاة وأطغى الطغاة ... بالقول اللين ... وللعلامة بن كثير _رحمة الله تعالى-- كلام طيب حول معنى القول اللين ... وأنقل منه بعضه فقال حول قوله

---

١ سورة طه الايات ٤٢، ٤٣ ، ٤٤

٢ انظر المعجم الوجيز ص ٥٧٠ ، ط وزارة التربية والتعليم بمصر ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م

تعالى " ولا تنيا فى ذكرى " (قال على ابن ابى طلحة عن ابن عباس : لا تبطئا ، وقال مجاهد عن ابن عباس : لا تضعفا ، والمراد : أنهما لا يفتران فى الله تعالى ، بل يذكران الله تعالى فى حال مواجهة فرعون ، ليكون ذكر الله عونا لهما عليه ، وقوة لهما ، وسلطانا كاسرا له ، كما جاء فى الحديث . إن عبدى كل عبدي الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه[1] وقوله " اذهبا إلى فرعون انه طغى " أى : تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى "هذه الآية فيها عبرة عظيمة ،وهو أن فرعون فى غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاش عند قوله " فقولا له قولا لينا يا من يتحبب إلى من يعاديه ... فكيف بمن تولاه ويناديه ... والحاصل من أقوالهم : أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل ،ليكون أوقع فى النفوس وابلغ وانجح)[2]

رابعا : من فقه المشهد القرآني

أولا : أن يقدم الداعية دعوته مدللا عليها بالحجج والبراهين اليقينية للمدعو حتى يقتنع بها ، وقد حدث هذا في قولـه تعالى " اذهب أنت وأخوك بآياتي " ومعنى الآيات هنا الحجج والبراهين والأدلة والمعجزات ، والأخيرة خاصة بالأنبياء ، كما هو معلوم ٠

ثانياً : أن يقتحم الداعية حصون العتاة والطغاة ، وقلاعهم ... وبقدم لهم دعوته ... فإن فرعون قد بلغ من طغيانه وجبروته واستعلائه مالا يبلغه جاهل من الجاهلية وقد ذكر القرآن الكريم صوراً من ظلمه وجبروته وطغيانه من ذلك مثلا قولـه تعالى " إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين"[3]

---

١ رواه الترمذي في كتاب : الدعوات ، باب ١١٩ ، رقم ٣٥٨٠ وقال : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وليس اسناده بالقوي ، ط دار احياء التراث العربى بيروت

٢ تفسير القران العظيم ١٥٣/٣ دار الفكر العربي

٣ سورة القصص اية ٤

وقولــه تعالى " ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون "[١] . قال بعض المفسرون قولــه " وهذه الأنهار تجري من تحتي " أي تجرى بأمري ، والمعنى أن الأنهار جميع الأنهار تجرى وتفيض وتقف وتنخفض بأمره ، وهذا قمة التيه والغرور والاستخفاف بعقول الناس ... وكذلك قولــه " وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب "[٢] . إلا أن قمة طغيان فرعون ، وعتوه ، وجبروته وتكبره أن نطق وادعى الربوبية . بعد أن بين له الداعية -سيدنا موسى- كل الحجج والبراهين والمعجزات قال تعالى " اذهب إلى فرعون إنه طغى . فقل له هل لك إلى أن تزكى . وأهديك إلى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى . فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى . إن في ذلك لعبرة لمن يخشي "[٣] ومع هذه الصور من التجبر والطغيان والاستعلاء مع كل هذا لم يمنع الداعية – سيدنا موسى – أن يذهب إليه ويبلغه دعوة ربه ، ولا يخشى في الله لومة لائم...

ثالثا : على الداعية إلى الله تعالى أن يواجه مدعويه بانبساط وبقلب مفتوح ، وحرص كامل عليهم ، ويقدم لهم دعوته في أسلوب لين ممزوج باليسر والرفق ، واللين ، والحكمة والموعظة المؤثرة ، والمجادلة بالتي هي أحسن حتى تفرز دعوته الاستمالة ، وتلقى الرضا والقبول والاستجابة ... فعلى الداعية أن يتحلى أسلوبه باللباقة والكياسة والفطنة ... وإلا فما معنى قــولــه تعالى " وقولوا للناس حسنا "[٤] وقوله تعالى " وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا "[٥] !! وقوله تعالى " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

---

١ سورة الزخرف ايه ٥١
٢ سورة افر الايتان ٣٦ ، ٣٧
٣ سورة النازعات الايات ١٧ - ٢٦
٤ سورة البقرة اية ٨٣
٥ النساء اية ٦٣

حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين "[١] . والآيات في هذه كثيرة في الذكر الحكيم ... ولو تتبعنا ذلك لطال بنا المقام ، وبخاصة أساليب رسل الله تعالى في دعوتهم ... ولنأخذ من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أساليبه الرقيقة واللينة – وكلها كذلك – قال عتبة بن ربيعة : –ما يؤكد هذا المعنى – يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلمه ، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا بن أخي : انك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة ، والمكانة في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى حتى اعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل : يا أبا الوليد اسمع ، قال : يا ابن آخى إن كنت إنما تريد بما حيث به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى يكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لانقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه –أو كما قال له – حتى إذا فرغ عتبه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ! قال : اسمع منى ، قال : افعل ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حم تنز يل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون " ... فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمدا عليهما ، ليسمع منه ، حتى انتهى رسول الله صلى الله وسلم إلى السجدة فسجدها ، وفى إحدى

---

١ سورة ال عمران اية ١٥٩

الروايات قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول سورة فصلت حتى قوله تعالي " فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " وهنا قال عتبة : فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل عليكم العقاب ، ثم قال : أسمعت يا أبا الوليد ؟ قال : سمعت ، قال : فأنت وذاك ، ثم قام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى والله أني قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا والكهانة ولا السحر يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ،فوالله ليكونن لقولـــه الذي سمعت نبا ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملكم ، وعزه عزكم ، وكنتم اسعد الناس به ، وقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأى لكم فاصنعوا ما بدا لكم)[1] ويلاحظ : روعة اللقاء ، وقمة السمو في الأدب ، وتقدير قدر الرجل عندما قال له : قل يا أبا الوليد ، أفرغت يا أبا الوليد ، أسمعت يا أبا الوليد !!! ... لم يتشنج ولم يغضب بما نسبه إليه من رغائب دنيوية ، ولم يكفره ، ولم يتهمه بالجهل ، ولم يسخر منه ، ولم يسبه ، ويلعنه ، وفى النهاية ألقى إليه مقاليد الحكم على قيمة ما سمعه ، قمة الترقي والأدب في الأسلوب الدعوى ... وكنت السيرة والتاريخ مملوءة بهذا الأسلوب اللين السهل البليغ السديد الحسن ...

خامسا : نماذج من دعوة الصحابة •

وإذا أردنا إن نسوق مثالا آخر من أساليب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى من صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنه ، والرفق واللين ... فليكن سيدنا مصعب بن عمير وهو أول داعية من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة ، قال ابن كثير (أن اسعد بن زرارة

[1] البداية النهاية بن كثير ٧٧/٢ دار الغد العربي ، وانظر: تفسير القران العظيم ، بن كثير ٩١/٤ ، دار الفكر العربي

خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ، ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خاله اسعد بن زرارة ، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر على بئر يقال له :بئر مرق ، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال من اسلم ، وسعد بن معاذ واسيد بن حضير ، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الاشهل ، وكلامهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به ، قال سعد لا سيد : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ديارنا ، ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانههما إن يأتيا دارنا ، فانه لولا اسعد بن زرارة منى حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدما ، فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم اقبل إليهما ،فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، وقد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب إن يجلس اكلمه ، قال : فوقف عليهما متشتماً فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام أتيتنا فى دارنا بهذا الوعيد الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه ، قال بن اسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره !! قال : أنصفت قال : ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتسهله ، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أرتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فو الله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى سعد بن

زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه بن خالتك ، ليحقروك قال : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً ، تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة ، وأخذ الحربة في يده ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئا ؟ ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ، ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة ، والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رأيت هذا منى ، اتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ قال : وقد قال اسعد لمصعب : جاءك والله سيد من وراءه قومه أن اتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ، قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره • قال سعد : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن • وذكر موسى بن عقبه أنه قرأ عليه أول الزخرف ، قال فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذ أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قال تغتسل فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عائدا إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبا قال : فإن كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال : فو الله ما أمسى في دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة [١] ...

وهكذا بهذا الأسلوب اللين الطيب الحكيم الرقيق السهل تغلغل الإسلام في المدينة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ... وإن ينسى التاريخ فلن ينسى أو يغفل عما كان من الأسلوب اللين والسهل والبسيط والواضح الرقيق ما أحدثه أسلوب سيدنا جعفر بن أبى طالب مع ملك الحبشة عندما عرض عليه الإسلام ومبادئه ، مما

---

١ البداية والنهاية بن كثير ٢/١٨٠، ١٨١ ، وانظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، الذهبي ١/١٣٢ ١٣٣ ، دار الغد العربي ط أولى ١٩٩٦ م

جعل النجاشي عليه رحمة الله يدخل في الإسلام [1] والأمثلة على مثل ذلك لاتعد ، وتكاد لا تحصى ، أو إن شئت فقل : إن هذا هو الأسلوب الدعوة إلى للإسلام ، وليس سواه ... وهذا هو المطلوب بل هو الواجب في الدعوة إلى الإسلام الأسلوب اللين الرقيق والذي يراعى مشاعر الناس في الدعوة إلى أخلاق الإسلام ، وإذا كان ولابد من سياق نموذج فليكن هذا (قال الشعبي : كان جرير بن عبد الله هو وجماعة مع عمر بن الخطاب في بيت ، فاشتم عمر من بعضهم ريحا ، فقال : عزمت على صاحب هذا الريح لما قام فتوضأ ، فقال جرير أو نقوم كلنا فنتوضأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم السيد كنت فى الجاهلية ، ونعم السيد أنت فى الاسلام) [2] وأسلوب الرفق والحرص على المدعويين ، والمحاولة الجادة المخلصة لإنقاذهم من براثن الجهل ، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور العلم ، وساحة الانسجام مع الفطرة ، ويمثل هذا قصة إسلام الطفيل بن عمروا الدوسى رضى الله عنه

<u>سادسا : قصة اسلام الطفيل وقومه:</u>

قال العلامة بن كثير عنه (كان سيدا مطاعا شريفا في دوس ، وكان قد قدم مكة ، فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونهوه أن يجتمع به أو أن يسمع كلامه ، قال : فو الله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً – قطنا – فرقاً – خوفاً – من أن يبلغني شئ من قوله ، وأنا لا أريد أن اسمعه . قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قائم يصلى عند الكعبة . قال : فقمت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله . قال : فسمعت كلاماً حسناً .قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى ، إنى لرجل لبيب شاعر مايخفى علىَّ الحسن من القبيح ، فما يمنعنى ان اسمع من هذا

---

[1] انظر تاريخ الإسلام،الذهبى١/٨٣ وما بعدها.
[2] البداية والنهاية ،ابن كثير ٥٤٦/٤ أسلم سيدنا جرير عام الوفود سنة تسع ،توفى سنة ٥٠ وقيل بعدها .انظر فتح البارى ١٠٤/٧ ،والبداية والنهاية ٥٤٧/٤ .

الرجل ما يقول : فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحاً تركته .
قال فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فدخلت عليه فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا -للذى قالوا- قال فو الله مابرحوا بى يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أن اسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك ، فسمعت قولاً حسناً فأعرض علىّ أمرك ، قال : فعرض علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت يا نبى الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى ، واني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فأدع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما ادعوهم اليه . قال فقال : (اللهم اجعل له آية " فقال فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر ، وقع بين عينى نور مثل المصباح . قال : فقلت : اللهم فى غير وجهى فإنى أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم . قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى ، قال فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق كالقنديل المعلق ، ولأنا اهبط عليهم من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم ، فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخا كبيراً فقلت : إليك عنى يا أبت ، فلست منك ولست منى ، قال ولم يا بنى ؟ قال : قلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أى بنى فدينك دينى ، فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم ائتني حتي أعلمك مما علمت قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم . ثم أتتني صاحبتي -زوجته- فقلت : إليك عنى فلست منك ولست منى قالت : ولم ؟ بأبي أنت وأمي قال فرق بيني وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم . قالت فديني دينك ، قال : فقلت فاذهبي إلى حمى ذى الشرى فتطهري منه ، وكان ذو الشرى صنماً لدوس ، وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل قالت : بأبى أنت وأمى أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئاً ؟ قلت : لا أنا ضامن لذلك . قالت : فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت

فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليَّ ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت : يا رسول الله إنه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم قال " اللهم اهد دوساً " ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم ...)

ويلاحظ : مدى محاولات الأعداء للصد عن سبيل الله تعالى ، وتنفير الناس من الدعوة والداعية ، واتهامه بأشد أنواع الاتهامات ، وأفظعها

- لباقة الرجل –الطفيل – ورجاحة عقله ، وبعد نظره ، عندما قرر السماع من الداعية ، رغم صد الخصوم له ، وسمع وعقل وكان الإسلام .
- عند اشتداد وطأة الخصوم ، يشتد الداعية قرباً من ربه ويستمد القوة والعون منه سبحانه .
- الحرية الكاملة فى الدخول فى الإسلام .
- حب الإسلام ونشره أقوى من حب الوالد والوالدة والزوجة والأولاد والمال .
- إن الدخول فى الإسلام يطهر الإنسان ظاهرا وباطناً .
- على الداعية أن يبذل قصارى جهده في دعوة الناس إلى الإسلام ولا يتعجل النتائج ، فالبذرة سوف تنبت وتأتي ثمارها ولو بعد حين ، حين يأتي وقتها المقدر .
- وبدلا من دعوة الداعية على المدعوين ينبغي عليه بل ويجب الدعاء لهم .

وهذا أسلوب سامي فى الدعوة ، وأدب رفيع ، وقمة مراعاة الأحاسيس والمشاعر للمدعوين ، وعدم جرح المشاعر ، وخدش العواطف ، وعدم خذلان الرجل أمام الناس . وبخاصة أمام رفاقة وأقرانه ، فان مراعاة المشاعر يحبب الناس في بعضهم البعض ، وبخاصة يحبب المدعوين فى الداع ، ومن ثم في دعوته وهذا عكس رمى الناس بالجهل ، وتعمد جرح عواطفهم ومشاعرهم ، وخذلانهم وكشف سوءتهم أمام الناس ، وهتك أستارهم

أمام أقرانهم وأهليهم فان هذا ينفر المدعوين من الداع ، ومن ثم النفور من الدعوة ذاتها ...

رابعا : إن الداعية المخلص ، الذى يرجو رحمة ربه ، ويقوم با لواجب المنوط به نحو الدعوة...عليه أن لا يعتمد كل الاعتماد على نفسه ، وقدراته ، وقوة بيانه ، ولين أسلوبه ، وعذوبة منطقه ، بل قبل ذلك كله وبعد ه أن يستمد العون والمدد من الله تعالى ، وأن يسأله التيسير والتوفيق والهداية لمدعويه .... لان الأمور والمقادير والهداية أولا وأخيرا بقدر الله تعالى "إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " [1] وفى المشهد السابق من سورة طه ، وجدنا قول الله تعالى لموسى وأخيه هارون "اذهب أنت وأخوك بآياتى و لا تنيا فى ذكرى " ... والمعنى _كما سبق _لا تتباطأ فى التوجه إلى فرعون ، ولا تخشياه وهو جبار من الجبابرة .... ومعه العتاد والعدد والقوة ، وأنتما اثنان فقط ليس معكما مثل ما مع فرعون ... ومع هذا اذهبا إليه ووجها دعوة الإسلام إليه وواجهاه بها وبلغاه إياها ... وإذا كان الفرق ، أو الفروق بينكما وبين فرعون – فى موازين البشر – من حيث العدد والعتاد والقوة والسلطة والجاه ...الخ . غير متكافئة والغلبة في موازين العقل البشرى إذا تواجها وتقاتلا فان الغلبة دون تردد لفرعون ولا شك ... إلا أن الله تعالي وجههما لطريق النصر والغلبة ، وقلب الموازين ، وهو الاستعانة بالله تعالى ، وجعل أمر الله فى القلب وفى العين ، ولا يغفل أبدا الداعية وهو يواجه الناس ، وبخاصة لو واجه الجبابرة والطغاة من الملوك والرؤساء والزعماء ، لا يغفل الداعية ذكر الله تعالى ، فهو جل شأنه أقوى الأقوياء ، وجبار الجبابرة فلا يغلب ... فإذا ظن الداعية أن المواجهة في منتهى الصعوبة فعليه أن يكون ربه فى قلبه ، ولسانه رطبا بذكره ، وطلب المدد والعون من القوى القهار ... ولعل هذا معنى من معانى الحديث الذى سبق ذكره وهو " إن عبدي كل عبدي الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه " ...

---

[1] القصص اية ٥٦.

وقد مارست بحمد الله بعض طرق تبليغ الدعوة مع بعض الإخوان ، وكان من المنهج أن يذهب أحدهم للدعوة إلى الصلاة ، وكان أخرون مهمتهم أن يقفوا بالقرب منه وهم يذكرون الله تعالى ، وكان كثيراً ما يستجاب لهم ولعل هذا مأخوذا من هذا ... وكل هذا من الآثار الطيبة من القول اللين

خامساً : على الداعية أن يعد نفسه إعدادا جيدا لممارسة الدعوة ، ويدرس ويتعلم قبل ممارسة أساليب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، فإن قبل المشهد القرآني السابق طلب موسى عليه السلام من ربه أشياء تؤهله للقيام بتبليغ الدعوة ، ليكون لها أهلاً ، ويستطيع المواجهة ، فى تقدم الدعوة فعندما أمره ربه أن يذهب إلى فرعون قال : كما ذكر القرآن " قال رب اشرح لى صدري ويسر لى أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي • واجعل لى وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزرى • وأشركه فى أمرى "[1] فكثيرا ممن يريدون القيام بالدعوة ليس عندهم الإعداد الكافى للقيام بواجبها ، وليست عندهم دراية بأساليب الدعوة ولذلك كثيراً ما يفشلون ، ويتساقطون فى الطريق .

سادسا : وإذا اعد الداعية الإعداد المطلوب ، وتعلم ودرس فقه الدعوة ، وواجه المدعوين مهما كان بطشهم وجبروتهم ، عليه ألا يفرط في مبدأ من مبادئ موضوع دعوته مهما كانت المشاق والمتاعب وينتبه جيدا للمساومات التى قد يتعرض لها .. فسيدنا موسى عليه السلام لم يفرط فى مبدأ من مبادئ الدعوة ، و يلتقى هو وفرعون فى وسط الطريق مثلا ... بل ظل على مبادئه مهما كانت صعوبة المواجهة . ولم يفرط فى نقطه واحدة من نقاطها ... ومن يدرس سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان الثبات على المبدأ ، وعدم التفريط فى أي جزئية من جزئيات موضوع الدعوة يجد هذا موجودا فى كتب السيرة والسنة ، بل وفى القرآن الكريم • حتى ولو كان الثمن حياته ... وهكذا فليتعلم الدعاة ...

---

[1] سورة طه الايات ٢٥ : ٣٢

سابعاً : إن الدعوة الإسلامية نقية وطاهرة فى موضوعها ، وكذلك نقية ونظيفة فى وسائلها ، وهى واضحة ومفهومة وبسيطة فى فهمها وليس فيها طلاسم أو إغراءات سواء من مال أم من منصب أم من جاه أم افتخار ..الخ فدعوتنا الإسلامية أساليبها من أطهر الأساليب وأنقاها مثلها مثل مبادئها ... وكذلك ينبغي على رجالها ... لأن العقيدة أيا كانت ، أو الفكر عامة لا يمكن أن يتغلغل في القلب بالإكراه أو الإغراء ، لكن بالإقناع وبالأساليب الطاهرة وقد نبهنا الله تعالى إلى هذا في أكثر من آية " لا إكراه فى الدين " [1] ... " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " [2] ... " وإن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " [3] .. وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار وسلف الأمة ، بل وخلفها ، لم يثبت حالة واحدة حتى يومنا هذا أن دخل أحد من الناس في الإسلام بالإكراه أو الإغراء ، لأن هذا سوف ينعكس على من دخل في الدين بعد ذلك فكما دخل بالإكراه أو الإغراء في دين ما فكثيرا ما يخرج منه . ولذلك نرى اتساع رقعة الإسلام وأرضه ، ودخول الناس فيه ولا يخرج منه أحد ، والعكس صحيح في أديان أخرى يدخلونهم فيها إما بالقهر أو بالإكراه وكثير منهم يخرجون منها لأنه دخل فيها بأسلوب أو بأساليب غير شريفة ، وغير نقية ، وكلها أو أغلبها أمانى كاذبة . وسيدنا موسى عليه السلام عندما توجه الى فرعون بالدعوة لم يتخذ معه إلا الأساليب الشريفة و النقية والطاهرة ، ولم يقدم له أى إغراء

سابعاً : سيدنا صلة على الدرب يسير

وسيدنا صلة بن أشيم انطلق من هذه القواعد الثابتة – السابقة – والتى دل عليها القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة أصحابه الأجلاء ، انطلق إلى الدعوة إلى الله تعالي بعد أن تشربها ووعاها

---

١ سورة البقرة اية ٢٥٦
٢ سورة يونس ايه ٩٩
٣ سورة التوبه اية اه ٦

جيداً ومضى هو الآخر على الدرب يسير ، وأذكر هنا نموذجين من أساليبه فى الدعوة

النموذج الأول: تحكى لنا كتب السير والتراجم فتذكر (أن صلة بن أشيم وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه ، فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذا شديداً فقال صلة دعونى أكفكم أمره ، فقال : يا بن أخي إن لي إليك حاجة ! فقال وما حاجتك ؟ قال أحب أن ترفع إزارك · قال نعم · ونعمت عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة لأصحابه : هذا أمثل مما أردتم ، لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم)[١] · وأقول : قمة السمو والرقى واللياقة واللباقة في الدعوة ، ومن ثم كانت الاستجابة الفورية وبدون أدنى تردد ... ولو اقترنت دعوته بالفظاظة والقسوة والشتم والسب واللعن والتشنج لما أتت ثمارها المرجوة ، وهكذا أعطانا أبو الصهباء درساً هو الآخر ...

النموذج الثانى : قال ثابت البنانى : كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبانة[٢] فيتعبد فيها ، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق ، وناموا بالليل ، فمتى يقطعون سفرهم ؟ قال : فكان يمر بهم ويعظهم ، فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة ، فأنتبه شاب منهم ، فقال : يا قوم إنه لا يعنى بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو ونلعب ، وبالليل ننام ، ثم أتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبد معه حتى مات)[٣] إن أبا الصهباء كان يتهجد بالليل خفية عن أعين الناس ، ليظل هذا العمل بينه وبين ربه سرا مطويا _كما سبق _ وكان رضى عنه ينزعج ويغتم عندما يرى بعض شباب الأمة الإسلامية لا هيا لاعبا نهاره ، نواما ليله ، فتضيع أجمل أيام العمر فى اللهو والعبث . وهو مسئول عن شبابه فيما أفناه ،ولعلهم غفلوا عن ذلك ، فتوجه إليهم بالدعوة الطيبة ،والأسلوب العذب

---

١ حلية الأولياء ابى نعيم ٢٣٧/٢ ، ٢٣٨ ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٣/٥

٢ الجبانة والجبان بتشديد الباء المفتوحة الصحراء ، وتسمى بها المقابر لأنها تكون في الصحراء ، تسمية للشئ بوضعه وقيل ما استوي من الأرض في ارتفاع وتكون كريم المنبت ، انظر لسان العرب ابن منظور ٥٤٠/١ وقال في معجم الوجيز الجبانة : المقبرة وجمعها جبابين ، انظر المعجم الوجيز ص ٩٢

٣ حلية الأولياء ٢٣٧،٢٣٨/٢ ، وانظر البداية والنهاية ٢٣/٥

،والهمسات الرقيقة ، والقول اللين ، وضرب لهم هذا المثل الحى الواضح ، وكان هذا الأسلوب دأبه ، ومن ثم نجح نجاحا باهرا فى جذب المدعوين إليه ، وانجذبوا نحوه ، ومضوا على طريقته ، ففازوا وسعدوا فى دنياهم وأخراهم٠٠٠٠٠

المبحث الثالث

ليلة عــرس صلـــة بن أشيم

وفيه : -

أولا : حكمة الزواج

ثانيا : ضرر الإعراض عن الزواج

ثالثا : ليلة عرس سيدنا صلة

رابعا : وصايا للعروسين من المأثورات

إن التزاوج من سنن الله تعالى فى خلقه – بصفة عامة ، وبخاصة بين بني البشر ، ولو لم يكن كذلك لما كان هدى الأنبياء ورسل الله تعالى ، إذ يقول الله تعالى " ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية " [١] . وعلى ذلك فلا يعرض عن الزواج إلا من شذ ، وخرج وحاد عن الطريق السوي ، اللهم إلا أصحاب الأعذار القهرية والقصريه ...

حكمة الزواج

ما شرع الإسلام أمراً وأمر به ، ولا نهى عن شئ من الأشياء وحذر منها إلا وكانت حكم الأمر والنهى كثيرة متعددة ظهر منها ما ظهر وخفى منها ما خفى ... وحكم الزواج كثيرة ومنافعه متعددة ، وفوائده قد لا نستطيع هنا الإلمام بها ، ولكن نذكر طرفاً من فوائد الزواج وطرفاً من أضرار الإعراض عن الزواج ، تمشياً مع القول القائل : مالا يدرك كله لا يترك كله ، العمدة فى هذا قوله تعالى " والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون "[٢] ... وقوله " هن لباس لكم وأنتم لباس لهن " [٣] ... فالسكن النفسي والحسي والمودة والرحمة . بعد كون الزوج والزوجة من أصل واحد ، فهما على ذلك يتجاذبان ويتآلفان جبلة وفطرة ، والآيات فى هذا الشأن كثيرة ، وكذلك الأحاديث النبوية ... وقد ذكر العلماء المسلمين وغيرهم من عقلاء الأمم الأخرى الكثير من مقاصد الزواج وفوائده قال بن الجوزى : (له مقاصد ثلاثة : **أحدها** : حفظ النسل ، ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة والتي قدر الله تعالى بروزها إلى هذا العالم ،

الثانى : إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن

---

١ سرة ارعد اية ٣٨
٢ سورة الروم اية ٢١
٣ سورة البقرة اية ١٨٧

الثالث : قضاء الوطر ، ونيل اللذة والتمتع بالنعمة ، وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغة الإنزال "[١] وقد ذكر الإمام الغزالى للزواج فوائد خمس هى :

(الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس)[٢] وذكر عن كل فوائده كلاما طيباً ... وقال فى موضع آخر عن فوائد الزواج (ومجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل ، والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى ، منهن والسعي فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين ، والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن ، والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل ، فإنها رعاية وولاية ، والأهل والولد رعية ، وفضل الرعاية عظيم وإنما يحترز منها من يحترز خيفة القصور بحقها)[٣]

وقد ذكر الإمام أبو زهرة حكما كثيرة للزواج سواء أكانت نفسية أو اجتماعية أم دينية[٤] . ومثله ذهب الشيخ سيد سابق وقال (وحبب الإسلام فى الزواج ورغب فيه لما يترتب عليه من آثار نافعة ، تعود على الفرد نفسه _ سواء الرجل أم المرأة – وعلى الأمة جميعاً ، وعلى النوع الإنساني عامة ، والزواج هو أحسن وضع طبيعي ، وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها فى الحلال ، كما أن الزواج هو أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد ، وتكثير النسل ، واستمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب التي يوليها الإسلام عناية فائقة ... ثم إن غريزة الأبوة والأمومة تنمو وتتكامل في ظلال الطفولة ، وتنمو مشاعر العطف والود والحنان ، وهى فضائل لا تكمل الإنسانية بدونها... والشعور بتبعية الزواج ، ورعاية الأولاد يبعث على النشاط ، وبذل الوسع في تقوية ملكات الفرد ومواهبه ، فينطلق إلى العمل من اجل النهوض بأعبائه ، والقيام بواجبة ، ويندفع الى استخراج خيرات الله من الكون ، وما أودع فيه من أشياء ومنافع ،

---

١ زاد الميعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزي ٣/٢٢١ ، ٢٢٢ ط اولى ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م دار الريان

٢ إحياء علوم الدين الأمام الغزالي ٢/٢٢ عالم الكتب

٣ المرجع السابق ٢/٢٩

٤ انظر الأحوال الشخصية للإمام أبو زهرة ص ١٨ وما بعدها ط ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م

كما أنه يحدد مسؤولية الرجل خارج البيت ، ومسؤولية المرأة داخل البيت ، ويثمر الزواج أمرا أخر وهو : ترابط الأسر ، وتقوية أواصر المحبة بين العائلات ، وتوكيد الصلات الاجتماعية مما يباركه الإسلام ويعضده)[١] وقد نقل الشيخ سيد سابق تقريرا عن الأمم المتحدة مفاده أن المتزوجين اقل تعرضا للأمراض ، وأعمارهم اكبر ممن سواهم[٢] وكل هذا بخلاف بعض الملل والنحل التي تفضل الرهبنة ، وتقرر أن عدم الزواج هو الأولى والأفضل . بل إن بعض هذه الملل قد تحرمه على بعض فئات منها[٣] ...

ضرر الإعراض عن الزواج

وإذا كانت هذه بعض أسرار الزواج ، وحكمته في الإسلام ، فان العزوف عنه بدون علة أو سبب قصري يخل بتكامل شخصية الإنسان ،ويجعله عرضة للأمراض المختلفة ، وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويؤدى أيضا إلى عدم التوازن النفسي والجسمي والمزاجي ، ويعيش معتلا كئيبا ومضطربا في سلوكه وأقواله في الغالب ، ولقد قرأت أن بعض وجهاء القوم ويتصدرون مناصب قيادية غير متزوجين ، كما قرأت عن قراراتهم التي تصدر منهم وما بها من خلل وفساد كبير ، ولقد ذكر ابن القيم أضرارا كثيرة التي تلحق بغير المتزوجين منها : الوسواس ، والصرع ، والجنون ، والأمراض الرديئة ، وضعف قوى الأعصاب ، وانسداد مجاريها ، وبرود الأبدان ، وعسرت حركاتها ، ووقع عليهم كآبة بلا سبب ، وقلت شهواتهم وهضمهم[٤] ، إلى غير ذلك من شبه الإنعزاليه وعدم الانخراط في الجماعة والتعاون معها ، والترهل والكسل ،وعدم تقدير المسؤولية والقلق ، ووساوس الشيطان، وأحلام اليقظة .... الخ

---

[١] فقه السنة الشيخ سيد سابق ٢١/٦ ط الاداب (بتصرف)

[٢] انظر المرجع السابق ٦ /٢١

[٣] انظر النظام القانونى للأسرة للشرائع غير الاسلامية ، د محمد رفعت الصباحى ص ١٢٩ ، ط ١٩٨٩|١٩٩٠م

[٤] انظر زاد الميعاد ابن القيم ٢٢٢/٣

ثالثا : ليلة عرس سيدنا صله

لقد أدرك أبو الصهباء -كما أدرك المسلمون جميعا- الحكمة في تشريع الزواج وأسراره فاقبل الرجل على الزواج من أفضل وأطهر وأعبد فتاة فى زمانها وهى العابدة الصابرة التقية الورعة : معاذة العدوية ... لكن المدهش هنا أنه عند دخول أبو الصهباء على معاذة ، وفى أول ليلة من زواجهما ، لم يكن في بال أحدهما أو في خاطرهما أن الزواج ما هو إلا قضاء الوطر في ليلة العمر _كما يقال _تحت سماع الأغانى الجارحة ، والموسيقى الخافتة أو الصاخبة وبين ما لذ وطاب من الطعام والشراب وبين رنين الكؤوس ٠ والراقصات المائعات إلى أخر بدع الأفراح فى أيامنا هذه ٠٠ الخ إن الزواج عند صله ومعاذة هو شئ آخر تماما ،إنه اطمئنان كل منهما للأ خر، وظهور الاستئناس والقبول والرضا بينهما ٠٠ثم هو أولا وأخرا : أن يعين كل منهما الأخر على طاعة الله تبارك وتعالى ٠وان يبنى هذا العش على أساس متين من التقوى والورع منذ الحظه الأولى ٠وتعاهدا على هذا ، وليعلم كل واحد منهما إن مستقبل أيامهما فى محضن الزوجيه ما هو إلا إمتداد لأيام ما قبل الزواج ٠٠إن مستقبل ايامهما ، العبادة لله ، والعمل على مرضاته ،ولتكن الآخرة نصب أعينهما ،مهما مر بهما من ظروف قاسيه ،وأحوال صعبه،إ ن الآخرة عندهما هى الأمل المرتجى ، ورضا الله تعالي هو المستقبل ٠٠والعمل وفق شرع الله تعالى هو الرصيد الباقي الأبدى ، فتعاهدا العروس وعروسه على هذا منذ بداية الطريق ،وفى أول خطوة من مشوار حياتهما ٠٠ولتكن البداية طلاق الدنيا ثلاثا ، والبعد عن شهواتها ، حتى ولو كانت شهوة الرجل لعروسه ، أو شهوة العروس لعروسها من قبل اللمسه الأولى لبعضهما وقد بدا _بالفعل _الاختبار والاختيار الأول ،ومن الآن : ذكر الله تعالى ،وقراءة القران الكريم والتهجد ، وشكر الله تعالى على نعمه التى لا تعد ولا تحصى ،ومنها نعمة الزواج ٠٠ فتروى كتب السير والتراجم أن أبا الصهباء عند زواجه بمعاذة ٠ ولندع التاريخ يحكى ما رصده وسجله عن صلة وعروسه فى ليلة زفافهما قال بن كثير (لما أهديت

معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيت العروس ، بيتا مطيباً فقام يصلى ، فقامت تصلى معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأتيته فقلت له أى عم ، أهديت إليك ابنة عمك فقمت تصلى وتركتها ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار اذكرتنى به النار ،وأدخلتني بيتا آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتى فيها حتى أصبحت ، البيت الذى أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذى أذكر به الجنة هو بيت العروس أرأيت عزيزي القارئ أغرب من هذا ؟ إن العروسين هنا ليس مأربهما الوحيد قضاء شهوة عابرة لكن المأرب الأصيل هو الجنة وما فيها من نعيم – أما قضاء الوطر بين العروسين فهذا أمر ميسور ، ولذة وقتية ··· بل إن قضاء هذه الشهوة لو كانت بقصد العفاف و التحصن وطاعة الله تعالى كانت صدقة ، وانتقلت من شهوة إلى قربة ، وذلك مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " وفى بضع أحدكم صدقة " إن العروسين هنا تعالى على أنفسهما وشهوتهما ، وآثرا أن تكون البداية صحيحة ، والأساس طاهر ، والطريق واضح ، والنفس هادئة ، والعقل واعى والقلب طاهر ، ما أروع هذه البداية ، وما أجمل نهاية هذه البداية ··· إن أناساً بدؤا حياتهم هذه بالحرام من كوافير وأصباغ ، وخمر وغناء فاحش ، ورقص ،واختلاط مشين···الخ ·· إن قوما بدؤا أول ليلة في حياتهم المشتركة – ليلة العمر بمثل هذه المعاصى المنفرة والمقذذه ·· وبدل من استقبال النعمة بالشكر للمنعم ، والدعاء لله تبارك وتعالى ، والإقرار بفضله ورحمته وكرمه وتيسيره بدلا من هذا استقبلوها بالعصيان ، وغضب الرحمن ، فأنى يكون السكن والمودة والرحمة والسعادة ، والذرية الطيبة ، أنى يكون ذلك وقد أسسوا منازلهم علي الفسق والفجور ، وعلى ما يغضب الرحمن ، وبدلوا النعمة أو إستقبلوها بالجحود والنكران ·· إن على الآباء والأمهات توعية أولادهما وتربيتهما على طاعة الله ورسوله ، والبعد كل البعد عما يغضب الله ورسوله ··· حتى تنشأ الأجيال واعية ، ويحطمون تلك البدع والضلالات التى تحدث فى أفراح المسلمين ،

وكأنه لا فرق بين المسلم وغير المسلم فى مثل هذه البدع التى كادت تترسخ فى عقول أولادنا من شباب وشابات ...

رابعا : وصايا للعروسين من المأثورات :

إننى قرأت أن امرأة نصحت ابنتها عند دخولها على عروسها بنصائح طيبة افتقدناها فى عصرنا هذا – للأسف الشديد – وكان مما قالت لها :
" أى بنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال . أى بنية : إنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكاً ، واحفظى له خصالا عشر يكن لك زخراً :

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه ، وطعامه فإن تواتر ا لجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة...

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء – الرعاية – على حشمه – خدمه – وملاك – اى عماد – الأمر فى المال حسن التقدير وفى العيال حسن التدبير ...

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ، ولا تفشين له سراً ، فإنك أن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً[1] وهاك نموذج آخر دون ذكر المقدمات لعدم الإطالة " قال القاضى شريح للشعبى : فلو رأيتني يا شعبي

---

[1] فقه السنة الشيخ سيد سابق ٢٢٩/٧ وما بعدها

وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى دخلت علي !! فقلت إن من السنة إذا دخلت امرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله تعالى من خيرها ، ويعوذ به من شرها قائلاً : اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه . فصليت وسلمت ، فإذا هي من خلفي تصلى بصلاتي ، فلما خلا البيت ودنوت منها ومددت يدي إلى ناصيتها قالت : على رسلك يا أبا أمية كما أنت !! ثم قالت : الحمد لله ، أحمده ، وأستعين به ، وأصلى على محمد وآله . إني امرأة غريبة ، لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحب فأتيه ، وما تكره فأبتعد عنه ، وقالت : أنه قد كان لك في قومك منكح ، وفي قومي مثل ذلك ، ولكن إذا قضي الله أمراً كان . وقد ملكت ، فاصنع ما أمرك الله به ، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك . وقال شريح : فأحوجتني والله يا شعيب إلي الخطبة في ذلك الموضع ، فقلت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلي وأسلم على النبي وآله ، وبعد : فقد قلت كلاماً أن تثبتي عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا ، واكره كذا ، ونحن سواء ، فلا تفرقي ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، أو سيئة فأستريها قالت : وكيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قال شريح : ما أحب أن يملني أصهاري ! قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قال شريح : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء ، قال شريح فبت يا شعيب بأنعم ليلة ، ومكثت معي حولاً لا أري إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في البيت ، قلت : من هذه ؟ قالوا : فلانه ختنك فسري عني ما كنت أجد ، فلما جلست أقبلت العجوز وقالت : السلام يا أبا أمية ، قلت : وعليك السلام . من أنت ؟ قالت : فلانه ختنك ، قلت : قربك الله ، قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة ، قالت يا أبا أمية إن المرأة لاتكون أسوأ حالاتها في حالتين إذا ولدت غلاماً ، أو حظيت عند زوجها فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فو الله ما جازي الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ،

وروّضت فأحسنت الرياضة قالت : تحب أن يزوك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا قال شريح فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية . فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها إلا مرة واحدة كنت لها ظالما)[1] وذود عبد الله بن جعفر إبنته عند الزواج بهذه النصيحة (أى بنيتى :إن نزل بك أمرا فاستقبليه_أي استقبلي الله عز وجل_بأن تقولي : لا إله إلا الله الحليم الكريم،سبحان الله رب العرش العظيم،الحمد لله رب العالمين)[2] . وهناك وصايا أخر كثيرة من هذا القبيل سواء للفتي عند دخوله على عروسه أم للفتاه عند دخولها على عروسها ، وهذه الوصايا من أجمل الأشياء التي يزود بها كل منهما قد افتقدنا ها في عصريا الحاضر ... بل إن العكس قد يحدث بعد ذلك الشقان والخلاف والصراع ومالا يحمد عقباه .... ومع قيمة الوصايا السابقة التى قدمتها الأم لبنتها وزودتها بها وكذلك الآباء لبناتهم إلا أن الصالحين والأتقياء من أمة الإسلام × قد تجاوزوها بكثير . وعملوا منذ ليلة الزفاف – ليلة العمر – علي أن تكون العلاقة بين الاثنين مؤسسه على الصلة بالله تعالي ، والحب فى الله ، والعمل علي رعاية وحفظ الحقوق والواجبات المنبثقة من كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، وهما الحكم بينهما ولا شئ سواهما ... إن عروسا لو دخل علي عروسه وقاما بمثل ما قام به صلة ومعاذة في عصرننا هذا لطار الخبر شرقا وغربا وظن الناس بهما الظنون ، وتقولا عليهما الكثير ، ونالتهما الألسن ولاكتهما ، لكن فى عصر الصالحين والتابعين والسلف الصالح كان هذا قمة فى السمو والتحكم والرقي ، فلك الله يا أبا الصهباء ولك الله يا معاذة . وجزاكما الله خيرا ، فقد أعطيتما الدرس والعبرة من الزواج ، وكيف تتكون الأسرة ، وكيف تكون العلاقة بين الزوجين ؟ !! فقد صار بذكركما الركبان وتحدث الغادى والرائح .. واعتلت

---

[1] أداب الحياة الزوجية في الكتاب والسنة جمع واعداد الشيخ خالد عبد الرحمن العك ص ١٢٧،١٢٨ ،دار المعرفة الطبعة السادسة ١٤٢٠ ه ويوحى الكلام انه فيقول من كتاب المرأة في التصور الإسلامى ،عبد المتعال الجبرى ص٨٦،٨٧ مكتبة وهبة.

[2] فتح البارى ، ابن حجر ١٢٣/١١ .

ذكراكما ، المنابر وسجلت ليلتكما بأحرف من نور فى كتب السير والتراجم ، لتشرق علي الأجيال جيلا بعد جيل لتتعلم الدرس ، وتأخذ المثل والقدوة من سيرتكما الذكية .

المبحث الرابع

الدعــاء المستجاب وأبــو الصهباء

وأتناول فى هذا المبحث ما يلي

أولاً : معنى الدعاء لغة ، واصطلاحا ، وكذا معنى الاستجابة

ثانيــــا : فضـــــل الدعاء

ثالثـــاً : الدعاء فى السنة

رابعـــاً : الدعاء فى الرخاء ينفعك وقت الشدة

خامساً : الدعاء ينفع المؤمن فى الدنيا والآخرة

سادســـا : الدعاء والقدر

سابعـــاً : فرق بين أصحاب موسى وأصحاب محمد

ثامنـــاً : شروط وآداب الدعاء

تاسعـــاً : من الأدعية فى القرآن الكريم

عاشـــراً : دعـــــاء الأنبياء

حادى عشر : دعاء الصالحين

ثانى عشر : مسك الختام

إن سيدنا صلة رضى الله عنه كانت له دعوات مستجابة – ستأتى إن شاء الله تعالى فيما بعد ، كما كان كثير التضرع الى الله تعالي ، وكثيراً ماكان ينصح رواده به ٠٠٠٠

اولا : تعريف الدعاء لغة :

يقال دعوته إذا سألته ، وإذا استغثته والدعاء : مايدعى به الله تعالى من القول ، جمع أدعية [١] ٠٠٠٠

ومعنى الدعاء لله عز وجل على ثلاثة أوجه :

فضرب منها توحيده ، والثناء عليه ، كقولك : يا الله لا إله إلا أنت

والضرب الثانى : مسألة الله العفو والرحمة ، وما يقرب منه : كقولك : اللهم اغفر لنا

والضرب الثالث : مسألة الحظ من الدنيا كقولك : اللهم ارزقني مالا وولدا ٠

وإنما سمى هذا جميعه دعاء ، لأن الانسان يصدر فى هذه الأشياء بقوله تعالى ، يارب ، يا رحمن ، فلذلك سمى دعاء ٠

وفى حديث عرفة : أكثر دعائى ودعاء الأنبياء قبلى بعرفات : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ٠٠٠٠

وإنما سمى التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لأنه بمنزلته فى استيجاب ثواب الله وجزاءه [٢] ٠

والدعاء فى الاصطلاح :

هو الرغبة الى الله عز وجل ، والابتهال إليه سبحانه والتفرغ فى تحقيق المطلوب ، وادراك المأمول [٣] ٠

أما الاستجابة : فالأصل : الجواب ، وهو قطع الجوبة من الأرض ٠٠ ويكون من جبت الأرض اذا قطعها بالسير ٠٠ والاجابة والاستجابة بمعنى يقال :

---

١ انظر مفردات فى غرائب القران ، للراغب الأصفهانى ص ١٧٠

٢ انظر لسان العرب ، بن منظور ١٣٨٥/٢ والمعجم الوجيز ص ٢٢٩

٣ المرجعين السابقين الموضع نفسه

استجاب الله دعاءه ، والإسم والجواب والجابة ٠٠ وفى أمثال العرب : أساء سمعا فأساء جابة ، وأصل المثل : أنه كان لسهل بن عمرو بن مضعوف ، فقال له انسان : أين أمّك أى أين قصدك ؟ ٠٠فظن أنه يقول له أين أمك ؟ ، فقال : ذهبت تشترى دقيقاً ، فقال أبوه أساء سمعاً فأساء جابة ٠٠٠ والمصدر الإجابة ، والأسم : الجابة ٠ وفى أسماء الله تعالي المجيب ، وهو الذى يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول [1] ٠ وقال الراغب : (الاستجابة قيل هى : الإجابة ، وحقيقتها هى : التحري للجواب ، والتهيؤ له لكن : عبر به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها قال تعالى " استجيبوا لله وللرســـــول " [2] وقال تعالى " ادعونى استجب لكم " [3]) [4] ٠

وقال بن الشجرى (الكلام ينقسم فى المعانى عند بعض أصحاب المعانى الى أربعة أقسام : خبر واستخبار ، وطلب ، ودعاء فالخبر أوسعها وهو : أن يخبر المتكلم المعَلم بما يفيد معرفته ٠

والاستخبار هو : أن يطلب المستخْبر إخباره بما ليس عنده ، فأما الخطاب بلفظه إفْعل فلا يخلوا أن يكون لمن دونك أو نظيرك أو لمن أعلى منك ٠ فإن كان لمن دونك سميته أمراً ، وإن كان لنظيرك سميته مسألة ، وإن كان لله سبحانه وتعالى سميته : سؤلا ودعاء وطلبا ، وإنما اختلفت التسمية لاختلاف المخاطبين بهذه اللفظة ، لأنك تستقبح أن تقول : أمرت والدى ، كما تستقبح أن تقول : سألت غلامى) [5] وعلى ذلك فالدعاء الى الله تعالى هو : التضرع والابتهال والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى من خيري الدنيا والآخرة سؤلا وطلباً ودعاء ٠ والإجابة هى أن يتقبل الله تعالى دعاء عبده ، ويعطيه سؤله إن عاجلاً أو آجلا ٠٠٠

---

[1] لسان العرب ٧١٦/١

[2] سورة الأنفال ايه ٤

[3] غافر ايه ٦٠

[4] المفردات ، الراغب ص ١٠٢

[5] كتاب الامالى ، بن الشجرى ٤٢٤/١ ، تحقيق ودراسة د/ محمود محمد الطناحى مكتبة الخانجى ط اولى ١٤١٣هـ /١٩٩٢م

والناس كل الناس حتى المشركين والكفرة إذا ضاقت بهم السبل وضل سعيهم وتقطعت أسبابهم ونفذت حيلهم واقتحمت النوازل قلوبهم واجتاحت القوارع حرثهم ونسلهم وفا جأتهم الإحن والمحن ، وأطاحت بهم هنا فقط تتجلى الفطرة ، وتتقشع ماعليها من غبش ، وتنطلق على لسان هؤلاء صارخة صرخة مدوية تتجاوب فيها مع كل مخلوقات الله عز وجل ، وتعلن من خلال هذه الصرخة أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وهو الله الرحمن الرحيم الودود الرؤوف الحنان المنان القادر على كشف الملمات ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكروب ، تيسير الأمور ، وليس لأحد سواه جل جلاله ذلك ٠

وقد عاب الله تعالى على هؤلاء الذين يلجؤن إلى ألهة لاتملك من الأمر شيئاً ، بل لاتملك لنفسها شيئاً سواء أكانت هذه الآلهة أصناما أم أبقاراً أم حتى أى قوى بشرية تمتلك قوى هائلة جبارة فاتكة حتى الأفراد أو حتى الدول التى تمتلك هذه القوى ، لاتنفع الإنسان أى انسان وبخاصة المسلمين أو بعض الدول الاسلامية التى ارتمت فى احضان اعداء الله تعالى ، ظناً منها أن لديها القوة والنصرة والأمان والأمن وأن فى مقدور هذه القوى الحفاظ على جاههم ، وجلب الخير ، ودفع أى شر يقع بهم ، لقد عاب الله تعالى على كل هؤلاء المغرورين والمغترين قال سبحانه وتعالى " قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات إئتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون " [1]

وقال تعالى " والذين تدعون من دونه لايملكون من قطمير ٠ ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ، ولو سمعو ماستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير " [2] ٠٠

---

[1] سورة الاحقاف الايات ٤ ، ٥

[2] سورة فاطر الايات ١٣ ، ١٤

فإن كان ذلك كذلك فعلى المسلمين كل المسلمين أن يتخلوا عن أدعياء القوة والسلطان والمنافع ، وتفريج الكروب وشفاء الأمراض وقضـــاء الحاجات والعلم بالغيبيات ، فكل هذه أوهام وضلالات والله تعالى وحده هو صاحب القوى والقدر ، والسلطان ، وهو جل جلاله وحده الذى يستجيب لدعاء عباده ، وهو سبحانه أرحم بهم من الوالدة بولدها ... ولذلك أمرنا الله تعالى بأن ندعوه وحده .

ثانيا : فضل الدعاء

إن الله تعالى جلت حكمته وقدرته قد انتدب عباده بل قد أوجب عليهم التوجه اليه وحده بكل طلباتهم ، فهو القادر على ذلك ، وهو الرحمن الرحيم بهم ، وهو سبحانه أعلم بما ينفعهم ويصلحهم ، وكل ذلك يكون فى ثوب الدعاء ، وماالدعاء إلا اتجاه العبد الى خالقهم بقلب سليم ، وهو نوع من أنواع العبادة التى افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده ، والدعاء دليل المؤمن وهو ذاهب الى ربه مالك الملك . وهو سبحانه الكريم وهو يحب من عباده سؤاله ، ويحب أن يجيبهم سؤلهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الدعاء هو العبادة "[١] .. وهذا يبين قيمة الدعاء بين العبادات .. والدعاء علامة بين العابد والمعبود .. فإذا كنت محبوبا لديه جل ذكره ، وهو سبحانه يحبك ، فلم لا تطلب منه كل ما ترغب فيه ، وبخاصة لو أيقنت أن خزائنه لا تنفد ، وهو كريم ، وما عليك إلا تنفيذ أمره ، بأن ترفع أكف الضراعة خاشعا متواضعا متوسلاً إليه ، وماذا تريد بعد أن قال لك ربك " ادعونى استجب لكم "[٢] ، وقال تقدست أسماءه " وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان "[٣] . وماذا بعد أن أخبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيب رب العالمين فقال " إن ربكم تبارك وتعالى حيٌّ كريم ، يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا "

---

[١] مسند الأمام أحمد ٢٧١/٤
[٢] سورة غافر اية ٦٠
[٣] سورة البقرة اية ١٨٦

وفى رواية " صفراً خائبتين "[١] . إن الدعاء فرار الى الله تبارك وتعالى ، واستعانة به جل جلاله ، وطلب العون منه ، واستغاثة من ملهوف حائر برب رءوف رحيم ودود ٠٠ ومن لنا سواه ونحن الضعفاء والفقراء . إن الدعاء علامة واضحة من علامات الإيمان بالله جل ذكره ٠٠ وما الدعاء إلا تصديق بوعد الله عز وجل ، فقد أمرنا بالدعاء ووعدنا بالاجابة . كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله تعالي بعد قليل .

وإليك عزيزى وأنت فى نزهة فى بستان أبى الصهباء ، اليك جملة من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو يحببك إلى خالقك ، ويدعوك أن تتضرع إليه وتدعوه ، وهو الصادق المصدوق ، والذى لاينطق عن الهوى ، إنما هو وحى من الله تعالى إلى حبيبه ، ليعلن للدنيا بأن ربنا رحمن رحيم ودود لطيف كريم غنى رءوف قدير ٠٠ ولكن قبل ذكر طرف من أحاديث حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم أرجوك أن تتمهل وتتمعن ، وتمشى الرويدا فى رياض السنة ، فقد تطول هذه النزهة فى هذا المكان ، وسوف تجد مايسرك ، ويدفعك الى الاقدام على دعاء رب العالمين ، وسوف تستنشق أرق أريج فى الحياة ، وأنا متأكد أن صدرك سينشرح ، وتقدم على ربك طمعاً فى كرمه وجوده وعطائه ، ورحمته ومغفرته ، وستجد ربا كريماً حليماً غفوراً رحيماً ، وما عليك إلا الدعاء .

الدعاء في السنة :

لقد وردت جملة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى الدعاء وفضله نذكر منها :-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : يا ابن آدم كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفرونى اغفر لكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألونى أعطكم ، وكلكم ضال إلا من هديت فاسألونى الهدى أهدكم ، ومن استغفرنى وهو يعلم أنى ذو قدرة على أن أغفر له ، غفرت له ولا أبالى ، ولو أن أولكم وآخركم ، وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أشقى رجل واحد منكم ما نقص ذلك

---

[١] رواه أبو داوود فى كتاب الصلاة ، باب : الدعاء تحت رقم ١٤٨٨

من سلطانى مثل جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زادوا فى سلطانى مثل جناح بعوضة ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم سألونى حتى تنتهى مسألة كل واحد منهم فأعطيتهم ما سألونى ما نقص ذلك مما عندى كمغرز إبرة لو غمسها أحدكم فى البحر ، وذلك أنى جواد ماجد واحد ، عطائى كلام ، وعذابى كلام ، إنما أمرى لشئ إذا أردته أن أقول له كن فيكون "[١] .

" وعن انس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدن انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى . يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى . يا بن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لآتيتك بقرابها مغفرة "[٢] . " وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول : أنها عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى "[٣] . ." وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ " وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين "[٤] . . " وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم : لاتعجزوا فى الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد "[٥] . . " وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فتح له منكم باب دعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئا يعنى أحب اليه من أن يسأل العافية ، وقال قال

---

١ رواه مسلم في باب : تحريم الظلم ١٩٩٤/٤ . ورواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي . والماجد : كثير الخير

٢ رواه الترمذي ٥٤٨/٥ ، ورقم الحديث ٣٥٤٠ . والعنان : بفتح العين هو : السحاب ، وقراب الأرض بضم القاف : هو السحاب ، وقراب الارض : ما يقارب ملئها

٣ أخرجه مسلم في باب : فضل الذكر والدعاء ٢٠٦٧/٤ ، ورقمه ٢٦٨٦

٤ رواه الترمذي ٢١١/٥ ، ورقمه ٢٩٦٩

٥ المستدرك علي الصحيحين ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٦٧١/١ ورقمه ١٨١٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء "[١] .

رابعا : الدعاء في الرخاء ينفع وقت الشدائد

إن المسلم وهو يمضي في طريق دنياه إلى أخراه تتقلب عليه الأحوال ، وتتناوله الأغيار ، وليست هناك حالة واحدة مستقرة يقضي بها حياته كلها ، والدنيا أصلا هي دار ابتلاء فمن فقر إلى غنى أو العكس ، ومن صحة إلي مرض أو العكس ، والمسلم الذكي هو الذي يعد العدة ليواجه بها الشدائد ، ومن العدة دعاء الله عز وجل وذكره وقت الرخاء فإذا هجم البلاء استدعى دعاءه وقت الرخاء فيرحمه الله تعالى ويأخذ بيده ويجيب سؤله ٠ أما الغفلة والغرور وقت الرخاء ، فإذا هجم البلاء حينئذ تتعسر الأمور وتشتد الكروب ، ويضيق الخناق ٠ ولذا وردت أحاديث في هذا المعنى ٠ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء "[٢]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس شئ أكرم على الله من الدعاء فى الرخاء "[٣] ٠٠

خامسا : الدعاء ينفع المؤمن في الدنيا والآخرة :

والدعاء ينفع المؤمن على كل الأحوال حتى ولو ظن أنه لا يستجاب له ويوضح ذلك ما جاء ، " عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا إذا نكثر ! قال : الله

---

١ رواه الترمذي ٥/٥٥٢ ورقمه ٣٥٤٨

٢ رواه الترمذي باب : ماجاء ان دعوة المسلم مستجابه ٥/٤٦٢ ورقمه ٣٣٨١

٣ ابن ماجه في كتاب الدعاء باب : فضل الدعاء ٢/١٢٥٨

أكثر " [١] .. ويوضح مدى استفاده المؤمن بالدعاء فى كل الأحوال ما جاء " عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول : عبدى إنى أمرتك أن تدعونى ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعونى ؟ فيقول : نعم يارب فيقول : أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك ، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول : نعم يارب ، فيقول إنى عجلتها لك فى الدنيا ، ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج غمك ، فلم تر فرجاً ، قال نعم يارب ، فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ، ودعوتنى فى حاجة أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها ، فيقول نعم يارب ، فيقول إنى عجلتها لك فى الدنيا ، ودعوتنى فى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك ، فلم تر قضاءها ؟ فيقول : نعم يارب ، فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له فى الدنيا ، وإما أن يكون ادخر له فى الآخرة : قال فيقول المؤمن فى ذلك المقام : يا ليته لم يكن عجل له شئ من دعائه " [٢] ..

سادسا : الدعاء والقدر :

فإن قيل : ما فائدة الدعاء إذا كان كل شئ بقضاء الله وقدره ؟ وما قدره الله تعالى سيقع ، دعوت أم لم أدعو !! والذى يجيب على هذا التساؤل هو حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطمئن قلبك ، وتكثر من الدعاء .. " فعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولايزيد فى العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه " [٣] ويؤكد هذا المعنى حتى يستقر فى الأذهان ما جاء فى حديث آخر " عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يغنى

---

١ المستدرك على الصحيحين ٦٧٠/١ ورقمه ١٨١٦
٢ المستدرك على الصحيحين ٦٧١/١ ورقمه ١٨١٩
٣ المستدرك على الصحيحين ٦٧٠/١ ورقمه ١٨١٤

حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان [١] الى يوم القيامة " [٢] وفى الفتح كلام نفيس فى انتدابنا الى الوقوف فى ساحة الرحمن وندعوه قال (أن الدعاء من أعظم العبادة ٠٠ لحديث " الدعاء مخ العبادة " [٣] وقد تواردت الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم بالترغيب فى الدعاء والحث عليه مثل " ليس شئ أكرم على الله من الدعاء " [٤] وحديث " من لم يسأل الله يغضب عليه " [٥] قال الطيبى : معنى الحديث : أن من لم يسأل الله يبغضه ، والمبغوض مغضوب عليه ، والله يحب أن يسأل ، ويؤيده حديث بن مسعود رفعه " سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل " [٦] ٠٠ وحديث " الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء " [٧] .... وفى حديث عائشة " إن الله يحـــب الملحين فى الدعاء " [٨]

وقال الشاعر

والله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضب [٩]

وكل هذه الآثار تؤكد طلب الدعاء : والاستكثار منـــه ، ثم إن الدعـــــــــاء أصـــلاً **يفيد أمرين أساسيين ٠**

الأول : الدعاء عبادة ونحن مأمورين بعبادة الله تعالى بما تعبدنا به ومن ذلك الدعاء ٠٠ قال بن حجر (وفائدة الدعاء تحصيل الثواب بإمتثال الأمر) [١٠] ٠٠

الأمر الثانى لعل المدعو به موقوفاً على الدعاء ، لأن الله خالق الأسباب ومسبباتها ، وكل هذا يفوت القول على من قال لاحاجة فى الدعاء مادام قدر ما قدر ٠٠ وعلى ذلك قارئ العزيز هيا جميعاً نبتهل الى الله عز وجل ٠ وأحذر

---

١ أى يتصارعان
٢ البذار وقال فيه زكريا بن منظور ووثقه أحمد بن صالح وضعفه الجمهور مجمع الزوائد ٢٠٩/٧ باب : لاينفع حذر من قدر .
٣ الترمذى ٤٥٦/٥ ورقمه ٣٣٧١
٤ الترمذى ٤٥٥/٥ ورقمه ٣٣٧٠
٥ الترمذى
٦ الترمذى ٤٥٦/٥ رقم ٣٣٧٣
٧ الترمذى ٥٦٥/٥ ورقمه ٣٧٥١
٨ فتح البارى ، ابن حجر ٧٩/١١
٩ انظر تفسير القران العظيم بن كثير ٨٥/٤
١٠ المرجع السابق ٨٠/١١

نفسى وإياك من ترك الدعاء إذا تأخرت الإجابة ، وقد نبهنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال : "يستجاب لأحدكم ما لم يعْجَل ، يقول : دعوت فلم يستجب لىَ "[١] وفى رواية لمسلم والترمذى " لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ، قيل : يا رسول الله ما الإستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت ، وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء "[٢] .. وعى ذلك فما دام الله تبارك وتعالى أمرنا بالدعاء ، ووعدنا بالإجابة ، وأمر الله تعالى واجب ، ووعد الله حق ، والقضاء والقدر من الله سبحانه وتعالى ، والدعاء أمر الله تعالى فلم لا ندعوا .. ثم من لنا سواه جل ذكره ، من للحيارى التائهين فى دياجير الظلام ، ومن للضعفاء المقهورين ، من لدموع المظلومين الكاظمين ، ومن لأنات الباكين من قسوة الحياة ، ومن للفقراء والمساكين على تحملهم ضربات الدنيا وصبرهم على ماهم فيه ، ومن لقضاء الحاجات ، ومن لتفريج الكروب والهموم ، والغموم ، ومن للشدائد والأزمات القاتلة ، ومن للمضطرين الذين ضاقت بهم الأرض بما رحبت ، ومن لنصر المؤمنين على أعدائهم وقد دارت لهم دورة وصارت لهم جولة وصولة ، ومن للمذنبين الذين رغبوا فى العودة الى ساحة الرحمن ، وكذلك من للظالمين الذين ندموا على ظلمهم وظلماتهم وأرادوا الخلاص مما كانوا فيه ، ومن للمريض الذى أوجعه المرض وطال به ، ومن لأصحاب الحقوق المسلوبة ، ومن لنا للسداد والتوفيق ، ومن لنا فى طلب الخير وسعة الرزق ، واصلاح الحال ، وراحة البال ، ومن لنا فى دفع شرور الأشرار ، ومن لنا فى طلب المزيد من العلم النافع والخير والنفع ، ومن لنا فى تحقيق آمالنا وطموحاتنا ، ومن لنا فى توفيقنا لأداء الطاعات واجتناب المنهيات ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " ومن لنا فى حفظ أبصارنا وأسماعنا ، وكل أعضاء جسدنا ، وكل حركاتنا وسكناتنا ، ومن لنا

---

[١] أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات باب : يستجاب للعبد ما لم يعجل ١١/١١٨

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب : الذكر والعاء والاستغفار ، باب بيان أنه يستجاب للداعى ما لم يعجل ١٣/٥٢ (شرح النووى) ومعنى يستحسر : أى يمل ويعى فيترك الدعاء

فى يقظتنا ومنامنا ، ومن لنا من الزلازل والبراكين والفيضانات والشهب والنيازك والأعاصير ، ومن لنا فى دوام النعم التى نرتع فيها وهى كما هو معلوم : لاتعد ولا تحصى ، ومن لنا فى تيسير كل عسير ، ومن لنا فى دفع الأمراض الخبيثة وغيرها ، ثم من لنا على أعدائنا وبخاصة عدونا اللدود الملعون ، وحفظنا من وساوسه وأحابيله وخطراته وخطواته وهو الشيطان الرجيم ، ثم من قبل ومن بعد من لنا عند الممات ، ومفارقة الأحباب والأرواح للأجساد ، ومن لنا فى القبر ووحدته ووحشته وظلمته وما فيه ، ومن لنا يوم الحشر والنشر والصراط والميزان والحساب ، وطلب الجنة ، والبعد عن النار ، بل من كان لنا عند خروجنا من أرحام أمهاتنا ، يعنى من لنا عندما كنا فى أرحام أمهاتنا وعند بروزنا للدنيا وعند خروجنا منها ، ومن لأولادنا سواء فى حياتنا أم بعد مماتنا من لكل هؤلاء وغيرهم سوى الرحمن الرحيم الودود اللطيف الرؤوف القادر والذى رحمته وسعت كل شئ ٠٠ إننا جميعاً فى أمس الحاجة أيا كانت أحوالنا وظروفنا إلى التوجه والتضرع والإبتهال والإلتجاء والدعاء إلى الله تبارك وتعالى إذ ليس لنا سواه جل شأنه وتقدست اسماؤه ٠٠ فرحمة الله تعالى واسعة ، ولا يأس من فضل الله تعالى ٠

سابعا : شروط وآداب الدعاء

إن علاقة الإنسان المسلم بخالقه هى التى تحدد خطوات مشوار حياته ، كما تحدد مصيره ، فإذا كانت العلاقة مرتبطة بالله تبارك وتعالى قولا وسلوكاً ، ويعيش الإنسان كل جزئية من حياته مرتبطة ومتعلقة بالله عز وجل ، ولا تخرج عن مراقبته لخالقه ، متقياً لله تعالى فى أقواله وأفعاله ، صابراً على قضاء الله وقدره ، راضياً بما قسم الله تعالى له من رزق وعمل وولد ، حسن العشرة مع إخوانه ، كريما مع ضيفانه ، محسناً أجيرانه ، راعياً لأهل بيته ، ومقدرا لمسؤلياته ، واصلا رحمه ، رحيما بالفقراء والأيتام والأرامل وكل الضعفاء ، شاهدا وقاضياً بالحق ، آكلا من حلال ، وبعيدا كل البعد عن الحرام مأكلا وملبسا

ومشرباً ومسكناً ومركبا ، ذاكرا لله تعالى على كل حال ، مؤديا للفرائض والنوافل ، زاهدا فى شهوات الدنيا ، طاهر القلب واللسان ٠٠ إن هذه الصلة بالله تعالى تجعل الإنسان قريباً من ربه واثقا بوعده ٠ وهنا إذاً احتاج المسلم إلى أمر ما ودعا ربه استجاب الله تعالى له وقضى مأربه ، وهذا إجمال يحتاج الى شئ من التفصيل وأول مايجب الإنتباه اليه جيداً ، والحرص عليه دائماً :

تحري الحلال

فقد جاءت السنة تؤكد على هذا ، والقرآن الكريم من قبلها " فعن بن عباس رضى الله عنهما قال : تليت هذه الآية عند النبى صلى الله عليه وسلم " يا أيها الناس كلوا من مما فى الأرض حلالا طيبا " فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله : أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفسى بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت فالنار أولى به "[1] ٠٠ " وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم " وقال : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم " ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام يمد يده الى السماء : يارب ، يارب ، فأنى يستجاب لذلك "[2] ٠٠ وهكذا اتضح جليا ، وأصبح الأمر واضحا أن الحلال هو

شرط قبول الدعوات ٠

والثقة بالله تعالى فى حصول الإجابة أمر لازم للداعى ، ومهما كان طلبه ، فلا يستكثر شيئاً على الله القادر القوى الكريم ، فيقين الداعى بالله وعظمته من دواعى

---

[1] فقه السنة ٢١٤/٤ ، وقال أخرجه الحافظ بن مردويه
[2] فقه السنة ٢١٥ وقال احمد ومسلم

الإجابة ، وكذا الجزم فى الطلب " فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولايقولن : اللهم إن شئت فأعطنى ، فإنه لامستكره له " [١] .. وجاء التأكيد على حسن الظن بالله والثقة فى فيض كرمه ، وجزم الدعاء وحزمه " عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه " [٢] .. قال العلامة المباركفورى (قوله " وأنتم موقنون بالاجابة " والحال انكم موقنون بها ، أى كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة من اتيان المعروف واجتناب المنكر ، ورعاية شروط الدعاء ، كحضور القلب ، وترصد الأزمنة الشريفة ، واغتنام الأحوال اللطيفة ، إلى غير ذلك ، حتى تكون الاجابة على قلوبكم أغلب من الرد ، أو أراد وأنتم تعتقدون أن الله لايخيبكم لسعة كرمه وكمال قدرته وإحاطة علمه لتحقق صدق الرجاء ، وخلوص الدعاء ، لأن الداعى ما لم يكن رجاءه واثقا ، لم يكن دعاءه صادقا . وقوله " من قلب غافل " أى معرض عن الله ، أو عما سأله ، وقوله " لاه " من اللهو أى لاعب بما سأله ، أو مشتغل بغير الله تعالى وهذا عمدة الدعاء) [٣] .

خفض الصوت فى الدعاء ، واظهار الفاقة ، والضراعة الى الله جل شأنه فقال جل ذكره " ادع ربكم تضرعاً وخُفية إنه لايحب المعتدين " [٤] .. وللسادة العلماء كلام طيب ونفيس فى هذا فمثلا قال القرطبى : (هذا بالدعاء ، وتعبد به ، ثم قرن عز جل بالأمر . صفات تحس معه وهى : الخشوع والاستكانه والتضرع ، ومعنى " خُفية " أى سرا فى النفس ليبعد عن الرياء ، ولذلك أثنى على نبيه زكريا عليه السلام ، إذ قال مخبرا عنه " إذ نادى ربه نداءا خفيا " والشريعة مقررة أن السر فيما لايفترض من أعمال البر أعظم أجرا من اللجهر وقال الحسن

---

[١] أخرجه البخاري فى كتاب الدعوات ، باب ليعزم المسألة فإنه لامكره له ٩٢/٨

[٢] الترمذى فى الدعوات رقم ٣٥٤٥

[٣] تحفة الاحوزى ٤٥٠/٩

[٤] سورة الاعراف ٥٥

: لقد أدركنا أقواما ماكان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سرا فيكون جهراً أبدا ، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء فلا يسمع لهم صوت ، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم) [١] ٠٠وقال بن القيم حول فوائد خفض الصوت في الدعاء (**أولا** : أنه أعظم إيمانا ، لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفى
ثانيها : أنه أعظم فى الأدب والتعظيم ، ولهذا لا تخاطب الملوك ، ولا تسأل برفع الصوت ، وإنما تُخفض عندهم الأصوات ، ويخفت عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه ، ومن رفع صوته لديهم مقتوه ، ولله المثل الأعلى ، فإذا كان ربنا يسمع الدعاء الخفى ، فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت ٠٠٠
ثالثها : لأنه أبلغ فى التضرع والخشوع الذى هو روح الدعاء ولبه ومقصوده ، فإن الخاشع الذليل الخاضع ، إنما يسأل مسألة مسكين ذليل ، قد انكسر قلبه ، وذلت جوارحه ، وخشع صوته ٠٠٠
رابعها : أنه أبلغ فى الإخلاص ٠٠٠
خامسها :أنه أبلغ فى جمعه قلبه على الله فى الدعاء ، فإن رفع الصوت يغرقه ويشينه ، فكلما حفض صوته ، كان أبلغ فى حمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى ٠٠٠
سادسها : وهو من النكت السريعة البديعة جداً أنه دال على قرب صاحبه من الله ، وأنه لإقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شئ إليه ، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب ، لامسألة نداء البعيد للبعيد ٠٠٠
سابعها : أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ، فإن اللسان لايمل ، والجوارح لا تتعب ، بخـــلاف مـــا إذا رفع صوته ، فإنه يكل لسانه وتضعف قواه) [٢] ٠٠وعندما جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله :أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت عنه ، فأنزل الله تعالى " وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا

---

[١] الجامع لأحكام القر ان الكريم ٣/٢٧٤٠
[٢] التفسير القيم لابم القيم ص ٨٧

بى لعلهم يرشدون " [١] وتأكيداً لهذا – أى خفض الصوت فى الدعاء وأن يكون همساً – " عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائبا ، إنــكم تدعون سميعـــاً بصيراً " [٢] .. وقوله سبحانه " إنه لايحب المعتدين " جاء فى المنار ما ملخصه : الاعتداء : تجاوز الحدود .. وذلك أن لكل شئ حدا من تجاوزه كان معتدياً .. وشر أنواع الاعتداء فى الدعاء : التوجه فيه الى غير الله ولو ليشفع عنده .. قال تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا " .. فالتقرب الى الله سبحانه بما يرضيه ، وإنما يكون بما شرعه من عبادتك له دون عبادة غيره .. والذين عبدوا الملائكة والانبياء والاولياء كانوا يقصدون بدعائهم أن يقربهم الى اله زلفى وأن يشفعوا لهم عنده ، ويعتقدون أنهم لا يملكون نفعهم ولا كشف الضر عنهم بأنفسهم ، بل ذلك هو الله الذى يجير ولا يجار عليه ، وآيات القرآن صريحة فى ذلك . نعم إن طلب الدعاء من المؤمنين مشروع من الأحياء دون الأموات ، ويسمى فى اللغة توسلا الى الله لأنه قد شرعه ، ومنه توسل عمر والصحابة بالعباس ، بدلا من النبى عليه وعلى آله الصلاة والسلام ..

وإن الذين أشركوا من أهل الكتاب ما كانوا الا مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لكن طرأ عليهم من الشرك ما أحبط أعمالهم ، وكذلك يحبط إيمان من أشرك من المسلمين بدعاء غير الله .. ومن الاعتداء فى الدعاء ماهو خاص باللفظ كا التكلف والسجع .. ومنه ما هو خاص بالمعنى ، وهو طلب غير المشروع من وسائل المعاصى ومقاصدها كضرر العباد ، وأسباب الفساد وطلب المحال الشرعى أو العقلى كطلب إبطال سنن الله فى الخلق وتبديلها أو تحويلها ، ومنه طلب النصر على الاعداء مع ترك وسائله كأنواع السلاح

---

[١] انظر اسباب النزول للسيوطى ص ٢١ كتاب التحرير ، طبع القاهرة ١٣٨٢ هـ ، والاية من سورة البقرة رقم ١٨٦

[٢] أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبه ١٠١/٨

والنظام ، والغنى بدون كسب ، والمغفرة مع الاصرار على الذنب والشفاء دون الأخذ بأسباب التداوى ..

كذلك سؤال الله تعالى بأسماءه الحسنى ، وبصفات الكمال والجمال ، والحمد والثناء عليه جل ذكره قبل طلب المسألة ، وليس من الأدب اقتحام ساحة الرحمة دون تقديم الثناء الجميل ، والولاء التام لله رب العالمين ، ونحن فى دنيا الناس عند تقديم طلب أو سؤال مسألة عند من يستطيع قضاءها نقدم لهم كل فروض الطاعة والثناء ، ونكيل لهم المديح كيلا ، وهم من هم من البشر ، ولله المثل الأعلى ، فمن الأدب أن نقدم الثناء لله عز وجل فى خشوع وخضوع ونستفتح به الدعاء حتى نحظى بالقبول والاجابة ، وعن بن حجر فى الفتح (إذا بدأ الرجل الثناء قبل الدعاء استجيب ، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء).. وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا نذكر جملة منها : " عن بريده رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : اللهم إنى أسألك أنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد سأل الله بالإسم الذى إذا دعى به أجاب "[1] .. " وعن أنس رضى الله عنه أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلى ثم دعا : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ياحى يا قيوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه العظيم ، الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى "[2] .. وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا وهو يقول : يا ذا الجلال والإكرام فقال : قد أُستجيب لك فسل وسمع النبي صلي الله عليه وسلم رجلا وهو يقول : اللهم إني أسألك الصبر ، فقال : سألت الله البلاء فسله العافية "[3] .. " وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله ملكاً موكلا عنه يقول : يا

---

[1] رواه أحمد ١٢٠/٣ ، وأبو داوود فى الصلاة باب الدعاء
[2] رواه أحمد ٢٤٥،٢٦٥/٣ ، وأبو داود فى الصلاة باب الدعاءرقم ١٤٩٥ ، والحاكم ٥٠٤/١
[3] رواه الترمذي ٥٤١/٥ ورقمه ٢٥٢٧

أرحم الراحمين ، فمن قالها ثلاثاً ، قال الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل " [١] " وعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه : لا إله إلا الله والله أكبر ، لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله " [٢]

الصلاة والسلام على النبى فى الدعاء

وقد ذكر العلماء بأن الدعاء معلق إذا لم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستحب فى أوله ووسطه وآخره ، وقد جاء حديث بهذا المعنى " فعن فضاله بن عبيد الله رضى الله عنه قال : بينما رسول الله عليه وسلم قاعد ، إذ دخل فصلى ، فقال : اللهم إغفرلى و ارحمني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجلت أيها المصلى ، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصلى على ثم ادعه ، قال : ثم صلى رجل أخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أيها المصلى ادع تجب " [٣] وقد جاء كذلك " كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم " [٤]

اختيار الزمان والمكان

كذلك ينبغي لمن يرجو الإجابة ، اختيار الأوقات المفضلة ، والأماكن الطيبة والحالات التي يرجى فيها الدعاء ، وذلك : يوم عرفة ، وشهر رمضان ، وليلة القدر ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأثناء السجود ، ووقت نزول الغيث ، وبين الأذان والإقامة ، وأثناء التقاء جيش المسلمين بجيوش الكفرة ، وعند رقة القلب وعند الوجل وطلب الدعاء من الوالدين وكذلك دعاء

---

١ المستدرك على الصحيحين ٧٢٨/١ رقم الحديث ١٩٩٦

٢ الترغيب ٣٤٢/٢ ، وقال الطبرانى فى الكبير والاوسط باسناد حسن

٣ رواه الترمذي ٥١٦/٥ رقمه ٣٤٧٦

٤ الجامع الصغير للسيوطي برقم ٦٣٠٣

الصائم والمسافر والمظلوم ، ودعاء الأخ لأخيه المسلم بظهر الغيب ، والإمام العادل وفي كل ذلك وردت فيه أحاديث صحيحة ، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم " ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن : دعوة الوالد – وكذا الوالدة – ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم " [١] وقال صلي الله عليه وسلم " ثلاثة لا ترد دعوتهم . الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقـول الرب : وغزتي لأنصرنك ولو بعد حين " [٢] .. "وعن صفوان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ، ووجدت أم الدر داء فقالت : أتريد الحج العام ؟ قلت نعم ، قالت : فادع الله لنا بخير ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ،عند رأسه ملك موكل ، كلما دعـــا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل "[٣] قال فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدر داء فقال لي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم " [٤] وفي هذا أيضا " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب " ويتأكد هذا لنا ما روى "عن عمر رضي الله عنه قال : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة ، فأذن لي وقال : لا تنسنا يا أخي من دعائك ، فقال عمر : كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا " وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثرو الدعاء " وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قـــال : ينزل " [٥] ربنا كل ليله إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : مــن يدعوني فأستجيب له ،من يسألني فأعطيه ،من يستغفرني فأغفر له [٦]"

---

١ رواه ابو داود ٨٩/٢ ورقمه ١٥٣٦

٢ رواه الترمذي ٥٧٨/٥ ورقمه ٣٥٩٨

٣ أي وأدعو لك بمثل ذلك ، وهذه تجارة رابحة وطيبة

٤ أخرجه مسلم باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ٢٠٩٤/٤

٥ كناية عن تجلي الله عز وجل علي عباده ، ونزول فيض رحمته وقت السحر

٦ رواه البخاري ٣٨٤/١ صحيح بن حبان الجزء الثالث (١٩٩\٣ مؤسسة الرسالة بيروت

"وعن أبي أمامة رضي الله عنه : قيل يا رسول الله أي الدعاء اسمع ١ ؟ قال جوف الليل الأخير ، ودبر الصلوات المكتوبات " ٢ . وعن ليلية القدر ونزول الغيث ، والتقاء جيش الاسلام باعدائه فقد وردت في كل ذلك أحاديث صحيحة . والمسلم عليه أن يتحرى هذا الأوقات وليرفع أكف الضراعة إلي خالقه ومولاه بالدعاء ، فإن هناك أماكن ينبغي على المسلم أن يجتهد بالدعاء فيها لأن الله تعالى فضلها على سواها ، ومنحها القداسة ، وظللها برحمة وفضله مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ،وموقف عرفات والمساجد كلها وبجاحة المساجد الثلاثة : المسجد الحرام بمكة ، ومسجد الرسول صلي الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، والمسجد الأقصى بفلسطين الأسيرة ...

كذلك ينبغي للمسلم لكي يستجاب له الدعاء أن يتقرب إلى مولاة في الدعاء بصالح الأعمال ، فقد ثبث في الصحيح خبر الثلاثة الذين دخلوا الغار ،فانطبقت عليهم صخرة على فم الغار فتوسلوا إلي خالقهم بأخلص أعمالهم ،فاستجاب لهم ربهم ونص الحديث " عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينها ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلي غار ، فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من ٣ أرز فذهب وتركة ، وأني عمدت إلي ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا ، وأنه أتاني يطلب أجره ، فقلت : أعمد إلي تلك البقر فسقها ، فقال لي : إنما لي عندك فرق أرز ، فقلت له اعمد الي تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة ، فقال الأخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آيتهما كل ليلة بلبن غنم

١ - أي ارجي قبولا
٢ - الترمذي الترغيب ٢\٣٤٥
٣ - مكيال يسع ثلاثة اصع

لي ، فأبطأت عليها ليلة ، فجئت وقد رقدا ، وأهلي وعيالي يتضاغون١ من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبوا يا فكرهت أن أو قظهما وكرهت أن أدعها فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل انتظر حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الأخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنه عم من أحب الناس إلي وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا إن أيتها بمائه دينار فطلبتها حتى قدرت ، فأيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحق فقمت وتركت المائة الدينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا " ٢ وفي الحديث فوائد جمة ذكرها ابن حجر في فتح الباري ٣ ومما قاله : فيه أي الحديث إثبات الكرامة للصالحين ، وسيأتي الحديث عن الكرامة إن شاء الله تعالى وإن كنت أتوجه إلى نفس وإلى كل من يقرأ هذا الكتاب بسؤال مفاده هل وقع أحدنا في شدة وأراد أن يخلصه الله تعالى مما وقع به وهل قدم عملا صالحا يتقرب به ، وإذا لم يكن قد عملا صالحا ، فهل يجتهد في عمل صالح أو مجموعة من الأعمال الصالحة يدخرها عند مولاة لمثل هذه الظروف الصعبة والقاسية ، نسأل الله تعالى التوفيق لصالح الأعمال

ومن الآداب أيضا في الدعاء :

استقبال القبلة وكذا رفع اليدين وقد ورد في كل منها أحاديث منها "عن عبد الله بن زيد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا المصلى يستسقى فدعا واستسقى ثم استقبل القبلة وقلب رداءه "٤ وقد أورد صاحب الفتح عدة أحاديث في ذلك ٥ وعن رفع اليدين في الدعاء "قال أبو موسي دعاء النبي صلى

---

١ - صياح ببكاء

٢ - أخرجه البخاري في كتاب :أحاديث الأنبياء باب :ماذكر عن بني إسرائيل ٦\٣٩٤ (شرح ابن حجر في فتح الباري البخاري

٣ -- ابن حجر ٦\٣٩٦

٤ - أخرجه البخاري في الدعوت ،باب :الدعاء مستقبل القبلة ١١ \١٢٠

٥ - فتح الباري ابن حجر ١١\ ١٢٠ \١٢١.

الله عليه وسلم ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه[١] "وجاء في الفتح عدة أحاديث في ذلك أيضا "[٢] وعلى المسلم بقدر الاستطاعة أن يدعو بما جاء في القرآن الكريم وكذلك ما جاء في السنة النبوية المطهرة ،وكذا دعاء الصالحين ...وسأذكر طرفا من كل هذا

ثامنا : ومن الأدعية في القرآن :

جاء في الذكر الحكيم آيات كثيرة فيها دعوات طيبات ،ولعل سرا فيها أو أسرارا تجعل الدعاء مقبولا عند الله تبارك وتعالى وأذكر بعضها لعل أخي المسلم يعمل بها : يقول تبارك وتعالى "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " [٣] ويقول تقدست أسماؤه " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا أحدا كما حملة على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين "[٤] وقد جاء في هذا أحاديث شريفة منها " عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان " [٥] "وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم فإنهما صلاة وقرآن ودعاء "[٦] ومن الدعاء القرآني قوله تبارك وتعالى " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدتينا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب "[٧] ويقول جل ذكره "

---

[١] - أخرجه البخاري في الدعوت باب رفع اليدين في الدعاء ١١ \١١٨.
[٢] - انظر :فتح الباري ١١ \١١٨، ١١٩
[٣] - سورة البقرة الاية ٢٠١
[٤] - سورة البقرة الاية ٢٨٦.
[٥] - المستدرك ١\ ٧٥٠
[٦] - الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ٢\ ٢٦٢
[٧] سورة آل عمران اية ٨

ربنا إننا أمنا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار " ١ ويقول جل جلاله "ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين "٢ ويقول سبحانه وتعالى " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فأغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد "٣ ويقول سبحانه وتعالى "ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما "٤ ويقول جل جلاله " ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين و اجعلنا للمتقين إماما "٥ .. ويقول سبحانه " ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمـــــنوا ربنا إنك رءوف رحيم "٦ ويقول جل شأنه "ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير "٧ ويقول تبارك أسمه " ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا وإليك المصير .ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم " ٨ ويقول تبارك وتعالى " رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون " ٩ وآيات كثيرة غير ذلك دلنا الله تبارك وتعالى على السبيل الذي نرتوي منه ويشفي الغلة ، ويحقق الله تعالى به الرجاء ... فليس أفضل ما يدعو به المسلم ربه من القرآن الكريم . وللمزيد نذكر طرفا من دعاء الأنبياء من القرآن الكريم :

---

[١] سورة ال عمران الاية ١٦
[٢] سورة ال عمران اية ١٦
[٣] سورة ال عمران اية ١٩٠ :١٩٤
[٤] - سورة الفرقان الاية ٦٥
[٥] - سورة الفرقان الاية ٧٤
[٦] سورة الحشر الاية ١٠
[٧] سورة التحريم الاية ٨
[٨] سورة الممتحنة الاتنان ٤،٥
[٩] سورة المؤمنون الايتان ٩٧، ٩٨

تاسعا : دعاء الأنبياء :

جاء في القرآن المجيد دعاء لأنبياء الله تعالى ورسله ، وسوف أطوف حول بعضها ،لكن قبل ذلك أود أن تتأكد قاريء العزيز وأنت تطوف معي في هذه الرياض اليانعة أن دعاء الأنبياء كان دعاءا مستجابا لقدرهم ومنزلتهم عند الله تعالى ولحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي سأل سؤالا أو قال : لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة "[1] وفي الفتح كلام طيب حول هذا الحديث[2]

دعاء أبينا آدم وأمنا حواء عليها السلام

جاء دعاؤهما في مواضع متعددة في القرآن الكريم فبعد أن أمرهما الله تعالى بعدم الأكل من الشجرة ووسوس لهما الشيطان فأكلا منها توجها إلي الله تعالى بهذا الدعاء قال سبحانه وتعالى " قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين "[3] وسورة البقرة توضح بكل صراحة أن الله تبارك وتعالى تقبل منهما يقول عز من قائل " فتلقي أدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم "[4]

دعاء سيدنا نوح عليه السلام :

مكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم ليلا ونهارا سرا وجهرا ونوع لهم في أساليب الدعوة ، ودخل إليهم من كل مدخل ، ولم يترك وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى إلا ساقها لهم ، حتى الأيات الكونية ، لكن كل ذلك لم يزدهم إلا نفورا ، وسخرية ، واستهزاء ، وكالوا له السب واللعن والطعن ... وأقرأ في ذلك سورة نوح مثلا ولما لم يستجيبوا له لجأ إلى ربه يرجوه النصر لا لنفسه بل للدعوة الإسلامية فما كان منه أو ما كان عليه إلا أن يدعو الله تبارك وتعالى " فقال نوح رب لا تذر على

---

١ أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ،باب :لكل نبي دعوة مستجابة ١١ \ ٨١
٢ انظر :فتح الباري ١١ \ ٨٠، ١٨
٣ سورة الأعراف الاية ٢٣
٤ سورة البقره الايه ٣٧

الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا " ١ لكن الموقع هنا لم يسفر أو يصرح بإجابة الله تعالى لدعاء سيدنا نوح عليه السلام ، ولكن كان واضحا وصريحا غاية الوضوح والصراحة في استجابة الله تبارك وتعالى لسيدنا نوح وذلك في سورة القمر فقال جل شأنه " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصره ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر. ولقد تركناها آية فهل من مدكر " ٢ ويقول سبحانه وتعالى في سورة أخرى ليعلن في القرآن الحكيم أن الله جل ذكره قد استجاب دعاء نبيه ورسوله سيدنا نوح عليه السلام بكل صراحة وتأكيد لا ريب فيه أقرأ معي قوله تعالى " ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه و أهله من الكرب العظيم . ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقنا هم أجمعين" ٣

دعاء سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل

توجد أدعية متعددة لسيدنا إبراهيم وأبنه سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام أذكر منها : قوله تبارك وتعالى " وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا البلد أمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم . ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي الله من شئ في الأرض ولا في السماء . الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء . رب أجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لي ولوالدي

---

[١] - سورة نوح الآيتان ٢٦ ، ٢٧
[٢] - سورة القمر الآيات من ٩ : ١٥
[٣] - سوررة الأنبياء الآيتان ٧٦ ، ٧٧

وللمؤمنين يوم يقوم الحساب "[١] ومن دعاء سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام قوله تبارك وتعالى " وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التوب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم "[٢] وقد استجاب الله تعالى لهما ..

دعاء سيدنا لوط عليه السلام

كان قوم لوط يمارسون أبشع فاحشة ، وناشدهم سيدنا لوط ، وساق لهم النذر ، وقدم لهم البديل الطيب الطاهر النقي لكنهم استمرؤا فاحشتهم ولم يقبلوا دعوته ، ولم يستجيبوا له فدعا عليهم واستجاب الله تعالى دعاءه ، وقد جاء ذلك في مشاهد كثيرة ومتعددة في الذكر الحكيم أذكر منها مشهدا واحدا قال الله تبارك وتعالى " ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين . أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جَواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين . قال رب انصرني على القوم المفسدين . ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قالوا إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لأتخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين[٣]

---

[١] سورة ابراهيم الايات من ٣٥ : ٤١
[٢] سورة البقرة الايات من ١٢٦ : ١٢٩
[٣] سورة العنكبوت الايات ٢٨ :٣٣

دعاء سيدنا يوسف عليه السلام

يمثل سيدنا يوسف عليه السلام أنقي صورة وأطهر نفس ، وأعف شاب ، فهو المثل الرائع في العفة أمام الشباب ونجاحه في عصرنا الحاضر الذي تموج فيه الفتن لقطع الليل المظلم وبات الحلال أصعب منالا من الحرام أو أصبح الحرام أسهل منالا وطلبا من الحلال ،ولقد تعرض سيدنا يوسف لمراودة امرأة عزيز مصر؛ فها هو المُلك والجمال في أبهي صورة ويعرض عليه عرضا ملحا ،وبأساليب تفقد اللبيب عقله وفكره؛ لكنه يستعصم ويلوز بربه ويدعوه النجدة والنجاة ويصور القرآن المجيد هذا فيقول تبارك وتعالى " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لايفلح الظالمون " ١ وفي مشهد آخر يوضح الدعوة والاستجابة وموضوع الدعوة وموضوع الاستجابة فيقول تبارك اسمه " قالت فذا لكن الذي لمتتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل مامره ليسجنن وليكونا من الصاغرين . قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وإلاتصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم " ٢ ثم إن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأي نعم الله تعالى قد تمت عليه من النجاة وهو في الجب وفكاك أسره بعد أن بيع ، ونجاته من إمرأة العزيز بما ملكت من أحابيك شيطانية للأغراء واستجابة الله تعالى له من الفوز بالعفة وهو شاب في أشد عنفوانه وحيويته ودخوله السجن ، وتوليته ملك مصر بما ملك من خزائنها ، وتمكينه في الأرض ... ثم جمع الله تعالى شمله مع أبويه وإخوته ، بعد كل هذا أقر بفضل الله تعالى عليه ، وعرف رحمة ، ولم يغتر كما يغتر الكثير من الناس ، ومع كل هذا أدرك أن كل هذا بل كل الدنيا إلى فناء ، ولا يقر بها قرار ، وما بعد التمام إلا النقصان وهنا أخذ يلهج لسانه بهذا الدعاء وقد أجابه ربه عز وجل قال " رب قد آتيتني من الملك

---

١ سورة يوسف الاية

٢ سورة يوسف الايات ٣٢، ٣٣، ٣٤

وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين " ١

دعاء سيدنا أيوب عليه السلام

إن قصة سيدنا أيوب تمثل قمة الداعية الصابر ، كما تمثل النموذج الفذ والفريد في الصبر على البلاء ، مهما كان حجمه ، ومهما طال أمده ، وعندما ابتلى سيدنا أيوب في نفسه وماله وأولاده ما كان عليه إلا اللجوء إلى رحمة الله الواسعة ، والذي يجيب دعوة المضطر ، ويكشف البلاء ، وقد ذكر القرآن الحكيم مشاهد كثيرة عن سيدنا أيوب نذكر منها مشهدا واحدا فيه بيان قدر البلاء وكذا بيان استجابة الله تعالى للدعاء يقول سبحانه وتعالى : " وأيوب إذ نادي ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الرحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين "٢

دعاء سيدنا يونس عليه السلام

أرسل الله تعالى نبيه ورسوله يونس عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى الله تبارك وتعالى ، ولما أعرضوا عن إجابته وكذبوه خرج من بين أظهرهم وتوعدهم حلول العذاب بهم ، ولما أدرك القوم الخطر ، وصدق سيدنا يونس فيما أوعدهم ، وتحققوا من ذلك قذف الله تعالى في قلوبهم التوبة والندم والإنابة على موقفهم من نبيهم ، فعاتب الله تعالى سيدنا يونس على استعجاله ، وابتلى في ركوب سفينة في البحر اللجّي ، فلجت بهم السفينة وماجت واضطربت وكاد الغرق يحيط بهم من كل مكان فاتفقوا على إجراء قرعة ومن وقعت عليه ألقوة في اليم ، وذلك ليخففوا الحمل ، ووقعت على سيدنا يونس ويذكر القرآن هذا المشهد في أكثر من موضع ونذكر طرفا منه يبين الابتلاء والدعوة ونصها وإجابة الله تعالى له يقول جل ذكره " وإن يونس لمن المرسلين . إذ أبق إلى الفلك المشحون . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت

---

١ سورة يوسف الاية ١٠١

٢ سورة الأنبياء الايتان ٨٣ ، ٨٤

وهو مليم . فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وأبنتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون . فأمنوا فمتعنا هم إلى حين " ١

أما دعوته وفضلها واستجابة الله تعالى له ففي موضع آخر جاء في القرآن الكريم " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادي في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين " ٢

هذا وينبغي لفت نظر القارئ الكريم إلي :

- صبر الداعية علي المدعوين ، وتحمل آذاهم ، وبذل غاية الجهد في سبيل هدايتهم .
- أن عملك الصالح في أوقات الرخاء ينفعك في أوقات الشدائد . فقد قال بعض المفسرين إن سيدنا يونس كان من الذاكرين الله كثيرا قبل أخذ الحوت له ٣ ، فلما أخذه الحوت هذا المأخذ وعاش مدة في الظلمات ، لم يخرجه إلي النور إلا هذا الذكر ، وقد روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم " .... تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة " ٤ ... حتى ولو كان التسبيح والتمجيد والتحميد لله تعالي وهو في بطن الحوت فإن ذكر الله تعالي ينفع وقت الشدائد . بمعني أن الذكر ينفع في الرخاء ويرصد ويدخر لوقت الشدائد ، فإذا حلت الشدائد – وهي لابد للمسلم منها – فإن صاحب الشدة يستمر علي الذكر ، فهو نافع علي كل الأحوال . وقد سبقت الإشارة إلي هذا المعني في أكثر من مناسبة
- لندرك جميعا قيمة دعوة سيدنا يونس ، ونلتزمها ونعتنقها فلها فضلها ، من حيث أن الله سبحانه وتعالي استجاب لدعوة سيدنا يونس وهي – كما سبق

---

١ سورة الصافات الأيات ١٣٩ : ١٤٨
٢ سورة الأنبياء الايتان ٨٧ ، ٨٨
٣ أنظر قصص الأنبياء ابن كثير ص ٢٩٠
٤ رواه أحمد عن بن عباس

– " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " . وقد جاء في السنة " عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوة ذا النون – يونس عليه السلام – إذ دعا وهو في بطن الحوت : " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له " [١]

دعاء سيدنا موسي عليه السلام :

رسول الله موسي عليه الصلاة و السلام له أدعية كثيرة في القرآن الكريم ، وقد جاءت هذه الدعوات في مواطن شتي ، ومواقع متعددة ، وحالات متنوعة ، وكل هذا في سور متعددة من الذكر الحكيم ، وأذكر هنا الجانب الأكبر منها بعون الله تعالي . فعندما بلغ سيدنا موسي أشده واستوى ، وأتاه الله حكما وعلما ، ودخل المدينة ووجد فيها كما قال القرآن " ودخل المدينة علي حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي من عدوه فوكزه موسي فقضي عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم " [٢] وهنا نجد دعاء سيدنا موسي ، كما نجد إجابة الله تعالي له . وفي السورة نفسها نجد عدة دعوات ولكل منها حالة تخالف الأخرى . فعندما أراد الملأ قتله ونصحه الناصح بأن يخرج من المدينة وخرج قال تعالي " فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين " [٣] . والآية بعدها مباشرة يقول رب العزة " ولما توجه تلقاء مدين قال عسي ربي أن يهديني سواء السبيل " [٤] وعندما سقي للمرأتين تولي إلي الظل ودعا بهذا الدعاء كما جاء في الذكر الحكيم " فسقي لهما ثم تولي إلي الظل فقال رب إني لما أنزلت إليك من خير فقير " [٥] ولما دعا بهذا الدعاء والذي قبله استجاب الله تعالي له كما

---

١ رواه الترمذي ٥/٥٢٩ ، والمستدرك ١/ ٦٨٤
٢ سورة القصص الايتان ١٥ ، ١٦
٣ سورة القصص الاية ٢١
٤ سورة القصص الاية ٢٢
٥ سورة القصص الاية ٢٤

حكي القرآن الكريم فبعد الآية السابقة جاء مباشرة قوله تعالي " فجاءته إحداهما تمشي علي استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين " ولما أمره ربه بالذهاب إلى فرعون وملائه قال كما جاء في السورة نفسها " قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن أتبعكما الغالبون "[1] ومن إعداد العدة . وشحذ الهمة ، وإتخاذ الوسائل المعاونة والمعينه للداعية كي ينجح في أداء رسالته ، ويتم توصلها بأرق أسلوب ،وأعذب سبيل حتى يتمكن المدعو من استيعاب الدعوة ،وحتى إذ تحجر المدعو ولم تنفعه تلك الأساليب فإن الداعي يكون قد بذل قصارى جهده في الدعوة وقد أدى رسالته ، ومثال هذا الموقف ما جاء في سورة طه يقول تعالى " إذهب إلى فرعون إنه طغى . قال رب أشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لسان يفقهوا قولي . واجعل لي وزيرا من أهلي . هارون أخي . أشدد به أزرى . وأشركه في أمري . كي نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . إنك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سؤلك يا موسى "[2] ونلحظ سريعا : طلب سيدنا موسى من ربه مؤازرة أخيه هارون للعون على التسبيح والذكر والشكر ، وأداء الرسالة وليس تعاونا في الإفساد أو إذلال الناس ، كذلك نلحظ مادام الدعاء بخير فقد أجاب الله تعالى الدعاء فقال " قد أوتيت سؤلك " ومن المعلوم أن ذكر الله تعالىيعين علي قضاء الحاجات وبخاصة في شأن الدعوة قال تعالي " اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا في ذكرى "[3] وألونى : الضعف والفتور والإعياء ، والمعني ولا تبطئا ولا تكلا في ذكرى وتحميدى وتمجيدى إذا قدمتما على فرعون ، فإن ذلك عون

---

[1] سورة القصص الايتان ٣٣ :٣٥
[2] سورة طه الايات من ٢٥ : ٣٦
[3] سورة طه الايه ٤٢

لكما على مخاطبته ومجاوبته ، وأداء النصيحة إليه وإقامة الحجة عليه ١ وقد جاء في حديث قدسي " إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه " ٢ وقد قال تبارك في القرآن الكريم "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فأثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " ٣ وعلى ذلك فذكر الله تعالى وقت الشدة والكرب من أجلّ الذكر لأن الشدة عند وقعها قد تذهل الإنسان عن ذكر ربه ، ومن دعاء سيدنا موسي عليه السلام لما طغي فرعون وملؤه ولم يستجبوا لدعوة سيدنا موسي وأخيه رغم الحجج البالغة والآيات الواضحة والأسلوب اللين الرقيق رغم كل ذلك فإن فرعون وملأه لم يستجيبوا للدعوة فدعا عليهم موسي بهذا الدعاء "وقال موسي ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينه وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنـــوا حتى يروا العذاب الأليم . قـــال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون " ٤ . وارقب معي نكتتين

الأولي : طلب موسي عليه السلام من ربه عز وجل أن يرسل معه أخاه هارون نبيا ، وهذا قمة الحب والمودة والصفاء والنقاء بين الأخوة ، وهذا درس لنا جميعا فإن في زماننا هذا إخوة يتباغضون ،ويتحاقدون ويكره كل منها الآخر ويتعالى الأخ على أخيه ويتمني وضعا وحالا وظروفا أفضل من أخيه ويتنافسا في مآرب الدنيا ،وهذه الخصومات تنتقل إلى ذريتهما ، وما هكذا ينبغي أن تكون علاقة الأخ بأخيه .... ولاسيما من يعملون في حقل الدعوة .

الثانية : أن سيدنا موسي دعا ربه على فرعون وقومه وحده دون هارون ولكن في الاستجابة قال تعالى "قد أجيبت دعوتكما "أي جمع الأثنين وقال العلماء إن موسي كان يدعو وهارون كان يؤمن على الدعاء والداعي والمؤمن في الأجر سواء ومن دعاء سيدنا موسي كذلك لما أجمع فرعون على ملاحقة موسي ومن

---

١ انظر :الجامع لأحكام القران للقرطبي ٤٣٧١\١٦ وقصص الأنبياء لابن كثير ص ٣٢٠
٢ السنن ٣٦٥\٢ الدار السلفيه ، الهند
٣ سورة الانفال الآيه ٤٥
٤ سورة يونس الايتان ٨٩\٨٨ .

معه قال تعالى " فأتبعوهم مشرقين. فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسي إنا لمدركون . قال كلا إن معي ربي سيهدين. فأوحينا إلى موسي أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . و أزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسي ومن معه أجمعين. ثم أغرقنا الآخرين "١ وفي سوره الدخان نجد هذا المشهد وفيه دعاء سيدنا موسي وإجابة الله تعالى لدعائه عقب الدعاء مباشرة ، ويدل على ذلك مجي الفاء عقب دعاء سيدنا موسي هنا وفي المشاهد السابقة_ كما ترى عزيزي القارئ _ يقول تعالى "ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول الله كريم. أن أدوا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين . وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين . وإني عزت بربي وربكم أن ترجمون . وإن لم تؤمنوا إلى فاعتزلون. فدعاء ربه أن هؤلاء قوم مجرمون. فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون . واترك البحر رهوا إنهم جند مغرفون " ٢ ونختم ادعية لسيدنا موسي بهذا الدعاء وهو : لما انتدب سيدنا موسي قومه لدخول الأرض المقدسة وتأبوا عليه ، دعا ربه وقد استجاب ربه لدعائه اقرأ معي قوله تعالى " ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسي إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسي إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . قال رب إني لا أنك إلا نفس وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنه يتيهون في الأرض فلا تأس على القـــوم الفاسقين "٣ .

---

١ . سورة الشعراء الآيات ٦٠ :٦٦
٢ سورة الدخان الآيات ١٧ :٢٤
٣ سورة المائدة الايات ٢١ : ٢٦

عاشرا : فرق بين أصحاب موسي وأصحاب محمد :

والشيء بالشئ يذكر والحديث يذكر بعضه بعضا ، فإن هذا المشهد من سورة المائدة وموقف قوم موسي منه حين دعاهم لدخول الأرض المقدسة ، وإن حدث قتال فلهم أن يثبتوا ويقاتلوا مع سيدنا موسي نبيهم ورسولهم إلا أن ردهم جاء مخزيا ، وحتى أسلوبهم في الرد عليه كان في غاية السفاهة " فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " هؤلاء هم أصحاب موسي ، تعالى معي وارقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتدب أصحابه لقتال الكفار يوم بدر – مثلا – لم يقفوا هذا الموقف ،ولم يتقولوا بمثل هذه المقولات الذميمة ، والدالة على الذلة والخور ، وضعف العقيدة ، وعدم التأدب بأدنى حدود اللياقة والأدب حتى في جوابهم ، لم يفعل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم شيئا من هذا ألبتة ، بل على العكس من ذلك بالتمام والكمال ، وفي التاريخ صدق كلامي ، ولو أقسمت ففي التاريخ والمواثيق بر يميني ، ويتحدث التاريخ عن موقفهم ، ويسجله بحروف من نور ، تتلألا في جبين الزمن ، وتظل مواقفهم تدوي في خلد الدنيا ، يسمعها القاصي والداني ، المسلم والكافر ، وليشهدوا جميعا في كل وقت وفي كل مصر : أي الفريقين أهدي سبيلا ، وأقوم قيلا ، أصحاب موسي أم أصحاب محمد ، يقول التاريخ ، وكتب التراجم وأصحاب السير ، وكتب السنة : لما استشار رسول الله صلى الله علية وسلم أصحابه في الذهاب إلى النفير ، تكلم الصديق فأحسن ، وتكلم عمر فأحسن ، وتكلم غيرهم من المهاجرين فأحسنوا ... ثم جعل يقول " أشيروا على " حتى قال سعد بن معاذ : كأنك تعرض بنا يارسول الله ! فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسربنا على بركة الله فسر رسول الله صلي الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه لذلك .. ويقول التاريخ ، وتقول السنة : " إن المقداد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : يا رسول الله ... إنا لا

نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسي " فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك ، وسر بذلك ،بل جاءت الأبناء تقول : إن كل الأنصار فردا فردا قالوا ذلك أو عبر عن رأيهم المقداد ، وسعد ،حتى قالوا : إذن لا نقول لك كما قال بنوا اسرائيل لموسي – الآية – والذي بعثك بالحق لــــو ضربت أكبادها إلى بــرك الغماد ١ لأتبعناك ٢ وجاء كلام بليغ ومؤثر ومثلج يكشف عن عقيدة راسخة ، وإيمان لا يتزعزع ، ويفصح عن رجال من طراز فريد ، صادقين ، شجعان ، بواسل ، أقوياء ، عباقرة ، جهابذة ، أفذاذ .... يقول قائلهم وهو – سيدنا سعد بن معاذ : يا رسول الله إيانا تريد ، فوالذي أكرمك ، وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ، ولا لي بها علم ، لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسي " فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره ، فأنظر الذي أحدث الله إليك فأمعن : فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن على قول سعد " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون " ٣ . وقالوا كذلك : خذ من أموالنا ماشئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت به من أمرنا تبع لأمرك ،٤ فأين الثري من الثريا ، وأين التراب من التبر ، هؤلاء هم أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هم الرجال وحدهم ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء والرسل وأفضلهم ، فإن أمته هي خير الأمم ، وأفضل الأمم وذلك بخيرية وأفضيلة نبنيهم ورسولهم ، وإذا

---

١ برك الغماد :مكان باليمن ،أو هو أقصي معمور الأرض في عهدهم
٢ انظر قصص الأنبياء ابن كثير ص ٣٦٥ \ ٣٦٦
٣ سورة الأنفال الاية ٥
٤ انظر :قصص الأنبياء لا بن كثير وانظر :البداية والنهاية ،ابن كثير ٣٠٨\٢ ،دار الغد العربي

كانوا هم كذلك ، فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير الأمة على الإطلاق [١]

دعاء سيدنا سليمان عليه السلام :

يوجد في القرآن الكريم دعوات لسيدنا سليمان عليه السلام اذكر منها اثنتين :

الدعوة الأولي :

جاءت في المشهد القرآني الكريم في قوله تبارك وتعالى " وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه واد خلني برحمتك في عبادتك الصالحين [٢]

والدعوة الثانية :

جاءت في المشهد القرآني الحكيم وذلك في قوله تبارك وتعالى " ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد . فقال إني أجببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توا ت بالحجاب . ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق . ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب . قال رب أغفر لي وهب ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الأصفاد . هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب . وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب "[٣]

---

١ لو وفق الله تعالى باحث وكتب في هذا الموضوع لكان موضوعا طيبا ويكون تحت عنوان :بين أصحاب موسي وأصحاب محمد ،مثلا، أو بين رجال حول موسي ورجال حول محمد صلى الله تعالى عليها وسلم ،مثلا ،وسيأتي المذ ايد من مزا يا أمه محمد صلي الله عليه وسلم

٢ سورة النمل الايات ١٧ \ ١٩

٣ سورة ص الآيات ٣٠ \ ٤٠

دعاء سيدنا زكريا عليه السلام :

ولسيدنا زكريا حالة خاصة ، فقد كان من أمره ، أنه اشتعل الشيب في رأسه ، ووهن عظمه ، وبلغ من العمر عتيا ، ولم يرزق بمولود ، وحن قلبه للولد ، وكانت امرأته هي الأخرى عاقر ، وحتى في حال شبيبتها ، أما وقد أسنت .. وقد رأي وهو في هذه الحالة كرامة كبري للسيدة مريم إذ كان يأتيها رزقها على حالة عجيبة ، هنا طمع في فضل الله تعالى ورحمة وكرمة ودعا مولاه أن يهب له مولودا ، وقد أجاب الله تعالى دعاءه ، أقرأ معي هذه المشاهد لتجد تحقيق ذلك وهو عبرة لنا حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمة ، ولا يقنط ، فالله كريم وقادر على كل شي ، وقد أمر الله تعالى نبيه ورسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقص على الناس خبر سيدنا زكريا ، وقد جاء ذلك في مواضع متعددة في القرآن الكريم منها : يقول الله تبارك وتعالى " وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . قال رب أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك يفعل الله ما يشاء "[١] وأرقب معي أن البشارة جاءت لسيدنا زكريا في المحراب وهو يصلى لله تعالى والذي أرمقه هنا أن الصلاة مفتاح الفرج ، وبها يفتح الله تعالى مغاليق الأمور وقضاء الحاجات وتحقيقه المرغوب وتيسير كل عسير .. وفي مشهد آخر يقول سبحانه وتعالى " كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل

---

[١] سورة ال عمران الايات ٣٧: ٤٠

سميا . قال رب أني يكون لي غلام وكانت أمراني عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا " ١ . وقد حدث الشيء نفسه مع سيدنا إبراهيم الخليل " أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون " ٢ وقالت سارة زوجة الخليل عندما بشرت أنها تلد قالت " يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد " ٣ ويوجد مشهد آخر يوضح أن التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة يحقق المطلوب والمرغوب وهذا واضح من شأن سيدنا زكريا وأهل بيته اقرأ معي قوله تعالى " وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين "٤

دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إن الدعاء الذي في القرآن الكريم كله هو من إخبار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما أوحاه الله تعالى إليه والذي أمره ربه جل شأنه أن يبلغه للناس جميعا ، وهناك دعوات كثيرات في القرآن المجيد لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم دعاها صلى الله عليه وسلم واستجاب الله تعالى له اذكر منها قوله تعالى مثلا في شأن غزوة بدر " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين " ٥ وقد جاء في السنة في فيض من دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأدعية كثيرة في أشياء كثيرة ، وأحوال متعددة أذكر منها طرفا ، ونسبح سبحا ليس بالطويل حتى لا نطيل " فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا جنتك

---

١ - سورة مريم الايات ١: ٩
٢ - سورة الحجر أية ٥٤
٣ سورة هود الايتان ٧٢ \ ٧٣
٤ - سورة الأنبياء الايتان ٨٩ \ ٩٠
٥ - سورة الأنفال الاية ٩

ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ،ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا " ١ "وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : اللهم إني أسألك الهدي والتقي والعفاف والغني "٢ وعن الاستغفار علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار " فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء ٣ لك بذنبي فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال : من قالها من النهار مؤقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهـــو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو مـــن أهل الجنة " ٤ ومن دعائه صلى الله عليه وسلم إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوء ك للصلاة ثم أضجع على شقك الأيمن وقل اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول فقلت : استذكرهن أي أخذت أردد ذلك لأحفظها وبرسولك الذي أرسلت قال : لا ونبيك الذي أرسلت" ٥ وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء له " اللهم اجعل في قلبي نوار ، وفي بصري نوار وفي سمعي نوار ، وعن يميني نوار ، وعن يساري نوار ، وفوقي نوار ، وتحتي نوار ، وأما مي نوار وخلفي نوار ، واجعل لي نوار ، قال كريت وسبع في التابوت ٦ فلقيت من ولد العباس فحدثني

---

١ رواه الترمذي في الدعوات رقم ٣٥٦٩ ،والحاكم بمعناه ١\ ٥٢٨٠
٢ أخرجه مسلم في الذكر والدعاء باب في الأدعية ١٧ \ ٤١ ،وأحمد ١\ ٤١١٠
٣ أبوء :معناها في الاثنين :اعترف
٤ أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار ١١\٨١٠
٥ أخرجه البخاري في كتاب الدعوات إذا باب : إذا بات طاهرا ١١ \ ٩١
٦ التابوت هنا الصدر الذي هو وعاء القلب أو هو الأضلاع وما تحويه من القلب وغيرها تشبيها بالتابوت الذي يحرز فيه المتاع

بهن فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وذكر خصلتين "١ ومن الدعاء في الصلاة " عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال : قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فأعفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم " ٢ وعلمنا رسول الله صلي الله عليه وسلم دعاء عند الكرب " فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:- كان النبي صلي الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول : لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم " ٣ . وقد ذكر ابن حجر آثار طيبه بهذا الدعاء لا بأس بذكر شيء منها قال ابن بطال حدثني أبو بكر الرازي قال : كنت بأصبهان عند أبي نعيم اكتب الحديث وهناك شيخ يقال له أبو بكر بن علي عليه مدار الفتيا فسعي به عند السلطان فسجن فرأيت النبي صلي الله عليه وسلم وجبريل علي يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لايفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لأبي بكر بن على يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه قال : فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليلا حتى أخرج وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة له من طريق عبد الملك بن عمير قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان : انظر الحسن بن الحسن فأجلده مائة جلدة وأقفه للناس قال : فجيء به فقام إليه على بن الحسن فقال يا ابن عم : تكلم بكلمات الفرج يفرج الله عنك .. فقالها فرفع إليه عثمان رأسه ، فقال : أرى وجه رجل كذب عليه خلوا سبيله فأكتب إلى أمير المؤمنين بعذره فأطلق ... ولما زوج عبد الله بن جعفر ابنته قال لها : إن نزل بك أمـــر فاستقبليه بأن تقولي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، قال الحسن : فأرسل إلى الحجاج فقلتهن ، فقال ، والله لقد أرسلت إليك وأنا أريد أن أقتلك ، فلا أنت اليوم أحب إلى من كذا وكذا ، وزاد

---

١ أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من النوم ١١/ ٩٧

٢ أخرجه البخاري في الدعوات ، باب الدعاء في الصلاة ١١٠/١١

٣ أخرجه البخاري في الدعوات ، باب : الدعاء عند الكرب ١٢١/١١

في لفظ فسل حاجتك)[١] هذا وسيأتي المزيد في بيان من استجاب الله تعالى لدعائهم . وكان صلى الله عليه وسلم يدعو للمولود ولأصحابه ولأبنائهم من ذلك " قال أبو موسي ولد لي مولود ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة " [٢] ومن ذلك " عن أنس قال : قالت أم سليم أنس خادمك – أي خادم لرسول الله صلى الله عليه وسلم – ادع الله له قال صلى الله عليه وسلم – اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته " [٣] بل إن الرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه لمن دعا الرسول الله صلى الله عليه وسلم عليه من أصحابه من ذلك مثلا " عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك لــــــه قربـــــــة إليك يوم القيامة "[٤] وكان صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابة ونحن من بعدهم بأدعية كثيرة تنفعهم من ذلك دعاء الاستخارة ونص الحديث "عن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري أو قال عاجل أمري وآجلة فاقدره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضي به " [٥] وجاء في الفتح (قال ابن أبي حجرة الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة فيحتاج إلى قرع باب الملك ، ولا شيء لذلك أنجع ولاأنجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه

---

١ فتح الباري ابن حجر ١١\١٢٣

٢ أخرجه البخاري في كتاب :الدعوات باب :الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رءوسهم ١١\١٢٥

٣ أخرجه البخاري في الدعوات باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة ١١\١٥٢

٤ أخرجه البخاري في الدعوات باب قول النبي صلى الله عليـــه وسلم من اذيته فأجعله له زكاة ورحمة ١١/١٤٣

٥ أخرجه البخاري في الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة ١١\١٥٣

والافتقار إليه مآلا وحالا)١ " وعن أنس قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم آتنا في الدنيا حسنه وفي الآخرة حسنه وقنا عذاب النار "٢ وعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء عندما يأتي أحدنا أهله " فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا "٣ وإذا قاتلنا الأعداء ، فلنعد لهم العدة ونسأل الله النصر عليهم ، فلقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم على المشركين في مواطن عدة منها " عن ابن أوبي أو في رضي الله عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اهزمهم وزلزلهم " ٤ وكذلك " عن على بن طالب رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فقال : ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطي حتى غابت الشمس وهي صلاة العصر "٥ ومن فضل الله تبارك وتعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة بهم أن جعل دعاء المسلمين مستجاب في أعدائهم ، ودعاء أعدائهم غير مستجاب في أمه الإسلام وقد جاء في ذلك حديث صحيح " فعن عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام – الموت – عليك قال : وعليكم فقالت عائشة : السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ، قالت أو لم تسمع ما قالوا ، قال : أو لم تسمعي ما قلت ، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ، ولا يستجاب لهم في " وما يجري على رسولنا الكريم يجري بأذن الله تعالى على أمته والدليل ما عنون به البخاري هذا

---

١ فتح الباري ١١\١٥٥
٢ أخرجه البخاري في الدعوات باب قول النبي صلى الله علية وسلم :ربنا اتنا في الدنيا حسنه ١١\ ١٥٩
٣ أخرجه البخاري في الدعوات باب ما يقول إذا أتي أهله ١١\١٥٩
٤ أخرجه البخاري في الدعوات باب الدعاء على المشركين ١١\١٦١
٥ أخرجه البخاري في الدعوات باب الدعاء على المشركين ١١\١٦٢

وقال باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا " البخاري الدعوات ١٦٦\١١

"وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لي هزلي وجدي ، وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي "[١] وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإستغاذة بالله من أشياء كثيرة منها " عن سعد بن أبي وقاصي رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتاب : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن نرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر " [٢] "وعن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال " [٣] "وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء "[٤] وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى دخول الخلاء " فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " [٥] هذا وتوجد أدعية كثيرة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكتفي منها بما سبق

حادي عشر : دعاء الصالحين :

أمة الإسلام رجالها بررة ، ولا يخلو جيل منها إلا وفيها الصالحون إلى يوم القيامة ومن علامات الصلاح فيهم أن لهم دعوات مستجابات كثيرة ذكرتها كتب التراجم والسير ، وسجلها التاريخ وسوف أسير معك أيها القاري

---

[١] - أخرجه البخاري في الدعوات باب قول النبي الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لي ١٦٥\١١

[٢] - أخرجه البخاري في الدعوات باب التعوذ من فتنة الدنيا ١٦٠\١١

[٣] - أخرجه البخاري في الدعوات باب :الاستعاذة من الجبن والكسل ١٤٩\١١ ومعني ضلع الدين :ثقل الدين وشدته حيث لا يجد من علية الدين وفاء ولا سيما مع المطالبة انظر :فتح الباري ابن حجر ١٤٥\١١

[٤] - أخرجه البخاري في الدعوات باب التعوذ من جهد البلاء ١٢٣\١١

[٥] - أخرجه البخاري في الدعوات باب الدعاء عند الخلاء ١٠٨\١١

الكريم في هذا البستان الرائق فننتقل من رياض إلى رياض ، ونستنشق زهرة بعد أخري ولكل زهرة ريحيقها ، ولونها الجذاب وحتى لا نطيل ونحن نطوف حول أسوار البستان هيا بنا ندخل فيه ، وسنجد بإذن الله تعالى ما يشبعك ويسرك ، ويشرح صدرك ويحبنذك ويشحذ همتك إلى الإقتداء بهم والمضي على درب الصالحين حتى تكون مثلهم ، والتشبه بالرجال فلاح كما يقال : لكن دعونى أيها القراء الأفاضل أن أبدأ بهذه البداية الربانية ، واستفتح هذا الموضوع بأعذب وأجمل وأبلغ الكلام على وجه الإطلاق ، حيث ذكى رب العزة أصحاب نبيه ورسوله رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وجمعنا الله برحمة وفضله بهم في مستقر جنته ، وتزكية الله تعالي لأصحاب محمد صلي الله عليه وسلم وهم علي رأس الصالحين كثيرة جدا في الذكر الحكيم لكن نكتفي بهذه الآية لندخل عليهم قال تبارك وتعالي " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا " ١ وبعد أن شرح ابن كثير هذه الآية الكريمة ووضح أن المشركين جاءوا إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهم أشراف القوم لكنهم صناديد الكفر ، وحاولوا جاهدين أن يطرد رسول الله صلي الله عليه وسلم هؤلاء الاعابد الفقراء ، ومن ثم يجلسون معه ويؤمنون به فنزلت هذه الآية ونزلت أيضا آيات سورة الأنعام ٢ في شأن هؤلاء وهؤلاء ولكن الذي أود أن ذكره هنا هو الحديث الذي به تظهر عظمة هؤلاء الأصحاب لتزكية الله تعالي لهم " فعن عبد الرحمن ابن سهل ابن حنيف قال : نزلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي " الآية ، فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالي منهم ثائر الرأس ، وجاف الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم جلس معهم

---

١ سورة الكهف الاية ٢٨

٢ اقرأ الايات من ٥٢ : ٥٥ من سورة الأنعام ، واقرا اسباب النزول للسيوطي ص ٧٩ ، المكتبة التوفيقية بدون

وقال : الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم " [١]
إن هؤلاء السلف ومن بعدهم الخلف كانت لهم دعوات مستجابات ، وإليكم جميعا هذه النماذج ، وقد تمتد الرحلة معهم بعض الشيء ، لكنها رحلة ممتعة ، وسياحة رائعة تستنشق منها أذكي عبير وأريج ، وتقتطف منها أجمل الأزاهير ، وتتزود منها بأشهي مطالب النفس ، وتعود منها وأنت في غاية البهجة والسرور ، وترجو العودة إليها مرارا وتكرارا ، وتشحذ همتك إلي المسير في رحاب هؤلاء الصالحين ، حتى تفوز كما فازوا ، وتحظي بالرضـــا كما حظوا ، ويستجاب لك كما استجيب لهم ، وتهدأ النفوس ، وتطمئن القلوب ، وتستريح الأعضاء والأعصاب . ويزداد اليقين بالله جل جلاله ، والرضا عن الإسلام ورسوله ، والافتخار والاعتزاز بهما ، ودعوة الناس كل الناس إليها .

فعن شداد بن أوس قال : قال النعمان بن نوفل يوم أحد : اللهم إني أقسم عليك أن أقتل فأدخل الجنة ، فقتل ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : إن النعمان أقسم علي الله فأبره ، فلقد رأيته يطأ في خضرها ما به من عرج) [٢]

(وعن الحسن عن أنس قال : كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار يكني أبا معلق وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الآفاق ، وكان ناسكا ورعا ، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له : ضع ما معك فإني قاتلك ، قال : ما تريد إلى دمي ؟ شأنك بالمال ، قال أما المال فلي ، ولست إلا دمك ، قال أما إذا أبيت فذرني أصلي أربع ركعات قال : صلي ما بدا لك فتوضأ ثم صلى أربع ركعات ، فكان من دعائه في أخر سجدة أن قال :يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا فعال لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام ، وبنوورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص ، يا مغيث أغثني ، يا مغيث اغثنني ثلاث مرات قال (دعا بها ثلاث مرات

---

١ تفسير القران العظيم ابن كثير ٨٠/٣ ، وانظر أسباب النزول ، السيوطي ص ١٤٠ ، ٢١٠ ، والحديث قال عنه ابن كثير : رواه الطراني .

٢ انظر مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا تحقيق وتعليق مجدي السيد ابراهيم ص ٦٢ مكتبة القران بدون ، وانظر : الإصابة ، لابن حجر ٥٦٤/٣

، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربه واضعها بين أذني فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله ، ثم أقبل إليه ، فقال قم ، قال : من أنت بأبي أنت وأمي ؟ فقد أغاثني الله بك اليوم قال : أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول ، فسمعت لأبواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة ، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي : دعاء مكروب ، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله قال أنس : فاعلم أنه من توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب)[١] وشبيه بهذا ما ذكره ابن كثير في ترجمة رجل عند ابن عساكر قال هذا الرجل كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق عن غير مسلوكه فقال لي خذ في هذه فإنها أقرب فقلت : لا خبرة لي فيها فقال بل هي أقرب فسلكناها فأنتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلي كثيرة فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنزل ، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكينا معه وقصدني ففررت من بين يديه وتبعني فنا شدته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لي وإنما أريد قتلك ، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه ، وقلت إن رأيت أن تتركني حتي أصلي ركعتين فقال : وعجل فقمت أصلى فأرتج على القرآن ، فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفا متحيرا ، وهو يقول : هيه أفرغ ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى " أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء " فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربه فرمي بها الرجل ، فما أخطأت فؤاده ، فخر صريعا ، فتعلقت بالفارس ، وقلت : بالله من أنت ؟ قال أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، قال : فأخذت البغل والحمل ورجعت سالما) [٢] وقالوا :إن قصة أبا مغلق التي جاءت في كتاب مجابوا الدعوة : دعوته دعوة المكروب والتي أوردها ابن كثير في تفسيره دعوته دعوة المضطر وإن كانا متشابهين والله

---

[١] محابو الدعوة ابن أبي الدنيا ص ٦٣ وانظر أسد الغابة ٦/٢٩٥ الإصابة مختصرا ٤/ ١٨٢

[٢] تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٧١

أعلم وسيأتي حديث جريج إن شاء الله في مبحث أبو الصهباء والكرامة (وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نفر من مني أناخ بالأبطح ثم كوم كرمة من بطحاء فألقي عليها حرف ردائه ثم استلقي ورفع يديه إلى السماء ثم قال : اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات رحمه الله)[١] (وكان رجلا قد يبس وشحب من العبادة فقيل له : ما شأنك قال : إني كنت حلفت أن ألطم عثمان فلما قتل جئت فلطمته فقالت لي امرأته : أشل الله يمينك وصلى وجهك النار فقد شلت يميني وأنا أخاف)"[٢] وعن جابر بن سمرة قال : – شكا أهل الكوفة سعدا – سعد بن أبي وقاص – إلى عمر رضي الله عنه فعزله ، واستعمل عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى قال أبو إسحاق : أما والله فإني كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخْرِم – لا أنقص – عنها أصلى صلاة العشاء فأركد في الأوليين – أطول فيهما القراءة – وأخف في الأخريين قال ذلك الظن بك يا أبا إسحاق فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه ويثنون معروفا حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكني أبا سعدة قال أما إذا نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال سعد أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه بالفتن ، وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد . قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن)[٣] قال ابن حجر (ومن أعجب العجب أن سعدا مع كون هذا الرجل واجهه بهذا وأغضبه حتى دعا عليه في حال غضبه راعى العدل

---

١ - مجابو الدعوة ص ٦٤ وانظر حلية الأولياء ١\٥٤١

[٢] الرجع السابق ص ٦٨ وأوردها بن كثير في البدايه ٧ / ٢١٠

[٣] - أخرجه البخاري في كتاب :أبواب الاذان ،باب :وجوب القراءة للامام والمأموم ٢\ ١٨٧

والإنصاف في الدعاء عليه إذ علقه بشرط أن يكون كاذبا وأن يكون الحامل له على ذلك الغرض الدنيوي) ١ ومن المعلوم أن سيدنا سعد كان معروفا بإجابة الدعوة وذلك استجابة لدعوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا لسعد بأن يكون مستجابة الدعوة في الحديث معناه "اللهم استجب لسعد - أو - اللهم استجب لسعد إذا دعاك " ٢ وكانت دعوة سيدنا سعد مجابة حتى على بعض أبنائة ٣ وفي كتاب مجابو الدعوة شيئا من هذا " وكان إذا سب أحد من الناس أحدا من أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا سيدنا سعد عليه إذا لم ينته مثال ذلك (أن رجلا نال من سيدنا على بن أبي أبى طالب فنهاه سعد فلم ينته فقال سعد أدعو الله عليك ، فلم ينته فدعا الله عليه فما برح حتى جاء بعير ناد أو ناقة نادة فخبطته حتى مات)٤ ،وكذلك (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخرجوا بنا إلى أرض قومنا ، قال : فخرجنا ،فكنت أنا وأبي في مؤخر الناس فهاجت سحابة ، فقال أبي : اللهم اصرف عنا أذاها ، فلحقنا هم وقد ابتلت رحالهم فقال عمر: أما أصابكم الذي أصابنا ؟ قلت : إن أبا المنذر -أبي من كعب - دعا الله أن يصرف عنا أذاها فقال عمر : ألا دعوتم لنا معكم) ٥ ومن ذلك كذلك دعاء السيدة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها (فعن برزة ابنة نافع قالت : لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها ، فلما دخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، لغيري من أخواتي كانوا أقوى على قسم هذا مني - لاحظ الإثيار - قالوا : هذا كله لك قالت : سبحان الله ، واستترت دونه بثوب - لا تريد حتى أن تراه فلاحظ الزهد - وقالت : صبوه واطرحوا عليه ثوبا ، فصبوه وطرحوا عليه ثوبا ، فقالت لي : ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى آل فلان ، وقبضة

---

١ فتح الباري لابن حجر ١٩٠\١٢

٢ المرجع السابق ١٩٠\١٢

٣ مجابو الدعوة ابن أبي الدنيا ص ٧٠ ، ٧١، ٧٣

٤ مجابو الدعوة ابن أبي الدنيا ص ٧٢

٥ مجابو الدعوة ابن أبي الدنيا ص ٧٤ . وقال المحقق في الهامش أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٩٨\١ في ترجمة أبي بن كعب

إلى آل فلان من أيتامها وذوى رحمها ، فقسمته حتى بقيت منه بقية فقالت لها برزة : غفر الله لك ، والله لقد كان لنا في هذا حظ ، قالت : فلكم ما تحت الثوب قالت فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما ثم رفعت يديها فقالت : اللهم لا يدركني من عطاء لعمر بعد عامي هذا قال فماتت) ١ . وفي الدعاء المستجاب من أحد الوالدين على أحد أولادهما العاق جاء (عن رجل من أهل البصره قال مررنا ببعض المياه التي بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار فقلنا لهم ما هذا النهيق ؟ قالوا : هذا رجل كان عندنا فكانت أمه تكلمه بالشيء فيقول لها انهقي نهيقك ، قال غير إسحاق : فكانت أمـــه تقول : جعلك الله حمارا فلما مات : نسمع هذا النهيق عند القبر كـــل ليلة) ٢ ...

وكذلك سيدنا خالد بن الوليد سيف الله (فعن خيثمه قال : أتي خالد بن الوليد برجل معه زق خمر فقال : اللهم اجعله عسلا فصار عسلا) ٣ **وسيدنا صلة**

الذي فتح لنا هذا الفتح الطيب المبارك، وصاحب هذا البستان الأزهـــر. كان رضي الله عنه ينصح رواده ومريديه بكثرة التوجه إلى الله تعالى بالـــدعاء ، كما كانت له دعوات كثيرات ، وكانت له أيضا دعوات مستجابات ، أذكر واحدة من كل ذلك . فعندما سأله تلميذه أبو السليل أن يعلمه فكان مما قاله لـــه (وأكثـــر من دعاء الله تعالى ما استطعت)٤ وكان يدعو لنفسه وقت السحر ويقول (اللهـــم إن صلة ليس أهلا أن يسألك الجنة ، ولكن سترا من النار)٥ وفي روا ية أخـــري (كان يحمد الله بمحامد لم يسمع بمثلها ويقول : اللهم أسألك أن تجيرني من النار ، أمثلي يجترىء أن يسألك الجنة ٦ . ومن دعاءه المستجاب (عن حماد بـــن جعفر بن زيد العبدي عن أبيه قال : خرجنا غزاة إلي كابل وفي الجيش صـــلة بن أشيم ، فلما دنونا من أرض العدو قال الأمير : لايشذن مـــن العســـكر أحـــد ،

---

١ مجابو الدعوة وأوردها أبو نعيم في الحلية ٢\ ٥٤ وابن الجوزي في صفة الصفوة ٢ \٤٩

٢ مجابو الدعوة ابن أبي الدنيا ص ٨٤ وجاء في الهامش أوردهـــا الحافظ ابن رجب في أهـــوال القبور ص ٨٤

٣ مجابو الدعوة ص ٨٨ وأوردها ابن حجر في الإصابة ١\ ٤١٤

٤ حلية الأولياء ٢\٢٣٧

٥ المرجع السابق ٢ \ ٢٤٠

٦ المرجع السابق ٢/٢٤٠ ، وانظر : الزهد ابن المبارك ٢٩٥

فذهبت بغلة صلة بثقلها ، فأخذ يصلي ، فقيل إن الناس قد ذهبوا فقال : إنهما خفيفتان ، قال : فدعا ، ثم قال : اللهم إني أقسم عليك أن ترد علي بغلتي وثقلها ، قال : فجاءت حتى قامت بين يديه)١ ، ومن دعاء سيدنا عبد الله بن شقيق (عن الجريري قال كان عبد الله بن شقيق مجاب الدعوة كانت لاتمر به السحابة فيقول : اللهم لا تجوز موضع كذا وكذا حتى تمطر فلا تتجاوز ذلك الموضع حتى تمطر) ٢ . وممن كان لهم دعاء مستجاب صفوان بن محرز (فعن ثابت البناني قال أخذ عبيد الله بن زياد ، ابن أخ لصفوان بن محرز فحبسه في السجن فلم يدع صفوان شريفا بالبصرة يرجو منفعته إلا تحمل به عليه فلم ير لحاجته نجاحا فبات في مصلاه حزينا قال : فهوم من الليل فإذا آت قد أتاه في منامه فقال : يا صفوان قام فأطلب حاجتك من وجهها قال فانتبه فزعا فقام فتوضأ ثم صلى ثم دعا فأرق ابن زياد فقال : على بابن أخي صفوان بن محرز فجاء الحرس وجيء بالنيران ففتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل فقيل :أين بن أخي صفوان أخرجوه فإني قد منعت من النوم منذ الليلة فأخرج فأتي به ابن زياد فكلمه ثم قال : انطلق بلا كفيل ولا شيء فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابن أخيه بابه قال صفوان : من هذا ؟ قال : أنا فلان قال فأي هذه الساعة فحدثه الحديث)٣ . ومن دعاء سيدنا سعيد بن المسيب رضي الله عنه فيمن كان يسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن على بن جدعان قال : كنت جالسا إلى سعيد بن المسيب فقال : يا أبا الحسن مر قائدك يذهب بك فتنظر – أو ينظر إلى – وجه هذا الرجل وإلى جسده فانطلق قال : فإذا وجهه وجه زنجي وجسده أبيض فقال سعيد : إني أتيت على هذا وهو يسب طلحة والزبير وعليا رحمة الله عليهم فنهيته فأبي فقلت إن كنت كاذبا فسود الله وجهك فخرجت في

---

١ أنر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٧٠/٦ ابن لجوزي ، وأنظر : مجابوا الدعوه ص ٩٠ ، وانظر : صفة الاصفوة ٢١٨/٣

٢ صفه الصفوة ابن لجوزي ٣\٢١٣ وانظر :مجابو الدعوة ص ٩١ومات عبد الله بن شقيقه سنه ١٨٠ أو بعدها بقليل

٣ أبو نعيم في الحلية ٢\٢١٤ وابن الجوزي في صفه الصفوان ٣\٢٢٨ ومجابو الدعوة ص٩٤

وجهه قرحة فاسود وجهه)[١] . ومن دعاء سيدنا سعيد بن جبير (أخبر أصبغ بن زيد الواسطي قال : كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم من الليل بصياحه قال : فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح ، فلم يصلي سعيد تلك الليلة - تهجد - فشق عليه فقال : ماله قطع الله صوته قال فما سمع له صوت بعدها فقالت أمه : لا تدع على شيء بعدها) [٢] . وكان أبو مسلم الخولاني)[٣] رحمه الله مشهورا بين الناس أنه مستجاب الدعوة حتى بين الصبيان (فعن بلال بن كعب قال : كان الظبي يمر بأبي مسلم الخولاني فيقول له الصبيان : يا أبا مسلم ادع لنا ربك يحبس علينا هذا الظبي فيدعو الله فيحسبه حتى يأخذوه بأيديهم)[٤] . ومن ذلك أيضا ما جاء عن عثمان بن عطاء قال أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله مسلم ، فإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته ، قال : فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام فيأكل ، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه ثم أتي باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه ، وإذا البيت ليس فيه سراج وإذا هي جالسة بيدها عود في الأرض تنكت به فقال لها : مالك ؟ قالت : الناس بخير وأنت أبا مسلم لو أنك أتيت معاوية فيأمر لنا نجادم ويعطيك شيئا نعيسن به فقال اللهم من أفسد على أهلي فأعم بصره قال وكانت أتتها امرأة فقالت أنت امرأة أبي مسلم فلو كلمت زوجك يكلم معاوية ليخدمكم ويعطيكم قال فبينا هذه المرآة في منزلها والسراج يزهر إذا نكرت بصرها فقالت سراجكم طفيء قالوا لا قالت إنا لله ذهب بصري فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم امرأته إلى حالها التي كانت فيه)[٥] وتذكر المراجع (عن حميد بن هلال قال كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء فكذب على مطرف فقال له مطرف إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك قال فمات الرجل مكانه قال فاستعدي أهله زياد أعلى مطرف فقال لهم زياد هل ضربه ؟هل مسه بيده ؟فقالوا

---

١ سير أعلام النبلاء ، الزهبي ٤\٢٤٢ ،ومجابو الدعوة ص ١٠٠
٢ المرجع السابق ص ١١١ وانظر صفه الصفوة ٣\٧٨ حلية الأولياء ٤\٢٧٤
٣ انظر ترجمة في الحلية ٢ \١٢٢ تاريخ الثقات ص ٥١١ والتهذيب ١٢\ ٢٣٥ واسمه عبد الله بن ثوب
٤ مجابو الدعوة وانظر الحلية ٢\١٢٩ وصفه الصفوة ٤\٢١٣
٥ مجابو الدعوة ص١١٢ وانظر الحلية ٢\١٢٩ وصفه الصفوة ٤\٢١١

لا فقال دعوة رجل صالح وافقت دعوته قدرا فلم يجعل لهم شيئا)١ ومن الطرائف الطيبة لمطرف بن عبد الله الذي كان مستجاب الدعوة (أن أرسله رجل يخطب له فذكره للقوم فأبوه ، فذكر نفسه ، فزوجوه ، فقال لـــه الرجل في ذلك : بعثتك تخطب لي ، خطبت لنفسك ، قال : قد بدأت بك قال : كذبت ، قال : اللهـــم إن كان كذب على فأرني به ، قال : فمات مكانه ، فاستعدوا عليه فقال لهم الأمير : ادعوا أنتم عليه كما دعا عليكم)٢

ومن دعاء الصالحين وفي مجالسهم :

(عن عبد الواحد بن زيد قال كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد فجاء رجل فكلم ما لكا وأغلظ له في قسمة قسمها وقال : وضعتها في غير حقها ، وتتبعت بها أهل مجلسك ، ومن يغشاك لتكثر غاشيتك وتصرف وجوه الناس إليك ، قال : فبكي مالك وقال : والله ما أردت هذا ، قال : بلى والله لقد أردته ، فجعل مالكا يبكي والرجل يغلظ له فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ثم قال : اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت ، قال : فسقط والله الرجل على وجهه ميتا ، فحمل إلى أهله على سرير وكان يقال إن أبا محمد مستجاب الدعوة)٣ ..

(وأبصر عتبة الغلام طائرا على الحائط هذا الذي يقال له الأقمر قال : ياطير تعال ، فجاء حتى و قع على يده ،فنظر إليه ثم قال له طر فطار)٤ ودعاء عتبة الغلام ربه (أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا : دعا ربه أن يمن عليه ، بصوت حزين ، ودمع غزير، وطعام من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكي وأبكي ، وكانت دموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب قوته لا يدرى من أين يأتيه)٥

---

١ المرجع الساق ص ١١٤ وقال في إلها من الحلية ٢١\ ٦ ٢٠ وصفه الصفوة ٣\٢٢٦ مجابو الدعوة ص ١١٦
٢ مجابو الدعوة ص ١١٦
٤ المرجع السابق ص ١١٩ وقال المحقق انظر صفة الصفوة ٣\٣١٩
٥ المرجع السابق وقال المحقق الحلية ٦ \٢٣٧ وصفة الصفوة ٣\٣٧٣
٦ مجابو الدعوة ص ١٣٣ وقال الحلة ٦\٢٣٦ وصفه الصفوة ٣\٣٧٣

وروى أن رابعة العدوية كانت تطبخ قدرا فاشتهت بصلا فجاء طائر في منقاره بصله فألقاها إليها)١

وكان من الزاهدين الصالحين المستجاب دعواتهم حيوة بن شريح)٢ وكان دعاء من البكائين وكان ضيق الحال جدا ، فجلس إليه خالد بن الفزر ذات يوم وهو متخل وحده يدعو ، فقلت : رحمك الله لو دعوت الله فوسع عليك في معيشتك ، قال : فالتفت يمينا وشمالا ، فلم ير أحدا ، فأخذَ حصاة من الأرض ، فقال : اللهم اجعلها ذهبا فإذا هي والله تبرة في كفه ، ما رأيت أحسن منها ، قال : فرمي بها إلي ،وقال : ما خير في الدنيا إلا الآخرة ثم التفت إلى فقال : هو أعلم بما يصلح عباده ، فقلت : ما أصنع بهذه ، قال : استنفقها فهبته والله أن أرده ٣

وإلى هنا أتوقف بك أخي القارىء وأختي ألقارئه وأترككم في هذه الرحلة الشيقة تتدبروا أمركم ،وتشحذوا همكم ، وتخلصوا نياتكم ، وتستطيبوا طعامكم وشرابكم ، وتكثروا من ذكرَ ربكم و وترفعوا أكف االضراعة في دجي الليل إلى بارئكمر ، واسألوه لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، من يدرى لعل أحدكم يكون مثل هؤلاء فيستجاب له فينا ، وقبل ترك هذا المكان أود أن أقول إن هناك مئات بل آلاف الآلاف من الصالحين الذي ذكرتهم الكتب من الصالحين الذين دعوا الله تعالى فأستجاب لهم ربهم جل جلاله ، واقتصرت على ذكر هذه النماذج فحسب لنقتدي بهم ، ولكن قبل مفارقة هؤلاء النخبة من الصالحين أقول ، هؤلاء هم أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم ، وهؤلاء هم أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف نزيد في المبحث التالي إن شاء الله وهو مبحث الكرامة واختم هذا المبحث بذكر دعاء بعض الصديقات الصالحات . وقد ادخرته ليكن مسك الختام والتي ورد ذكرهن في القرآن المجيد ومن هؤلاء زوجة فرعون وزوجة عمران

ثاني عشر : مسك الختام

---

١ المرجع السابق ص ١٣٣ وقال المحقق رابعة العدوية هي الزاهدة توفيت سنة ١٨٠ وترجمتها في سير إعلام النبلاء ٨\٢١٥ وصفة الصفوة ٤\٢٧

٢ انظر ترجمة في مشاهير علماء الأمصار ص ١٨٧ وتاريخ الثقات ص ١٣٨ التهذيب ٣\٦٩

٣ سير أعلام النبلاء ٦\٤٠٥ وصفة الصفوة ٤\٣٠٩ مجابو الدعوة ص ١٣٤

دعاء زوجة فرعون : إن فرعون الطاغية تكبر على دعوة الحق وتجبر على عباد الله تعالى وفعل الأعاجيب لتعذيب الناس كما فعل الأعاجيب في الفساد في الأرض ، والأفظع أنه تتبع الموحدين الذين آمنوا لسيدنا موسي وتوعدهم بأشد أنواع العذاب ، وكل هذا مذكور في القرآن الكريم إلا أنه كانت تحته زوجة مؤمنة عرفت الحق واتبعته وآمنت بالله الواحد الأحد ، وخشيت على نفسها من زوجها الباغي الطاغي الفاسد فلمن تلجأ ؟ وهي الزوجة الضعيفة والتي لا حول لها ولا قوة ، ومن ينجيها من بطشه وجبروته وقد بلغ مداه ؟ إنها لم تجد ملاذا ولا ملجأ إلا ملاذ الله الواحد الأحد القوي الجبار ، فلجأت إليه سبحانه وتعالى ودعت بهذه الدعوات الطاهرات وقد استجاب الله تبارك وتعالى لها وقد سجل الذكر الحكيم هذا ، اقرأ معي قوله جل شأنه "وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين " [١] قال ابن كثير (قال قتادة كان فرعون أعتي أهل الأرض واكفر هم بالله فو الله ماضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه ، وكانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة ، وكانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال غلب موسي وهارون فتقول : آمنت برب موسي وهارون ، فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظيم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة ، فمضت على قولها وانتزعت روحها ، والقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ، فقولها " رب ابن لي عندك بيتا في الجنة " قال العلماء : اختارت الجار قبل الدار ... وامرأة فرعون هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها .... وعن أبي العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله : فقالت لها بنت

---

[١] سورة التحريم الاية ١١ .

فرعون ولك رب غير أبي ؟ قالت : نعم رب ورب أبيك ورب كل شيء الله : فلطمتها بنت فرعون وضربتها ، وأخبرت أباها ، فأرسل إليها فرعون فقال : تعبدين ربا غيري ؟ قالت : نعم رب وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد ، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا ، فشد يديها ورجليها وأرسل إليها الحيات ، فكانت كذلك فاتي عليها يوما فقال لها : ما أنت منتهية ، فقالت له : رب وربك ورب كل شيء الله . فقال لها إني ذابح ابنك في فيك، إن لم تفعلي ، فقالت له : اقض ما أنت قاض فذبح أبنها في فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها : أبشري يا أمه فإن لك من الثواب عند الله كذا وكذا ، فصبرت ثم أتي عليها يوم آخر، فقال لها : مثل ذلك فقالت له : مثك ذلك ، فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضا ، وقال لها : اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثوب كذا وكذا قال سمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون ، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون ، حتى رأت فازدادت إيمانا ويقينا وتصديقا ، فأطلع الله فرعون علي إيمانها ، فقال : للملأ ما تعلمون من آسيه بنت مزاحم ؟ فأثنو عليها ، فقال لهم : إنها تعبد غيري ، فقالوا له : اقتلها ، فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت أسيه ربهـــــا فقالت " رب ابن لي عندك بيتا في الجنة " فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون مـــن جنونها ؟ إنا نعذبها وهي تضحك ، فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها " ١ . وهذا مثل من أبلغ الأمثلة والأمثال في الثبات علي الطاعة ، والتمسك بالشريعة ، والصبر في الشدائد ، وعلي المؤمنين استيعاب هذا المثل وبخاصة الدعاة إلي الله تعالي من رجال ونساء ، وليعلموا أن صولة الكفر ، وجولة الفسقة إلي زوال وانتهاء ، وإن ظلم الظلمة ، وطغيان الكفرة والملاحدة لايضرهم ، كما لم تضر إمرأة فرعون من فرعون الباغي وأعوانه وسيأتي المزيد عن فضل إمرأة فرعون بعد قليل

---

[١] سورة ال عمران الايات ٣٣ : ٣٧

دعاء زوجة عمران :

وإذا كانت زوجة فرعون عاشت في وسط كله ظلم وبغي وجبروت وكفر وعصيان ، فإن زوجة عمران عاشت وترعرعت في بيت الطهر والعفه والإيمان وفي بيت النبوات ، والتناصر في الدين ، والإحتباء والإصطفاء ، ولنصدر الحديث عن زوجة عمران بأعزب الكلام ، وأرق المعاني وأعجز بيان ، وأصدق أخبار ، وهو كلام رب العالمين في شأن زوجة عمران إذ يقول جلت قدرته " إن الله اصطفي آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران علي العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " ١ ، وامرأة عمران هذه هي أم السيدة البتول مريم عليها السلام ، ويقال اسمها : حنه ، وتقول كتب التفاسير : وكانت إمرأة لا تحمل ، فرأت يوما طائرا يزق فرخة ، فاشتهت الولد ، فدعت الله تبارك وتعالي أن يهبها ولد ، فاستجاب الله تعالي دعاءها فلما تحقق الحمل نذرت أن يكون محررا ، أي خالصا مفرغا للعبادة ولخدمة بيت المقدس ، ولم تكن تعلم مافي بطنها أذكرا أم انثي ، وقد تقبل الله تعالي منها نذرها والتقبل هو أخذ الشيء علي وجه الرضا . وقوله " وليس الذكر كالأنثي " أي في القوة والجلد في العبادة ، وخدمة المسجد الأقصي ، وقوله تعالي " وإني سميتها مريم " معني الإسم _ أي – مريم : العابدة والخادمة للرب . وقد استدل بن كثير بأنه يجوز تسمية المولود يوم ولادته ، وذكر أحاديث في هذا الشأن وقوله " وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " فإن الله سبحانه وتعالي قد حبا زوجة عمران وابنتها وابن ابنتها وهو عيسي بن مريم عليه السلام من الشيطان المرجوم والمطرود من رحمة الله تعالي وبخاصة وقت

---

١ سورة التحريم الآية ١٢

الولادة وقد تقبل الله منها النذر والدعاء ، وقد جاء في ذلك أحاديث صحيحة تؤكد هذا ، ففي صحيح مسلم " عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه إلا ابن مريم وأمه ثم قـال ابو هريرة : إقرأوا إن شئتم " وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " قال القرطبي : قال علماؤنا : فأفاد هذا الحديث أن الله تعالي استجاب دعاء أم مريم . فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتي الأنبياء والأولياء إلا مريم وإبنها ، قال قتادة : كل مولود يطعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسي وأمه .... ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه فإن ذلك ظن فاسد ، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الفساد والإغواء ومع ذلك عصمهم الله مما يرومه الشيطان كما قال تعالي " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان " هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكل به قرينه من الشياطين ، كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فمريم وابنها وإن عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته والله أعلم . وقال بن كثير (يخبر ربنا تبارك وتعالي أنه تقبلها من أمها نذيرة ، وأنه أنبتها نباتا حسنا أي جعلها شكلا مليحا ، ومنظرا بهيجا ، ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده ، تتعلم منهم العلم والخير والدين . وقدر الله تعالي كون سيدنا زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا [١] ، وليشرق عليها من أنوار النبوة والرسالة ، ولقد كان زوج خالتها ، ولقد أصاب مريم خيرا كثيرا ، من قبول دعوة أمها لها فكانت له حالة فريدة من بين جميع البشر بل من بين جميع المخلوقات وصار خبرها في الذكر الحكيم ، ومحل تقدير ، وقد جعل الله تعالي منها آية للعالمين في بيان قدرته وحكمته ، إذ ولد عيسي من غير أب ، فكان عيسي وأمه آية من آيات الله تعالي ، كما كان لمريم بفضل قبول دعوة أمها حالات منها : أنه كان يأتيها الرزق من حيث لا تدري ، وتنسبه

---

١ انظر تفسير القران العظيم ابن كثير ٣٥٩/١ ، والجامع لأحكام القران القرطبي ١٤١٥/٢ وما بعدها ، وفتح القدير ، الشوكاني ٣٣٤/١

إلي الله عز وجل " وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " قال بن كثير وفيه دلالة علي كرامات الأولياء وسنذكر مبحثا في الكرامة ان شاء الله تعالي حالا ، وقد أثني رب العزة علي مريم أجمل ثناء فقال " ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين " ١ واقرأ إن شئت أيضا سورة آل عمران وما جاء في شأنها وكذلك السورة المسماة باسمها وقد ذكر ابن كثير أثرا لا بأس بتسجيله هنا (عن محمد بن المنكدر عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أيا مالم يطعم طعاما حتى شق ذلك علية فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتي فاطمة ، فقال : يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع ، قالت : لا والله بأبي أنت وأمي ، فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة برغيفين وقطعه لحم ، فأخذته منها فوضعة في جفنة لها ، وقالت : والله لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي ، وكانوا جميعا محتاجين إلى شبعة طعام ، فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع فقالت بأبي أنت وأمي قد أتي الله بشيء فخبأته لك ، قال : هلمى يا بنية قالت فأتيية بالحفنة فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرات إليها بهت ، وعرفت أنها بركة من الله ، فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فلما رأه حمــد الله ، وقال : من أين لك هذا يا بنية ؟ قالت : يا أبت "هو من عند الله ن الله يرزق من يشاء بغير حساب " فحمد الله وقال : الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا وسئلت عنه قالت " هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي صلى الله علية وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعا ،قالت :وبقية الجفنة كما هي ، قالت :

---

١ سورة التحريم الاية ١٢

فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران ، وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا)١
ومسك الختام في فضل بنت امرأة عمران حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فيه فضلها وفضل غيرها " فعن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، و خديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " قال ابن كثير (ولعل المراد بذلك في زمانهما فإن كل منهما يقصد امرأة فرعون ومريم بنت عمران فإن كلا منهما كفلت نبيا في صغره ، فآسية كفلت موسي الكليم ، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله عيسي ، فلاينافي كمال غيرهما في هذه الأمة ، كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة عشر سنين وبعدها أزيد من عشر سنين ، وكانت له وزيرة صدق بنفسها ومالها رضي الله عنها وأرضاها ، وأما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها خصت بمزيد فضيلة على أخواتها لأنها أصيبت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية أخواتها متن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما عائشة فإنها كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، ولم يتزوج بكرا غيرها ، ولا يعرف في سائر نساء هذه الأمة بل ولا في غيرها أعلم منها ولا أفهم ، وقد غار الله لها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات ، وقد عمرت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين"٢ . هذا وقد جاء في بعض الآثار أن الله تعالى زوج رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة مريم بنت عمران ، وامرأة فرعون ، وأخت موسي عليه السلام "٣ .
والله تبارك وتعالى أعلم ....

---

١ تفسير القران العظيم ابن كثير ١\٣٦٠
٢ البداية والنهاية ابن كثيرا ١\٤٥٢
٣ انظر البداية والنهاية ابن كثير ١\٤٥٣

المبحث الخامس

الكرامة وأبو الصهباء

وفيه

أولا : تعريف الكرامة والمعجزة

ثانيا : الفرق بين الكرامة والمعجزة

ثالثا: الفرق بينهما وبين السحر والشعوذة

رابعا : الارهاص،المعونة،والإهانة،الاستدراج

خامسا : نماذج من الكرامات

وفى هذا المبحث أتحدث إليك قارئ الكريم من داخل دوحة فيحاء ، لونها أخضر ، وظلالها وارفة ، ونسيمها مسك ، وبساطها سندس ، ونورها يتلألأ ، والصوت خافت لين لطيف ، والمائدة دسمة ، تفتح شهية الجوعان وماؤها عذب رقراق يشربه الظمآن فيروى أعظم الارتواء ، وضيوفها أكرم الضيفان ، لهم أحوال مع ربهم ، وكرامات نالوها بحسن قصدهم وأعمالهم ، كل ذلك من داخل بستان أبي الصهباء ، وفى هذه السياحة فى هذه الدوحة من هذا البستان نتحدث إليكم ونعرج سريعاً على عدة نقاط منها : الكرامة والمعجزة ، والفرق بينهما وبين الكهانة والسحر والشعوذة ، ثم ما الاستدراج وما المعونة ؟ وما الاهانة ، ثم نصل فى نهاية الرحلة لنذكر نماذج متعددة من الكرامات

أولا : تعريف الكرامة والمعجزة :

الكرامة : هى الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالي علي أيدى أولياءه ، ويقال : أفعل ذلك كرامة لك ١ ، وإكراما لك . وقال الباحثون فى أمور الولاية ، أن الكرامة هي : إيثار الله تعالي بما شاء من شاء من عباده إكراماً له ٢ ، وصاحب الكرامة أو الكرامات يطلق عليه أصحاب الأحوال وليا من أولياء الله تعالي ، وقال القشيرى فى معنى الولي " قيل يحتمل أمرين ، أحدهما : أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره ، ويكون معناها من توالت طاعته من غير تخلل معصية ، والثاني : يجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول مثل جريح بمعنى مجروح ، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته علي الإدامة والتوالي ، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدره العصيان ، وإنما يديم توفيقه الذى هو قدره الطاعة ، قال تعالى " وهو يتولى الصالحين " ٣ وقد ذكر الراغب فى مفرداته معنى الولاية عامة فقال " الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ، ومن حيث النسبة ، ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة والنصرة

والإعتقاد . والوِلاية – بكسر الواو – النصرة ، والوَلاية بفتح الواو – تولي الأمر – ... وحقيقة كل منهما تولي الأمر " ٤ ... فمن ولاية الله تعالي للصالحين من عبادة وولاية الصالحين من عبادة لله رب العالمين جاء آيات كثيرة تؤكد هذا ، من ذلك قوله تعالى " الله ولى الذين آمنوا " ٥ ... وقوله تعالى " واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولي " ٦ وقوله تعالي " ذلك بأن الله مولي الذين آمنوا " ٧ وقوله تبارك وتعالي " وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه " ٨... وقوله جل ثناءه " إن وليَّ الله " ٩ ... وقوله تبارك وتعالى " نعم المولي ونم النصير " ١٠ ... وقد أوجب الله تعالى علينا الولاء لله سبحانه وتعالي ولرسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك للمؤمنين ، كما حرم علينا جل ثناءه الولاء للكفــرة والمشركين ، ونذكر طرفاً من الآيات في كل هذا ، فقال تبارك وتعالى " ومن يتول الله ورسوله والذين أموا فإن حزب الله هم الغالبون " [١] ... وقال تعالى " والله أعلم بأعدائكم وكفي بالله ولياً وكفي بالله نصيرا " [٢] ... وقال تعالى " أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي " [٣] ... وقال تعالى " ولا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ " [٤] ... وقال تعالي " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين آتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين " [٥] ... وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين " [٦] ... وقال تبارك وتعالي " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق " [٧] ... وكما أوجب الله تعالي علينا الولاء لله ورسوله وللمؤمنين ونفى وحرم علينا

---

[١] سورة المائدة الايه ٥٦
[٢] سورة النساء اية ٤٥
[٣] سورة الشورى اية ٩
[٤] سورة ال عمران اية ٢٣
[٥] سورة المائدة اية ٥٧
[٦] سورة المائدة ايه ٥١
[٧] سورة الممتحنه اية ١

الموالاة للكفرة والمشركين واليهود والنصارى وكل الملل والنحل التى هي خلاف الإسلام ، فإنه جل جلاله ذكر لنا فى آيات بيان تحذير بأن هؤلاء يتولى بعضهم بعضا كما أنهم أولياء للشياطين قال الراغب " وجعل الله تعالي – بين الكافرين والشياطين موالاة فى الدنيا ونفي بينهم الموالاة في الآخرة ، قال الله تعالي : فى الموالاه بينهم في الدنيا " المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض " [١] ... وقال : " إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله " [٢] ... وقال " إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون " [٣] . فكما جعل بينهم وبين الشياطين موالاة جعل للشيطان فى الدنيا عليهم سلطانا فقال " إنما سلطانه علي الذين يتولونه " [٤] ونفي الموالاة بينهم فى الآخرة فقال " يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا " [٥] ... وقال " ثم يوم القيامة يكفر بعضكم بعضا " [٦] ... والله تبارك وتعالى نفى أن تكون للشياطين سلطانا على الصالحين من عباد الله تبارك وتعالى "إن عبادي ليس لك عليهم سلطانا " [٧] وقد أيقن إبليس اللعين ، وأدرك انه لا سلطان على عباد الله الصالحين ، ويئس منهم فقال " قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين " [٨]

صفات الولى : هل ترغب فى الوصول إلي مرتبة أهل الكشف والأحوال ، وتحظى برضا الرحمن ، وتحصل لك كرامات ، والتي تبشرك بخيري الدنيا والآخرة . بمعنى هل تحب أن تكون ولياً من الصالحين ، هاك جملة من صفاتهم .

قال النووي في وصفه : لما جاهد نفسه – الولي – هذه المجاهدة ، وتهذيب نفسه ، واستنارة قلبه ، واستولى على نفسه فقهرها ، وملكها ملكا تاماً ، وانقادت

---

١ سورة التوبه ايه ٦٧
٢ سورة الأعراف اية ٣٠
٣ سورة الأعراف اية ٣٠
٤ سورة النحل اية ١٠٠
٥ سورة الدخان أية ٤١
٦ سورة العنكبوت اية ٢٥
٧ سورة الحجر اية ٤٢
٨ سورة ص الآيتان ٨٢ ، ٨٣

له خالصاً نظر -يقصد أبو زيد الذي يتحدث عن ولايته - نظر إلي جميع المخلوقين فوجدهم موتى لا حكم لهم ، فلا يضرون ولا ينفعون ، ولا يعطون ولا يمنعون ، ولا يحيون ولا يميتون ، لا يرزقون ولا يحرمون ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشوراً ، وهذه صفة الأموات أن يعاملوا معاملة الموتى فى هذه الأمور المذكورة وأن لا يخافوا ولا يرجوا ، ولا يطمع فيما عندهم ، ولا يراءوا ولا يداهنوا ، ولا يشتغل بهم ، ولا يحتقروا ولا ينتقصوا ، ولا يذكر عيوبهم ، ولا تتبع عوراتهم ، ولا ينقب عن زلاتهم ، ولا يحسدوا ، ولا يستكثر فيهم ما أعطاهم الله تعالى من نعمة ، ويرحموا ويعذروا فيما يأتونه من النقائص مع أنا نقيم الحدود عليهم ما جاء الشرع به من الحدود ، ولا يمنعنا إقامة الحد ما قدمناه ، ولا يمنعنا أيضا ما قدمناه من إقامة الحد أنا نحرص علي ستر عوراتهم من غير تنقص لهم ، كما يفعل ذلك بالميت ، وإذا ذكرهم ذاكر بشين نهيناه عن الخوض في ذلك ، كما ننهاه عن ذلك فى الميت ، ولا نفعل شيئاً لهم ، ولا نتركه لهم ، ولا نمتنع من ذلك بسبب الميت ، ولا نستكثر بمدحهم ، ولا نحبه ولا نكره سبهم إيانا ولا نقابله ، فالحاصل أنهم -أي الناس - كالعدم فى جميع ما ذكرناه ، فهم قد يرون تجري فيهم أحكام الله تعالى ، فمن عاملهم هذه المعاملة جمع خيري الآخرة والدنيا ، نسأل الله الكريم أن يوفقنا لذلك [1] وقال القشيرى فيمن يريد الوصول إلي ساحة الرحمن ويطمع فى فيض خالقه ، ويرجو البشارة في الدنيا والآخرة ويسبح في بحر الكرامات قال الرجل (الغالب على حال الولي فى حال صحوة قيل : صدقة في أداء حقوقه سبحانه ، ثم رفقه وشفقته علي الخلق في جميع أحواله ، ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ، ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق ، وابتدائه لطلب الإحسان من الله عز وجل إليهم من غير إلتماس منهم ، والتوقى عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد عن أموالهم ، وترك الطمع بكل وجه ، وقبض اللسان عن بسطه

---

[1] بستان العارفين النووي ص ٨٧ ، ٨٨ مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، الكتاب العشرون ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ ، أعدة وعلق عليه : عبد الرحمن الزغبى ، رءوف شلبى

بالسوء فيهم ، والتعاون عن شهود مساويهم ، ولا يكون خصماً لأحد فى الدنيا والآخرة ، واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصى والمخالفات)[١].

ويقول أبو بكر الجزائرى (يؤمن المسلم بأن الله تعالى من عباده أولياء استخلصهم لعبادته ، واستعملهم فى طاعته ، وشرفهم بمحبته ،ونالهم من كرامته ،فهو وليهم يحبهم ويقربهم وهم أولياءه يحبونه ويعظمونه ، يأتمرون بأمره وبه يأمرون ، وينتهون بنهيه وبه ينهون ، يحبون بحبه وببغضه يبغضون ... وهم أهل الإيمان والتقوى ، والكرامة والبشرى فى الدنيا والآخرة ، وأن كل مؤمن تقى هو لله ولي ، غير أنهم يتفاوتون في درجاتهم بحسب تقواهم وإيمانهم ، فكل من كان حظه من الإيمان والتقوى أوفى كانت درجته عند الله أعلي ، وكانت كرامته أوفر ... وإن من أعظم الكرامات الاستقامة علي الطاعات بفعل المأمورات الشرعية واجتناب المحرمات والمنهيات)[٢] .

هذا وقد ذكر الحكيم الترمذى علامات الأولياء فى الظاهر بالنسبة لغيرهم فقال (**أولها** : ما روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث قيل له : من أولياء الله ؟ قال : الذين إذا رءو ا ذكروا الله "[٣] وما روي عن موسى عليه السلام أنه قال : يارب من أولياؤك ؟ قال : الذين إذا ذكرت ذكروا ، وإذا ذكروا ذكرت .

الثانية : أن لهم سلطان الحق ، لا يقاومهم أحد حتى يقهرهم سلطان حقهم

الثالثة : أن لهم الفراسة ....

الرابعة : أن لهم الإلهام .... الخامسة : أن من آذاهم سرع وعوقب بسوء الخاتمة ....

السادسة : اتفاق الألسنة بالثناء عليهم إلا من ابتلى بحسدهم

السابعة : استجابة الدعوة وظهور الآيات ....)[٤] .

---

[١] الرسالة القشيريه ص ١٦٠
[٢] منهاج المسلم ، ابو بكر الجزائري ص ٦٠ مكتبة دار التراث ١٣٨٤/٢/٢١ هـ
[٣] رواه مسلم
[٤] الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ٣٥٤/٢

ولأصحاب الكرامات وهم الأولياء مظاهر أخري بالنسبة لأنفسهم ذكرها الترمذي فقال :

(**المظهر الأول** : سقوط الهم عنهم فى طلب الرزق وإيصال أرزاقهم إليهم من حيث لا يحتسبون فإن العبد إذا وصل إلي درجة أصبح الهم عنده هما واحداً وهو التفرغ لعبادة الله تعالي بحيث إستغرقه عن متابعة الأسباب والنظر الى ولي الأسباب .

المظهر الثاني : التبشير بحسن العاقبة قال تبارك وتعالي " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشري فى الحياة الدنيا والآخرة لا تبديل لآيات الله ذلك هو الفوز العظيم " [١] . وقد سأل أبو الدرداء عن البشري رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقال : ما سألني عنها أحد ، فتلك البشري هي : الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تري له) . وقد تكون هذه البشري تضر بصاحبها كإتكال أو غرور أو هوي ...الخ . وأجاب الترمذي علي هذا بقوله : إن هذا لو كانت نفوسهم لاتزال معهم بشهواتها أما قد ماتت .. فالبشري لا تضرهم وقد بشر الرسول صلي الله عليه وسلم عدداً من الصحابة ، فلو علم أنها تضرهم لطوي عنهم الخبر ، أتري أنه لم يكن في أصحابه من أهل الجنة غير العشرة ؟ بئس الظن هذا ، إنما بشرهم وطوي غيرهم ، لأنه لم يأمن علي نفوسهم من هذا الخبر [٢]

المظهر الثالث : الأبدال قال الترمذي عنهم لما قبض الله عز وجل نبيه صلي الله عليه وسلم صير في أمته أربعون صديقاً ، بهم تقوم الأرض وكلما مات واحد منهم خلفه من يقوم مقامه ، فالبدلاء إنما سموا بدلاء –لهذا – وصار هؤلاء أمانا للأمة لأن بهم تقوم الأرض وبهم يستسقون فإذا ماتوا أتاهم ما يوعدون) [٣] .

ومن أوصاف هؤلاء الأبدال ماذكره النبي محمد صلي الله عليه وسلم فى قوله : إن بدلاء أمتى لم يبلغوا ، ولم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة إنما دخلوا

---

[١] سورة يونس الآيات ٦٢ : ٦٤
[٢] المرجع السابق ص ٣٥٧
[٣] المرجع السابق ص ٣٧٢ ، ٣٧٣

برحمة الله ، وسلامة الصدر ، وسخاوة الأنفس ، والنصيحة لله تعالى ، والرحمة لجميع المسلمين ، وبتقوي الله عز وجل " [١] .

المظهر الرابع : وجودهم رحمة وكرامة للمجموع ، لأن ذلك شأن الأبدال أو الصفوة من الأولياء ، فهم أمان للخلق ، وبهم تدوم النعم ، ويدفع البلاء ، ويرجع ذلك سؤالهم ودعائهم لله تعالى فيستجيب الله عز وجل لهم ، وذلك بأن الله تعالى خلق الآدميين لتسبيحه وتقديسه ، فإذا ظهرت المعاصى والمفاسد كانت سبباً فى زوال الأمر الذي بنى خلق الآميين ، لكن تسبيح الله وتنزيهه ينفى الأحداث ويحرقها ، وتقديس الرب جل جلاله يغسل الأدناس التى أحدثها بنو آدم ، وبذلك يستمر الوجود ، لولا التسبيح لانقطع در الحياة ، فإذا نزهوا الله تعالي بالتسبيح دام الإدرار علي الخلق ، وبالتقديس تقوم السماوات والأرض ومن فيهن من العرش إلي الثري ... فؤلاء الأولياء تطهرت قلوبهم من مشيئات نفوسهم ... فيستجيب الله تعالي لهم ، يقول ربنا تبارك وتعالي " وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون " [٢] ومن كل ما سبق نرى أن أهل الكرامات هم أهل الله تعالي وخاصته ، كما رأينا بعض أوصافهم ومظاهر التكريم ، كذلك أعمالهم الطاهرة ، وقلوبهم النقية وإيمانهم الصادق ، وخشيتهم لله تعالي وتقواه في كل أحوالهم ... وإتماما للفائدة هناك عدة تساؤلات ينبغي طرحها ، كما ينبغي بالتالي الإجابة عنها

السؤال الأول : هل يجوز أن يعلم صاحب الكرامة أو الكرامات أنه ولي أم لا ؟

والجواب : ذهب أهل الحق ، والباحثون فى أحوال الصالحين فى ذلك الى طريقين .

الفريق الأول : جواز ذلك قال القشيري (كان الأستاذ ابو على الدقاق رحمه الله يقول بجوازه ، وهو الذى نؤثره ونقول به وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء

---

[١] انظر الحكيم الترمذي ونظريته فى الولاية ٣٥٩/٢ والحديث جاء في : كشف الخفا ٢٤/١ ، شعب الإيمان ، البيهقي ٤٣٩/٧ ، ورقه ١٠٨٩٢ ، وقال مرصد عن الحسن ، والأولياء لإبن أبي الدنيا ص ٢٨ رقم ٥٨ ، ومسند الفردوس ٢٣١/١ رقم ٨٨٤ من حديث انس بن مالك وفيه ضعف .

[٢] سورة الذاريات

حتي يكون لكل ولي علم أنه ولي واجباً ، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك ، كما لا يجوز أن يعلم بعضهم ، فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته تلك كرامة له ، وانفرد بها ، وليس كل كرامة لولي أن تكون بعينها لجميع الأولياء ، بل إذا لم يكن لولي كرامة ظاهرة فى الدنيا لم يقدح عدمها فى كونه وليا ، بخلاف الأنبياء ، فإنه يجب أن تكون لهم معجزات لأن النبي مبعوث إلي الخلق ، فبالناس حاجة الي معرفة صدقه ، ولا يعلم إلا بالمعجزة وحالة الولي بعكس ذلك ، لأنه ليس بواجب علي الخلق ولا علي الولي العلم بأنه ولي)[1] .

الفريق الثاني : يقول بعدم جواز ذلك أي العلم بأنه ولي ، والسبب أن الكرامات تخرج أصحابها عن الخوف من الله تعالي ... وأجاب الفريق الأول عن ذلك بقولهم لا بأس أن لا يخافوا تغيير العاقبة ، والذى يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه وتعالي يزيد عن كثير من الخوف ، واعلم أنه ليس للولي مساكنة الكرامة التي تظهر عليه ، ولا له ملاحظة ، فربما يكون لهم ظهور جنسها قوة يقين ، وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله فيستدلون بها علي صحة ما هم عليه من العقائد . وبالجملة : فالقول بجواز جهورها علي الأولياء واجب ، وعليه جمهور أهل المعرفة ، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات ، وصار العلم بكونها وظهورها علي الأولياء في الجملة علما قويا انتفي عنه الشكوك ، ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق شبهة في ذلك علي الجملة[2] . وسيأتى فى النماذج فى آخر هذا المبحث عشرات الأمثلة علي ذلك إن شاء الله تعالي .

السؤال الثانى : إذا علم الولي أنه ولي ، وظهرت له كرامات ، هل يجوز أن يعلن عن كرامته ، ويظهرها للناس أم يجب عليه إخفائها عنهم ؟؟

والجواب : ذهب أهل المعرفة والمكاشفات ،وأصحاب الأحوال فى ذلك إلي مذهبين :

---

[1] الرسالة القشيرية ص ١٥٩ ، انظر بستان العارفين للنووي ص ١٠٣

[2] الرسالة القشيرية ص ١٥٩

المذهب الأول : القول بجواز أن يعلن الولي عن كرامته ويظهرها

والقول الثاني : لا يجوز أن يعلن الولي عن كرامته ، ولا يجوز له إظهارها

وقال الإمام أبو بكر بن فورك : والولي يجب عليه سترها – أي الكرامة – وإخفاءها ، لجواز أن يكون ذلك مكراً به [١] . وهذا واحد من الأولياء وهو السري السقطي يقول : لو أن واحداً دخل بستانا فيه أشجار كثيرة وعلي كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح : السلام عليك يا ولي الله فلو لم يخف أنه مكر به ، لكان ممكورا [٢] ونحن نميل بل نوجب ستر الكرامة ، لأنه رأي له وجاهته ، وبخاصة فى زماننا هذا ، فإن التخلف الدينى ، والأمية الإسلامية ، وشيوع السذاجة بين عامة الناس ، وافتقارهم إلي القدوة الصالحة ، ووجود أزمات قاتلة بسبب بعدهم عن شرع ربهم ، وسنة نبيهم ، وظهور البدع والضلالات ، والسحرة والمشعوذين ، والكهنة كل هذه الأمور وغيرها تجعل الناس يفتنون بهذا ، ويتواكلون ويتكاسلون ويذهبون مذاهب هوائية شيطانية ، ويفعل هؤلاء الكثير من الأشياء التى لم يرد بها قرآن ولا سنة ، وهنا تضيع معالم الدين الحق . ولهذه الأسباب وغيرها كثير نميل إلي الرأي القائل بوجوب ستر الكرامة ، ويجعلها الولي بينه وبين ربه سبحانه وتعالي . بل قال السادة العلماء . إن ستر الكرامة واخفائها هو الشرط أو أحد الفروق الأساسية بين المعجزة والكرامة . كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالي .

السؤال الثالث : هل الولي معصوماً من الأخطاء ؟ .

والجواب : عند القشيري قال (أما وجوبا كما يقال فى الأنبياء فلا ، وأما أن يكون محفوظا حتي لا يصر علي الذنوب إن حصلت هناك أو آفات أو زلات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم) [٣] ومعلوم لدي الناس جميعا أنه كتب علي بن آدم الخطأ ، وليس هناك معصوم سوي أنبياء الله تعالي ورسله عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأذكى السلام .

---

[١] انظر : بستان العارفين النووي ص ١٠٣ ، ١٠٤

[٢] انظر الرسالة القشيرية ص ١٦٠

[٣] المرجع السابق ص ١٦٠

السؤال الرابع : هل يجوز أن يكون الوليّ وليا فى آن ثم تتغير حالته ومن ثم عاقبته .

والجواب : نعم ، وهذا إحدى الفروق بين الولي والنبي ، فالنبي مأمون العاقبة ، والولي غير مأمون العاقبة إلا من رحم ربى .. وسيأتي بيان هذا إن شاء الله حالا . وقد ساق العلماء في هذا حالة بلعم ابن باعوراء وكان من بني إسرائيل أعطاه الله تعالي كرامات إلا أنه ضل الطريق ، وفعل المنكرات ضد المسلمين من قوم موسي ، فنزعت منه الكرامات ، وختم له بسوء العاقبة وفيه وفي أمثاله جاء قوله تعالي " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلي الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون "[1] . وممن وقع فى الخذلان وسوء العاقبة والعياذ بالله تعالي : الحارث بن سعيد المتبي الكذاب قال عنه بن كثير (نزل دمشق وتعبد بها وتنسك وتزهد ، ثم مكر به ورجع القهقري علي عقبيه ، وانسلخ من آيات الله ، وفارق حزب الله المفلحين ، واتبع الشيطان فكان من الغاوين ، ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتي اخسره دينه ودنياه ، واخزاه واشقاه [2] .

السؤال الخامس : هل هناك من ينكر الكرامات ؟

والجواب : ذهب قله من الناس لا يعتد بأقوالهم إلي إنكار الكرامات ، وحجتهم أنها تلتبس على الناس بينها وبين المعجزة ، إذن فلا كرامة وذهب إلي هذا المعتزله والقدريه قال إمام الحرمين الإمام أبو المعالي (الذى صار اليه أهل الحق : جواز انخرا ق العادة فى حـق الأولياء ، واطبقت المعتزله على انكار ذلك) [3] . وقال البغدادي عن منكري الكرامة وعن سبب انكارهم (وانكرت

---

[1] سورة الأعراف الايات ١٧٥ : ١٧٧ ، وانظر شان بلعم بن باعوراء كتب التفاسير ومنه الجامع لأحكام القران القرطبى ٢٨٤٧/٤ ، وفتح القدير الشوكانى ٢٦٤/٢ وتفسير القران العظيم بن كثير ٢٦٤/٢

[2] انظر تفصيل قصته في البادية والنهاية بن كثير ٣٨،٣٩/٥

[3] بستان العارفين ص ٩٧

القدرية كرامات الأولياء ، لأنهم لم يجدوا في أل بدعتهم ذا كرامة ، فأنكروا ما حرموه بشؤم بدعتهم) [١] ، وقال في موضع آخر (أنكرت القدرية كرامات الأولياء علي وجه ينقض العادة ، وأثبتها الموحدون ، لإستفاضة الخبر عنها) [٢] .

السؤال السادس والأخير : هل الكرامة مخصصة بزمن معين ، وعند نهايته تنتهى الكرامات ؟ .

الجواب : من خلال كلام الحكيم الترمذي قال (المعروف لدي العلماء أنها قائمة إلي قيام الساعة) [٣] . وقبل ذكر نماذج من الكرامات نود أن نفرق بين المعجزة والكرامة وقد سبق بيان معني الكرامة ، فما المعجزة ؟

المعجزة : المعجزة فى اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة ، والمعجز فى الحقيقة فاعل العجز فى غيره وهو الله تبارك وتعالي ، كما أنه هو المقتدر ، لأنه فاعل القدرة فى غيره ، وإنما قيل لاعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزات لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها ، وزيدت الهاء فيها فقيل معجزة للمبالغة فى الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها ، كما وقعت المبالغة بالهاء فى قولهم : علامة ، ونسابة ، وراوية ...

أما حقيقة المعجزة عند المتكلمين فهى : ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذى نبوة من الأنبياء ، أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى عن معارضته مثله [٤] . وقال البغدادي (وإنما قيدنا هذا الحد ، بدار التكليف لأن مايفعله الله تعالي يوم القيامة من أعلامها على خلاف العادة ، فليست بمعجزة لأحد ، وإنما اشترطنا في الحد – أي التعريف – خلاف العادة ، لأن المعتاد من الأفعال يشترط فى دعواها الصادق والكاذب ، وإنما اشترطنا فيه – أي التعريف – إظهار لصدق نبي أو ولي لجواز ظهور ما يخالف العادة علي

---

١ أصول الدين البغدادي ص ١٧٥
٢ المرجع السابق ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ونظر : علم التوحيد د/مبارك حسين ص ٤٨٠
٣ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ص ٣٦٦
٤ أصول الدين ، البغدادي ص ١٧ ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ط ثالثة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، وانظر المعجم الوجيز ص ٤٠٧

مدعي الآلهية فلا يكون دلالة علي صدقه ، كالذي يظهر علي الدجال في آخر الزمان ، وصورته كافية فى الدلالة علي كذبه ، فلا ضرر فى ظهور ما يخالف العادة عليه) [١]

شروط المعجزة : وللمعجزة شروط ذكرها أهل التخصص وهي :

الشرط الأول : أن تكون من فعل الله عز وجل ، وما يجري مجري فعله ، وإن لم يكن في نفسه فعلاً

الثاني : أن يكون مناقضاً للعادة ، فيمن هو معجز له ، وحجةعليه

الثالث : أن يتعذر علي المتحدي به فعل مثله فى الجنس أو علي الوجه الذي وقع التحدي عليه

الرابع : أن يكون مطابقاً لدعوى ما ظهرت عليه علي وجه التصديق ، فأما إن شهدت بتكذيبه فهي خارجة من هذا الباب .

الخامس : أن لا يتأخر عن دعواه تأخرا يعلم أنه لا يتعلق بها

السادس : أن يكون ذلك فىّ زمان التكليف كما سبق [٢]

ثانيا : الفرق بين المعجزة والكرامة :

من المعلوم أن المعجزة خاصة بالنبي والكرامة خاصة بالولي .

وقد فرق البغدادي بين المعجزة والكرامة فى أمور ثلاثة فقال (اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات غير أن الفرق بينهما من وجهين :

أحدهما : تسمية مايدل على صدق الأنبياء معجزة ، وتسمية ما يظهر علي الأولياء كرامة للتمييز بينهما .

والوجه الثانى : أن صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدي بها خصومه ، ويقول : إن لم تصدقوني عارضوني بمثلها ، وصاحب الكرامة يجتهد

---

[١] أصول الدين البغدادي ص ١٧٠

[٢] المرجع السابق ص ١٧١

في كتمانها ولا يدعى فيها ، فإن اطلع الله عليها بعض عباده كان ذلك تنبيها لما اطلعه الله عليها علي حسن منزلة صاحب الكرامة عنده أو علي صدق دعواه فيما يدعيه من الحال ،

وفرق ثالث وهو : أن صاحب المعجزة مأمون من التبديل ، معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه . وصاحب الكرامة لا يؤمن تبديل حاله ، فإن بلعم ابن باعوراء أوتى من هذا الباب ما لم يوت غيره ثم ختم له بالشقاء)[١] والعياذ بالله عز وجل . ويقول الدكتور عبد الفتاح بركه عن النبوة والكرامة والفروق الجوهرية بينهما حتى لا يلتبس الأمر بين المعجزة والكرامة ، ومن ثم بين النبي والولي ،فيقول معلقا علي نظرية الحكيم الترمذى فى هذا (إن الحكيم -الترمذى- يضع حدودا فارقة بين النبوة والولاية ، وإنه يضع النبوة فى منزلتها اللائقة بها فوق منزلة الولاية وإنه لا يفضل أى ولي مهما تكن مكانته ورتبته فى الولاية علي أي نبي مهما تكن مكانته ومنزلته من النبوة)[٢]ثم ينقل نصا من حديث الحكيم فى ذلك ، ويحكم عن من سوي بينهما فيقول (ومن شك فى هذا فلم يعلم أنه ليس لأحـــد من أمته صلي الله عليه وسلم ما كان له فهو شاك كافر)[٣] بل إننا نقول : إن كرامة الولي أيا كانت درجته ومقامه ومن ثم كراماته لم تكن لتوجد أصلا إلا بواسطة النبي ، فالنبي هو الدليل والبرهان والطريق الذى أوصلت الولي إلي هذه الدرجة وهذه الكرامة أو تلك ، وما كان يحدث له كل هذا إلا بإتباع النبي بعد أن وضح له النبي الطريق ، وعرفه سبيل الوصول إلي ساحة الرضي والرضوان ، فلولا النبي ما كان الولي ، ولولا المعجزة ما كانت الكرامة ، فالنبي ومعجزته أو معجزاته هي الأصل والولي وكرامته أو كراماته هي نتاج هذا الأصل ، ولولا وجود الأصل ما كان يوجد الفرع . ويقول الدكتور بركة (إن طريق الأنبياء غير طريق العامة للأولياء لأن طريق الأنبياء هو طريق الجباية بمشيئة الله تعالي ، أما طريق الأولياء التي يسلكونها فهي طريق الإنابة – فطريق الأنبياء طريق مختص ، وطريق الأولياء

[١] المرجع السابق ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، وقد سبق بيان الايات التي نزلت فى شأن بلعم بن باعوراء منذ

[٢] الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ٣٧١/٢

[٣] المرجع السابق ٣٧١/٢

طريق الإنابة - فطريق الأنبياء طريق مختص ، وطريق الأولياء طريق الجادة التي شرعها الله تعالي لعباده علي الصدق والوفاء بتطهير القلوب ، وتصفية الأخلاق حتي يصلوا إليه - [١] ، لكن هناك طائفة أخري من الأولياء اجتباهم الله تعالي علي طريق الأنبياء ، فجذب قلوبهم إليه جذباً ، وهم بين طائفة الأولياء - أولياء الإنابة - وطائفة الأنبياء ، لأنهم جذبوا إليه علي طريق الأنبياء ، ولكنهم لم يبلغوا مرتبة الأنبياء ، فهؤلاء قد أقامهم الله - كما يقول الترمذي - فيما بين الأنبياء والأولياء ، فهم من الأنبياء علي الاذن قرباً ، والأولياء علي الأقفية ، فهم أكبر انتباه ويقظة ، وأبصر بطريق الأنبياء ، لأنهم سادوا علي ذلك الطريق مجذوبين ، فهم المنفردون الذين غرقت قلوبهم في وحدانيته ، وانفردوا عن الأشياء فهم المحدثون ، وهؤلاء علي ما يري الحكيم هم تابعوا محمد صلي الله عليه وسلم ذكرهم الله تعالي فى قوله " قل هذه سبيلي أدعو إلي الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني " [٢] . لأنهم جذبوا علي طريقهم فساروا خلفهم فى هذا السبيل [٣] .

فرق بين الدعاة إلي الله والدعاة إلي سبيل الله :

جاء في كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية فرقاً جوهرياً له نفاسته بين الداعي إلي الله ، والداعي إلي سبيل الله تعالي فقال (إن الدعاة إلي الله ، والداعي إلي سبيل الله تعالي ، فالدعاة إلي الله : عن آلائه ينطقون ، وعن تدبيره يكشفون ، وعن فردانيته يذكرون ، والآخرون أي الدعاة إلي سبيل الله تعالي : دعاؤهم إلي سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، يكشفون عن عورات النفوس ودواهيها وعبث الحياة الدنيا وخدعها وغرورها ، وطلب الصدق من القلوب) [٤] .

---

١ مابين علامتي التنصيص قال الدكتور بركه من كتاب شفاء العلل ص ٢٥
٢ سورة يوسف اية ١٠٨
٣ الحكيم الترمذي ونظريته فى الولاية ٢/٣٧١ ، ٣٧٢
٤ المرجع السابق ٢/٣٧٢

والشئ بالشئ يذكر ، فلما كان هناك فرق بين الدعاة إلي الله تعالي والدعاة إلي سبيل الله ، فإن هناك فرقاً بين رحمة النبي محمد صلي الله عليه وسلم ورحمة غيره من سائر الأنبياء قال القرطبي فمحمد صلي الله عليه وسلم قد جازت مرتبته الإصطفاء ، لأنه حبيب ورحمة قال تعالي" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "[١] فالرسل خلقوا وبعثوا للرحمة ، ومحمد صلي الله عليه وسلم خلق بنفسه رحمة ، لذلك صار أماناً للخلق ، إذ لما بعثه الله تعالي أمن الخلق من العذاب إلي نفخة الصور . وسائر الأنبياء لم يحلوا هذا المحل [٢] ، هذا وإذا كان ما سبق من بيان معنى الكرامة والمعجزة وشروط كل منهما ، والفرق بينهما ، فإنه يجب التيقظ والإنتباه، بل والحذر – مرة أخري – من هؤلاء المخدوعين المخادعين الذين نراهم اليوم في كثير مـــن مجتمعاتنا المعاصرة من يلهثون رواء الأضرحة والقبور ، ويسكنون الخرب ، ويلبسون العفن ، ويتمتمون بحوف وكلمات تشبه الطلاسم ، ولا يصلون ولا يؤدون الفرائض ، ولا يفعلون الخير ولا ينكرون المنكر ، ولا يأمرون بالمعروف ثم بعد هذا كله يدعون الوصول والكرامة ، وينخدع بعض ضعاف الإيمان بهم ، ومن هؤلاء من يلبسون أحسن الثياب ، ويأكلون أشهي الطعام ، ويسكنون في أفخر المساكن ، ثم يضللون الناس ، ويذيعون بينهم البدع والضلالات ويضربون علي أوجاع أتباعهم أو مريديهم ، ويدعون العلم بالغيب ، ويسخرون شياطين يروجون عن سرهم وكراماتهم وما لبسوا هذه الثياب ، وما أكلوا هذا الطعام ، وما سكنوا هذه البيوت ، وما ركبوا أفخم المراكب إلا من دم وعرق البسطاء والضعفاء ، فهؤلاء أهل بدع وضلالات ينسجون لهم الخيال ويتحدثون عنهم وما لهم من كرامات من أجل منافع مادية دنيئة ، فهؤلاء – لاشك – ليس لهم من الولاية أدني نصيب ، ولا علاقة لهم بها من أي وجه كان ، والأولياء في واد ، وهؤلاء وأتباعهم في واد آخر ، وفرق بين الثريا والثري ، ولقد صدق الأمام الشافعي رضي الله عنه عندما وضع حدودا

---

١ سورة الأنبياء الاية ١٠٧

٢ الجامع لأحكام القران ، القرطبي ٢/١٤١٤

لمثل هؤلاء وأراجيفهم وهذيانهم وخداعهم للجماهير وذلك بقوله (لو رأيتم إنسانا يطير فى الهواء ، أو يمشي علي الماء ولم يوافق عمله الكتاب والسنة فلا تشهدوا له بالإيمان) [١] ، وسيأتى المزيد والإيضاح لهذه المسألة عند الحديث عن عوامل ظهور البدع والخرافات فى هذه المجال .. ولكي تتضح الصورة أكثر نذكر الفروق الجوهرية بين المعجزة والكرامة والسحر والكهانة والشعوذة .. الخ .

ثالثا : الفرق بينهما وبين السحر والشعوذة :

ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالي فروقا جوهرية بين السحر والكهانة والشعوذة وبين كل هذا وبين المعجزة ، وهذه الفروق تصلح بأن تكون فروقا كذلك بين السحر والكهانة وبين الكرامة مع الإنتباه جيدا الفروق الجوهرية الثلاثة التي سبق ذكرها منذ قليل بين الكرامة والمعجزة ... يقول ابن تيميه (النبوة لا تنال بكسب العبيد ، ولا آياتها تحصل بكسب العباد . وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء وبيت السحر والكهانة ، وبينهما فروق أكثر من عشرة [٢] .

أحدها : أن ما تخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقا ، أما ما تخبر به من خالفهم من السحرة والكهان وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، وأهل البدع ، والفجور من المسلمين فإنه لابد فيه من الكذب .

الثانى : أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل ، ولا تفعل إلا العدل ، وهؤلاء المخالفون لهم لابد لهم من الظلم ... فيدخلون فى العدوان علي الخلق ، وفعل الفواحش والشرك والقول على الله بلا علم ، وهي المحرمات التى حرمها الله تعالى مطلقا .

---

١ انظر كتاب الشافعي فى : كتاب التوحيد ، د / مبارك حسين ص ٤٧٨

٢ ذكرها ابن تيمية شرحا وافيا ، وسأقوم بذكر رأس الفروق مع بعض الشرح اختصارا . والسحر هو : كل أمر يخفي سببه ، ويتخيل علي غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، انظر : المعجم الوجيز ص ٣٠٤ . والكهانة : حرفة الكاهن ، وهو من يتنبأ بالغيب والكاهن عند اليهود والنصاري رجل الدين الذى ارتقي إلي درجة الكهنوت جمع كهان ، ويقال : تكهن له : أي أخبره بالغيب وكذا المنجم هو من يخبر أو يتنبأ بالغيب انظر المرجع السابق ص ٥٤٤

الثالث : أن ما يأتى به من يخالفهم معتاد لغير الأنبياء ، كما هو معتاد السحرة والكهان ، وعباد المشركين وأهل الكتاب ، وأهل البدع والفجور ، وآيات الأنبياء هي معتادة أنها تدل علي خبر الله تعالي وأمره علي علمه وحكمه ، فتدل علي أنهم أنبياء ، وعلي صدق من أخبر بنبوتهم سواء كانوا هم المخبرين أو غيرهم وكرامات الأولياء من هذا فإنهم يخبرون بنبوة الأنبياء .

الرابع : إن آيات الأنبياء والنبوة لو قدر أنها تنال بالإكتساب فهى إنما تنال بعبادة الله تعالي وطاعته ، فإنه لا يقول عاقل إن أحدا يصير نبيا بالكذب والظلم ... فكل من خالف طريق الأنبياء لا بد له من الكذب والظلم ، إما عمداً أو جهلا ... ولما شاع خبر المختار بن أبى عبيد وهو أول من ظهر في الإسلام بالكذب في هذا ، وكان يتشيع لعي بن أبى طالب ... ولهذا يظهر الكذب فى الشيعة أكثر مما يوجد فى جميع الطوائف ... ولما ذكر خبره لإبن عمر وبن عباس أمر المختار ، فذكر أحدهما قوله صدق ثم ذكر قوله تعالي " إن الشياطين ليوحون إلي أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون "[1] ، وقال الآخر صدق ثم ذكر قوله تعالي " هل أنبئكم علي من تنزل الشياطين تنزل علي كل آفاك أثيم "[2] .

الخامس : أن ما يأتي به السحرة والكهان والمشركون وأهل البدع من أهل الملل لا يخرج عن كونه مقدور للإنس والجن ، وآيات الأنبياء لا يقدر علي مثلها لا الإنس ولا الجن ، قال تبارك وتعالي " قل لو اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "[3]

السادس : أن ما يأتى به السحرة والكهان وكل مخالف للرسل تمكن معارضته بمثله و أقوي منه كما هو الواقع لمن عرف هذا الباب ، وآيات الأنبياء لا يمكن أحد أن يعارضها لا بمثلها ولا بأقوي منها ، وكذلك كرامات الصالحين لا تعارض بمثلها ولا بأقوي منها ، بل قد يكون بعض الآيات أكبر من بعض وكذلك

---

١ سورة الأنعام اية ١٢١
٢ سورة الشعراء الايتان ٢٢١ ، ٢٢٢
٣ سورة الإسراء الاية ٨٨

آيات الصالحين ، ولكنها متصادقة متعاونة علي مطلوب واحد ، وهو عبادة الله تعالي وحده ، وتصديق رسله ، فهي آيات ودلائل وبراهين متعاضدة علي مطلوب واحد ، والأدلة بعضها أدل من بعض وأقوي من بعض ...

السابع : أن آيات الأنبياء هى الخارقة للعادات ، عادات الإنس والجن بخلاف خوارق مخالفيهم ، فإن كل ضرب منها معتاد للطائفة غر الأنبياء ، وآيات الأنبياء ليست معتادة لغير الذين يصدقون علي الله ، ويصدقون من صدق علي الله ، وهم الذين جاءوا بالصدق وصدقوا ، وتلك معتادة لمن يفترى الكذب علي الله ، أو يكذب الحق لما جاءه ، فتلك آيات علي من كذب أصحابها ، وآيات الأنبياء آيات علي صدق أصحابها ، فإن الله تعالي لا يخلي الصادق مما يدل علي صدقه ، ولا يخلي الكاذب علي الله كذبه ، فمن سنة الله تبارك وتعالي أن يظهر أهل الصدق بصدقهم ، ويظهر أهل الكذب بكذبهم ، ومن سنة الله تعالى أن يحق الحق ، ويمحق الباطل مهما حاول تزيف باطله وطلائه . قال عز وجل " أم يقولون افتري علي الله كذبا فإن يشأ الله يختم علي قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور " [١] .. ويقول جل شأنه فى آية أخري " بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون " . [٢] فلابد أن يجزي هؤلاء وهؤلاء بإظهار صدق هؤلاء وإظهار كذب هؤلاء .

الثامن : أن هذه لا يقدر عليها مخلوق ، فلا تكون مقدورة للملائكة ، ولا للجن ، ولا للإنس ، وأما كرامات الصالحين فهى من آيات الأنبياء .. ولكن ليست من آياتهم الكبرى ، ولا يتوقف إثبات النبوة عليها ، وليست خارقة لعادة الصالحين ، بل هى معتادة فى الصالحين من أهل الملل فى أهل الكتاب والمسلمين ، وآيات الأنبياء التى يختصون بها خارقة لعادة الصالحين .

التاسع : أن خوارق غير الأنبياء من الصالحين والسحرة والكهان وأهل الشرع والبدع تنال بأفعالهم كعبادتهم ودعائهم وشركهم وفجورهم ونحو ذلك ، وأما آيات

---

١ سورة الشورى الآية ٢٤
٢ سورة الأنبياء الآية ١٨

الأنبياء فلا تحصل بشئ من ذلك بفعلها آية وعلامة لهم ، قد يكرمهم بمثل كرامات الصالحين ، فأمر الآيات إلي الله تعالي ، لا إلي اختيار المخلوق ، والله تعالي يأتي بها بحسب علمه وحكمته وعدله ومشيئته ورحمته ، كما ينزل ما ينزل من آيات القرآن ، وكما يخلق ما يشاء من المخلوقات ، بخلاف ما حصل باختيار العبد ، إما لكونه يفعل ما يوجبه ، أو يدعو الله فيجيبه ، فالخوارق التي ليست آيات تارة تكون بدعاء العبد والله تعالي يجيب دعوة المضطر ، وإن كان كافرا ، لكن للمؤمنين من إجابة الدعاء ما ليس لغيرهم .

العاشر : أن النبي قد خلت من قبله أنبياء يعتبر بهم ، فلا يأمر إلا بما أمرت به الأنبياء من عبادة الله وحده ، والعمل بطاعته ، والتصديق باليوم الآخر ، والإيمان بجميع الكتب والرسل فلا يمكن خروجه عما اتفقت عليه الأنبياء ، وأما السحرة والكهان والمشركون وأهل البدع من أهل الملل فإنهم يخرجون مما اتفقت عليه الأنبياء فكلهم يشركون مع تنوعهم ، ويكذبون ببعض ما جاء به الأنبياء ، بل ويكذب بعضهم بعضا ، والآيات في هذا الشأن كثيرة ، فالأنبياء يصدق متأخرهم متقدمهم ، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد صلي الله عليه وسلم ، وكما صدق محمد صلي الله عليه وسلم جميع الأنبياء قبله .

الحادي عشر : أن النبي هو وسائر المؤمنين لا يخبرون الا بحق ،ولا يأمرون الا بالعدل ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويأمرون بمصالح العباد فى المعاش وفى الميعاد ،فهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا تبديلها وتغيرها ، فلا يأمرون الا بما يوافق فى العقول الذى تتلقاه القلوب السليمة بالقبول ٠٠ومخالفوهم من اهل الكفر وأهل البدع كا السحرة والكهان يفسدون الحس والعقل ،كما افسدوا الأدلة السمعية ،والحس والعقل بهما تعرف الأدلة ،

والطرق ثلاثة : الحس والعقل والخبر ، فمخالفو الأنبياء افسدوا هذا وهذا و هذا .. وأصحاب الحال الشيطانى ٠ فقد عرف ان السحر يغير الحس والعقل حتى يخيل إلى الإنسان الشئ بخلاف ما هو ، وكذلك سائر الخوارق الشيطانية ، لا تأتى إلا مع نوع الفساد في الحس والعقل ، كالمؤلهية الذين لا يأتيهم إلا مع

زوال عقولهم ، وآخرين لا تأتيهم إلا في الظلام ، وآخرين تتمثل لهم الجن فى صورة الإنس فيظنون أنهم إنس ، أو يرونهم مثال الشئ فيظنون أن الذي رأوه هو الشيء نفسه ، أو يسمعونهم صوتا يشبه صوت من يعرفون فيظنون أنه صوت ذلك المعروف عندهم ، وهذا كثير موجود في أهل العبادات البدعية التى فيها نوع من الشرك ومخالفة الشريعة [١] .

وهذه فروق جوهرية ساقها لنا ابن تيمية لبيان الفرق بين المعجزة والكرامة من ناحية وبينهما وبين السحر والكهانة من ناحية أخري . وحتى لا يغتر أحد منا أو أن الذي أتاه كرامة نود أن نوقفه علي عدة أمور حتي لا يقع في المحذور ، ويكون الغرور أو يحدث التباس بين الكرامة وغيرها مما سنذكره حالاً :

رابعا : الارهاص والمعونة والإهانة والاستدراج

الإرهاص :

أمر خارق للعادة يظهره الله تعالي علي يد نبي قبل بعثته تمهيد وتوطنة لنبوته كإظلال الغمام للنبي محمد صلي الله عليه وسلم قبيل البعثة [٢]

والمعونة :

هي أمر خارق للعادة ، يظهره الله تعالي علي يد بعض العوام تخليصا له من شدة . [٣]

والإهانة هى :

أمر خارق للعادة ، يظهرة الله علي يد كاذب ، مدعي النبوة ، علي خلاف مطلبه ، لأن الله تعالي يريد أن يفضحه علي الملأ ، وينكشف ستره ، كما حدث لمسيلمة الكذاب ، فقد تفل في عين أعور لتبرأ ، فعميت السليمة [٤] .. وعلي

---

١ النبوات ، ابن تيمية ص ٤٢٢ : ٤٣٢ مع حذف انظر وتلخيص في بعض ، دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ /١٨٨٢

٢ انظر : علم التوحيد فى ضوء العقل والنقل د/ مبارك حسين ص ٤٣١ ، وقال فى الهامش : حاشية أم البراهين الصغرى ص ١١٦ ، وانظر حاشية الصاوي علي الخريدة ص ٩٨

٣ انظر : المرجع السابق ص ٤٣٠

٣ المرجع انظر المرجع السابق نفس الصفحة

ذلك فهناك معجزة وكرامة ، وارهاص ، ومعونة وإهانة ، ويضيف العلماء :

الاستدراج :

وهو مأخوذ من الدرج مصدر درج ، وهو الأخذ بالتدريج ، وقيل مأخوذ من الدرجة والمعني أن يحط درجة بعد درجة إلي المقصود ... وقال الضحاك : كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة . وقيل لذي النون ما أقصي ما يخدع به العبد ؟ قال : بالألطاف والكرامات ، وأنشد بعضهم

في هذا شعرا فقال

- أحسنت ظنك بالايام إذ حسنت

ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها

وعند صفوة الليالي يحدث الكدر

والمراد : استرسال الظلمة والطغاة في غيهم وضلالهم ، من حيث لا يدرون من عاقبة أمرهم ، لجهلهم سنن الله تعالي في المنازعة بين الحق والباطل ، والمصارعة بين الضار والنافع ، وكون الحق يدفع الباطل ......فهذا كله استدراج بمعني التنقل في مدا رج الغرور [١]

وقال البغدادي (إن اظهر الله تعالي للفاسق علامة تدل علي صدقه وبراءة ساحته مما يقذف به ، جاز ذلك وسميناها حينئذ معونة ، أو مغوثة ، فالمعجزات للأنبياء ، والكرامات للأولياء ، والمعونات لسائر العباد) [٢] ، وقال صاحب المنار (الكرامات نوع من خوارق العادات التي تروي عن جميع الأمم المختلفة الأديان والملل ، وقد قال علماء الكلام : إنها تقع للمؤمن والكافر والنبي والساحر ، ويختلف اسمها باختلاف من ظهرت علي يديه ، فتسمي معجزة للنبي المرسل إذا تحدي بها ، وكرامة للرجل الصالح المتبع للرسول ، ومعونة لمن دونه من المؤمنين ، واستدراجا للكافر والفاسق) [٣]

---

١ انظر المنار ٣٧٧/٩

٢ أصول الدين ص ١٧٥

٣ المنار ٣٦٦/١١

أسباب ظهور البدع :

وإذا كانت الكرامة تظهر ، وتكثر بين المسلمين ، وذلك لارتقائهم ، وعلو همتهم ، وبتوثيق الروابط بينهم وبين ربهم ، وعباداتهم المخلصة لخالقهم ، ودعواتهم المتوجهة إلي بارئهم الواحد الأحد ، وسعيهم الدءوب المتواصل في أخذهم بالأسباب التي بثها الله تعالي في كونه . وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر . التقوى سلاحهم ، والزهد والورع غايتهم ، ونشر الاسلام والدعوة إليه أقصي أمانيهم ، والعمل بما في التنزيل هدفهم ، إن الدولة الإسلامية إذا نهجت هذا النهج بكل مؤسساتها ، فلا ريب ولا جدال علي الاطلاق في ظهور الكرامات ، بل وكثرتها في تلك البيئة الطاهرة ، وهذه الأرض الطيبة ، كما كان ذلك سائدا في سلف الأمة .. وفي المقابل فإن ظهور البدع والخرافات والأوهام ، والدجل والشعوذة والسحر وضرب الودع ، والربط والعمل والكهانة والنذر لأصحاب الأضرحة والتضرع إليهم ، وقراءة الفنجان وإدعاء الولاية ، وكذا إدعاء الكرامات ... الخ

إن كل هذه الضلالات تظهر وتتفشى بل وتنتشر بسبب مجموعة من العوامل منها :-

- ضعف عقيدة التوحيد الخالص
- الأمية الدينية المتفشية بين المسلمين ، وسأشير إلي هذه النقطة
- التواكل والتكاسل الذي يستمرئه البعض
- الهزائم المتلاحقة التي تصيب البلاد الإسلامية ، بسبب -تركهم الأسباب التي أودعها الله تعالي في كونه ، وسأشير إلي هذه النقطة كذلك
- تكسب الممارسين لهذه الضلالات المحرمة ، وإلقاءهم في روع ضعاف الإيمان أن مثل هذه الأمور أو أحدها هو الحل الأوحد ...
- تقليد خصوم الإسلام في هذه الأمور ، فإن عقيدة الكفرة وفكرهم مملوءة بمثل هذه الأباطيل ..

هذا وقد ذكر بعض الباحثين أسبابا أخري لظهور هذه البدع فقال

- السبب الأول : هو ادعاء الولاية والكذب علي العامة ، واستغلال عاطفتهم وميلهم للغلو في هذا الجانب..
- الثاني : بعض الطرق الصوفية وما أكثرها في زماننا هذا لعبوا ولا يزالون دورا بارزا في تفريخ أولياء جدد ، والتمكين لهم بين الناس ... وتفرع عن هذه الدعاوي طوائف من المنتفعين من سدنه الأضرحة ، والذي يزعم أحدهم أنه رأي الولي الفلاني في منامه ، فأمره أن يبني له ضريحا ويكسوه ، ويوقد عليه السرج ، وتبدأ سلسلة من الإرتزاق والمخادعة.
- الثالث : الأدب الشعبي ، ويقوم بدور الدعاية ، والمجند في هذا الجانب ، وليس من المستبعد أن يكون الأدباء الشعبيون – المداحون – هم الذين نسجوا الخوارق ، أو علي الأقل كانوا هم العامل الضخم في تخليدها قصصا وأساطير وموروثات
- الرابع : بعض المنتفعين من وعاظ المتصوفة ممن يحيكون الأساطير والكرامات ويسبغونها علي الأولياء) [١] . ويضيف المؤلف سببين آخرين ويقول :-

(ومن أهم أسباب تنافي عدد الأولياء والاحتفاء بالمضر وحين

- في زماننا هذا – وتشجيع الخرافات ، ستر الفساد السياسي ، والإسهام فيه ، والتخاذل أمام هجمات الأعداء ، وكذلك ضرب مسيرة الإسلام الصحيح ، حتى إن المستعمرين استغلوا السذاجة التي شاعت وانغماس الناس في الدجل والدروشة فشجعوا هذا الاتجاه ، وشاركوا فيه ، ليستقر لهم ذمام الأمور) [٢] . ثم ساق أن نابليون كان يحضر حفلات المولد ، ويشهد حلقات الذكر ، وفعل الشيء نفسه المندوب السامي البريطاني عند احتلالها مصر . ويضيف (وهناك جوانب تجارية وترويحية وفنية واقتصادية

---

١ الألوهيه في العقائد الشعبيه علي ضوء الكتاب والسنة ، عبد السلام البسيوني ص ٣٤ دار الإيمان ط الأولي ١٩٩٣م

٢ المرجع السابق ص ٣٦ .

للموالد والاحتفال بالأولياء .... وينشط الحواة والراقصات ، ولاعبوا الورق والتياترو الغناء الشعبي وغيرها . كما أن لها جوانب انحرافية كانتشار البغاء . بالإضافة إلي ترويج المخدرات بأنواعها ، حيث تنتشر غرز الحشيش في كل مولد ، وتنشط حركة الإتجار فيه ، إضافة إلي النشل والسرقة والتسول والنصب) [١]

- أما عن الأمية المتفشية بين المسلمين وبخاصة الأمية الدينية ، وضعف عقيدة كثير من المسلمين والتجائهم إلي الكهنة والسحرة ..الخ فقد جاءت إحدي الإحصائيات تكشف عن سوء هذه الأمية الإسلامية (فقد أجرت الدكتوره ساميه الساعاتي بحثا ميدانيا عن السحر والذين يتعاملون مع الجن شمل ١٣٩ ساحرا وساحرة وخرجت بالنتائج الآتية :-

- نصفهم تقريبا ذكور ٤٩،٦٤% ونصفهم إناث ٥٠،٣٦%
- معظمهم فوق الأربعين
- معظمهم من المسلمين ٩٤،٢٤ % ، والباقي ٥،٧٦% نصاري [٢]
- نسبة قليلة منهم نالوا حدا من التعليم ٦،٤٧% إعدادية ، ٤،٣٢% ثانوية ٦،٤٧% جامعة
- ٢٥،١٨% منهم متخصصون في قراءة الفنجان
- ٢٠،٨٦% منهم متخصصون في عمل الأعمال
- والباقون ٦٣،٩٦% يقومون بأعمال سحرية متعددة كقراءة الكف والكوتشينه وفتح المندل ...الخ
- غالبيتهم يستخدمون آيات من القرآن في ممارساتهم السحرية ٥٠،٣٦ %ويستخدمون الإنجيل بنسبة ٤،٣٢% [٣] مع خلط الدين والقرآن بالسحر لضمان التأثير علي الناس
- ٢٤،٤٦% يستعملون كتب السحر

---

١ المرجع السابق ص ٣٧ .
٢ وهذا بالنسبة لكثرة المسلمين في بلادنا وقلة النصاري ، أما النصاري فالنسبة معكوسة
٣ الملحوظة السابقة

- ٥٦،٨٣ منهم متفرغون للسحر تماما ، ٤٣،٧ يزلولون عملا آخر بجانب السحر [1]

هذا عن القائمين بهذه الأعمال الضارة المضلة الفاسدة المفسدة أما عن المترددين علي السحرة والكهان وغيرهم فكانوا كما يلي :-

- ٨٥،٧% منهم من المتعلمين تعليما متوسطا وعليا
- ١٨،٢% منهم ينتمون إلي مهن إدارية متوسطة وعليا
- ٢٤% منهم ينتمون إلي كتابية متوسطة وعليا
- ٣٠،٠٢ % منهم ينتمون إلي مهن فنية متوسطة وعليا
- ٩٢،٤٧ % منهم فوق العشرين -للبحث عن زوج وزوجة ، وهؤلاء ناضجون ومكلفون شرعا وقانونا .
- ٦١،٦٥ %منهم إناث ، ٣٨،٣٥ % منهم ذكور [2]

وبعد فهل اتضحت لكم أيها القراء الأمية الطاغية البعيدة عن الإسلام ونهجه ، وهل هذا هو ما أمر به رب العزة ، وهل بهذا الفكر وأمثاله ننتصر به علي أنفسنا ثم علي أعدائنا ، وهل مثل هذه الترهات ، نقتحم بها القرن الحادي والعشرين ... وهل يمكن للدعاة إلي الله تعالي أن يعيشوا واقع المسلمين المؤلم وينهضوا بصحوة إسلامية لإنقاذ الناس وانعتاقهم من هذه الأباطيل ، والأخذ بأيديهم إلي ساحة الإسلام الصحيح ، وإنقاذهم من براثن الجهل والتخلف ، وانتشالهم من الهزائم المتلاحقة الغارقون فيها وقد عجزوا عن الخلاص منها وهذه هى الإشارة الأخيرة وهي:

من أسباب ظهور البدع الهزائم المتلاحقة والكثيرة التي تصيب المسلمين في عصرنا هذا . فبدلا من الإستعداد العملي ، والسلوك القويم واتخاذ الأسباب لمناهضة الخصوم ، ومقاومتهم ، والإستبسال والجهاد ضدهم ، وانقاذ بلادنا من الاستعمار بكل اشكاله سواء أكان عسكريا أم اقتصاديا ، أم فكريا ، ام إعلاميا

---

١ المرجع السابق ص ٧٥
٢ أنظر : المرجع السابق ٧٥،٧٦

..الخ بدلا من كل هذا نجد التخاذل والتواكل ، والتفكير الشيطاني باتخاذ اساليب عفي عليها الزمن ، وعابها كل العلماء في كل الدنيا . ولقد صدق بن تيمية فيما قاله وهو يتحدث مثلا عن الكهانة فقال (والكهانة هو الإخبار ببعض الغائبات عن الجن ، أمر معروف عند الناس ، وأرض العرب كانت مملوءة من الكهان ، وإنما ذهب ذلك بنبوة سيدنا محمدج صلي الله عليه وسلم ، وهم يكثرون في كل موضع نقص فيه أمر النبوة ، فهم يكثرون في أرض عباد الأصنام ، ويوجدون كثيرا عند النصاري ، ويوجدون كثيرا في بلاد المسلمين حيث نقص العلم والإيمان بما جاء به رسول الله صلي الله عليه وسلم ، لأن هؤلاء أعداء الأنبياء ، والله تعالي قد ذكر الفرق بينهم وبين الأنبياء فقال " هل أنبئكم علي من تنزل الشياطين تنزل علي كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون " [١]

وهناك حدث مؤسف ومحل سخرية في الوقت ذاته اسوقه للبيان : متي تظهر البدع والخرافات ؟ ومن من ؟

ولابأس بنقله بفصه ونصه من مصدر يقول الدكتور / أحمد شلبي (انتهز بعض المسيحيين بمصر فرصة الهزيمة النكراء التي حلت بجيشنا في يونيو سنة ١٩٦٧م بسبب اضطرابات القيادة السياسية والعسكرية ، ولم يشاركوا الشعب آلامه ، ورأوا أن القيادة السياسية كانت تتلمس الطريق لإرضائهم ولو علي حساب الحق والإسلام ، فلم يضيعوا هذه الفرصة ، وأرادو أن يكسبوا جولة من النصر ، فادعوا أن العذراء قد ظهرت للناس ، وأعادوا الأبصار للعميان ، والقوة للكسيح ، وخرجت صحيفة وطني المسيحية تهلل وتذيع ، ولم يعدلها من عمل إلا تأييد هذه الفرية الهزيلة وقد حاولت - أحمد شلبي - أنذاك كما حاول غيري أن نرد هذا الباطل ولكن القيادة السياسية بتعليمات عبد الناصر منعت أي نقاش في هذا الموضوع ، فسكتنا حتي أذن الله تعالي للحق أن ينبلج ولصوت الباطل أن يخفت ، ولكن ذلك لم يتم إلا بعد ضحايا كثيرين سقطو في الزحام الذي جمعته الدعاية الظالمة ، وبدل أن تشفي العذراء المرضي ، تسببت هذه الفرية

١ كتاب النبوات ، بن تيمية ص ٢٠ والايات من سورة الشعراء ٢٢١ : ٢٢٣

التي ارتبطت بالعذراء في قتل الأبرياء)[١] . ثم يكذب هذا العبث ويستشهد بكلام باحث مسيحي وهو يدحض هذه الفرية ويقول نقلا عنه (يقول[٢] ... في مارس ١٩٦٨ م صرخت كنيسة العذراء بضاحية الزيتون[٣] صرخة مدوية بأن العذراء ظهرت بها ، وأنها تشفي المرضي وتعيد الإبصار للعميان ، وقد سمع الصرخة آلاف من المصريين ، فاتجهوا ليروا هذا الأمر الجلل ، ولم تقنع القيادة المسيحية بمصر بأن يذاع مثل هذا الخبر دون توثيق فأرسل البطريرك كرولس السادس مطران بني سويف ليري بنفسه وليعلنه بصفة رسمية ، وفي إبريل أعلن هذا المطران ظهور العذراء في هذه الكنيسة ، وأنها ظهرت عدة مرات بحجمها الطبيعي ، أو ظهر النصف الأعلي ، وقد أذاع المطران الإعلان في مؤتمر صحفي ذاكرا أنه رأي العذراء بنفسه ، وأن آلاف الناس رأوا ذلك . ويقول المؤلف : إن الذي ظهر ليس إلا انعكاسا ضوئيا[٤] وليس بحال من الأحوال ظهور العذراء ... وأن العذراء لم تكن تشفي المرضي وهي حية منذ ألفي سنة ... ويستمر المؤلف فيقول : إن الكنائس في شبرا ، وفي المعادي أخذت تتنافس في إدعاء الأمر لتجذب لها الجماهير المخدوعين ، بل وصل الأمر إلي كنائس شتي في جميع بلاد الشرق الأوسط أخذت تدعي هذا الإدعاء ، ولقد تسبب عن هذا الإدعاء كارثة مروعة ، ففي ١٩ مايو ١٩٦٨ م قتل وطئا تحت الأقدام خمسة عشر شخصا في زحام داخل كنيسة شبرا وبهذا الحدث الجلل توقف هذا الباطل ، وقطعت ألسنة الكذابين)[٥]

- ظهور في أماكن أخري

لم تتوقف الكنيسة عن هذه الترهات ولم تعي الدرس سواء في الماضي أم في الحاضر ، فذهبت إلي يوغوسلافيا -سابقا- وفي أوساط الفقراء السذج من أتباعها

---

١ المسيحية ، د / احمد شلبي ٩٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة العاشرة

٢ اسم المؤلف اجنبي وكذلك كتابه

٣ ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة

٤ كان هذا سائدا في الماضي ، وفعلته الكنيسة في الزمان الغابر مرارا وسخر منه كل المفكرين في الشرق والغرب من المسيحيين أنفسهم وماتت تلك الترهات والخرافات ، فلماذا تعود بها من وقت لآخر !!! ؟ وتعود بعقارب الساعة إلي الوراء

٥ المسيحية د/ احمد شلبي ص ٩٦ ، ٩٧

أذاعت في ١٩٨٧/٨/٢٨ م أن العذراء قد ظهرت عدة مرات هناك [١] وهكذا أدركنا بعض الأسباب أو العوامل التي تساعد علي ظهور تلك الضلالات والإدعاء الكاذب لظهور الكرامات .

وينبغي علينا قبل مفارقة هذا الموضوع إلي موضوع آخر أن نذكر كلام عالمين جليلين من علماء الإسلام لكل منهما وزنه في زمانه .

الأول حديث بن تيمية فبعد أن أثبت الكرامات لصالحي هذه الأمة ، وبخاصة السابقين من سلفها قال منبها (يجب التنبه إلي أن ما يقوم به الدجاجلة والمشعوذون من أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون أنفسهم بالمتصوفة من أعمال ومخاريق شيطانية كدخول النار ، وضرب أنفسهم السلاح والإمساك بالثعابين ، والإخبار بالغيب إلي غير ذلك ، ليس من الكرامات في شيء ، فإن الكرامة إنما تكون لأولياء الله تعالي بحق ، وهؤلاء أولياء الشيطان) [٢]

الثاني حديث غزال القرن العشرين ، صاحب القلم الرصين ، والدعوة الصادقة ، استاذ الأجيال المتعددة وهو استاذنا المرحوم الشيخ الغزالي ، ولندع قلمه يكتب ويسجل (لقد شهدت أعمال زائري الضريح ما يستدعي الجلد بالسياط ، لا ما يستدعي الزجر بالكلام . وحسبك من معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح - السيد البدوي - للوفاء بالنذور والإبتهال بالدعاء ، ولمن النذور ؟ ولمن الدعاء ؟ إنه أول الأمر للسيد ، فإذا جادلت القوم قالوا : إنه لله عن طريق السيد البدوي ، وأكثر أولئك المغفلين يقــول لك : نحن نعرف الله جيدا ، ونعرف أن أولياءه عبيده ، وإنما نتقرب بهم إليه . فهم أطهر منا نفسا وأعلي درجة . وهذا الكلام علي فرض مطابقتة لواقع القوم غلط فى الإسلام ، فإن الله تعالي لم يطلب منا أن نجيء بالآخرين معنا ليحملوا عنا حسناتنا ، أو ليستغفروا لنا زلاتنا .. بل المعروف من بديهيات الإسلام الأولي أن الطالب ووسيلته يجب أن يكونا من الله تعالي " إياك نعبد وإياك نستعين " أليس من المضحك أن نستنجد بقوم يطلبون

---

١ انظر المرجع السابق ص ٩٧
٢ شرح العقيدة الوسطية ، بن تيمية ص ٩٧٩ ط الرياض ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

لأنفسهم النجدة .... غير أن البشر سفهوا أنفسهم ، فالمعابد التي أقاموها علي قبور الصالحين قدسوها ، وسلكوها مسلك الأصنام في الشرك . فلما جاء الاسلام أعلن علي هذين المظهرين - الأصنام والقبور - مـــن مظاهر الوثنية حربا شعواء ، وشدد تشديدا ظاهرا في محق هذه المساخر المنافقة . وقد رأينا كيف أن النبي صلي الله عليه وسلم أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن يسوي بالأرض كل قبر ، وأن يهدم كل صنم ، فجعل الأضرحة العالية والأصنام المصوبة سواء في الضلالة ، ومع كثرة الدلائل التي انتصبت في الإسلام دون الوقوع في هذا المحظور ، فقد أقبل المسلمون علي بناء المساجد فوق قبور الصالحين ، وتنافسوا في تشييد الأضرحة ، حتي أصبحت تبني علي أسماء لا مسميات لها ، بل قد بنيت علي ألواح الخشب ، وجثث الحيوانات !!! ومع ذلك فهي مزارات مشهورة لتفريج الكروب ، وشفاء المرضي ، وتهوين الصعاب !! لماذا نستحي من وصف القبوريين بالشرك مع أن رسول الله صلي الله عليه وسلم وصف المرائين به فقال " الرياء شرك " إن واجب العالم المسلم أن يرمق هذه التوسلات النابية باستنكار ، ويبذل جهده في تعليم ذويها طريق الحق ، لا أن يفرغ وسعه في التمحل والإعتذار . ولست ممن يحب تكفير الناس ، ولكن حرام أن ندع الجهل بفتك بالعقائد ونحن شهود ... إن الحسين رضي الله عنه لم يدفع عن نفسه وهو حي ، فكيف يدفع عن غيره وهو ميت ... فإذا وقع الجهال في تلك الخطايا بغباوتهم فلماذا لا نسارع إلي إنقاذهم منها بدل تزوير الفتوي)[١] .

ولكل ما سبق يجب التفريق بين من هم عباد الله الصالحين أهل البشارات والكرامات وبين الدجالين أهل الشيطان والضلالات ...

وبعد هذا البيان هيا بنا لنغرص في بحار العلم والمعرفة ، ونغترف اللآليء والجواهر النفيسة ،ونعيش فى دوحة أبي الصهباء ورفاقه الأصفياء ، ونذكر مجموعة من الكرامات لمجموعة من عباد الله تعالي ، صفت نفوسهم من كل

---

[١] عقيدة المسلم ، الشيخ محمد الغزالي ص ٦٥ وما بعدها (بتصرف) .

شوائب الدنيا وكدرها ، وتعلقت أرواحهم بالملأ الأعلي ، وانجذبو وانحازوا كلية إلي كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلي الله عليه وسلم ..

خامسا : نماذج من الكرامات :

قد نطيل هنا بعض الشيء في ذكر نماذج من كرامات الصالحين من عباد الله تعالي ، والغرض هو شحذ الهمة ، والجهاد والمجاهدة بغية اللحاق بركب الأولياء ، وكما قيل كثرة الأدلة تفيد اليقين :

- السيدة مريم بنت عمران أم سيدنا عيسي عليه السلام ، وقصتها واردة في القرآن الكريم ، وظهرت لها كرامات متعددة منها : ما كان يأتيها من الرزق من حيث لا تحتسب ، وكذلك : تساقط الرطب عليها وهي في قمة الوهن بسبب هز جذع النخلة اقرأ قوله تعالي " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " [١] واقرأ في شأن نزول الرطب الجني قوله تعالي " وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلي واشربي وقـري عينا " [٢] .. ومن المعلوم لدي العلماء أن السيدة مريم ليست نبية ، لأنهم اتفقوا علي أن الأنبياء والرسل لا يكونوا إلا من الرجال قال تبارك وتعالي " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم " [٣] وعلي هذا فتلك كرامات لها . ويمكن بقصة السيدة مريم وغيرها أن نستدل بأن المرأة أهلا للصلاح والتقوى ومن ثم للولاية والتكريم في الإسلام ، وليس كما يدعي خصوم الإسلام [٤]
- قصة صاحب سيدنا سليمان النبي بن سيدنا داود النبي عليهما الصلاة والسلام والذي قال عنه العلماء إنه كان يعرف الإسم الأعظم وهو الذي إذا دعي به أجاب ، كما أنه كان عنده علم من الكتاب ، فعندما طلب سيدنا

---

١ سورة ال عمران الاية ٣٧
٢ سورة مريم الايتان ٢٥ ، ٢٦
٣ سورة يوسف اية ١٠٩
٤ للمؤلف كتاب حول هذا المعني تحت عنوان (جهاد المرأة في حقل الدعوة)

سليمان من خاصته أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة سبأ قال له وزيره آصف " أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك " ودعا فأجيب ، وكان عرش بلقيس قائم بين يدي سيدنا سليمان اقرأ قوله تعالي " قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي "[1]

- قصة أصحاب الكهف . وخلاصتها أنهم كانوا عددا من الرجال ومن أشراف الروم ، وكانوا مؤمنين بالله الواحد الأحد ، وخافوا علي إيمانهم من الظلمة والطغاة ، ففروا الي الله تعالي ولاذوا بالغار خوفا من بطش السلطان الظالم ، ولبسوا في الكهف ثلاث مائة سنين وتسع ، وكل هذه المدة بلا طعام ولا شراب ، ولم يموتوا من عدم الطعام والشراب في هذه المدة الطويلة ، ومن المعلوم أنهم ليسوا من الأنبياء قال إمام الحرمين وغيره : (ولم يكونوا أنبياء بالإجماع)[٢] وعلي ذلك فهذه كرامة لهم من الله تبارك وتعالى ، وقد جاء ذكرهم فى القرآن الكريم اقرأ قوله تعالى فى شأنهم (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) الى قوله تعالى " فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا "[٣] .
- قصة أم سيدنا موسى عليه السلام ، فإنها خافت على وليدها الرضيع وهـــو سيدنا موسى ، فكـــان وحي الله تعالى إليها – وحي الهام – وهذا كرامة لهـــــا ولاشك اقرأ قوله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم و لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين"[٤] وقد كان ووقع ما وعدها الله تعالى به .

---

[١] سورة النمل الايات ٣٨ : ٤٠
[٢] بستان العارفين النووي ص ٩٥
[٣] سورة الكهف الأيات ٩: ١٥
[٤] سورة القصص اية ٧

- قصة الخضر رضي الله عنه . وما كان من شأنه مع موسى عليه السلام من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار، وتأويل ذلك كله مما كان موسى لا يعلمه ومن المعلوم أن الخضر لم يكن نبياً بل كان وليا أظهر الله تعالي علي يديه هذه الخوارق . اقرأ قصة الخضر مع سيدنا موسي عليه السلام فى سورة الكهف من أوائل قوله تعالي " فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلماه من لدنا علما " الي قوله تعالي " وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً " [١]
- وفى سورة الكهف نفسها قصة ذو القرنين وتمكين الله تبارك وتعالي له في الأرض ما لم يكن لغيره ولم يكن نبيا إقرأ قصته في سورة الكهف من أول قوله تعالي " ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا " الي قوله تبارك وتعالي " قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا " [٢]
- وقصة جريج والرضيع الذى تكلم لأمه وهو يرضع . كما جاء فى كتب السنة ، ونص الحديث " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : لم يتكلم في المهد إلا ثلاث : عيسي ، وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي ، جاءته أمه فدعته ، فقال أجيبها أو أصلي فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته ، فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً ، فقالت : من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلي ثم آتي الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ فقال : الراعي ، قالوا : نبني صومعتك من ذهب : قال لا : إلا من طين ، وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها ، وأقبل علي الراكب

---

[١] سورة الكهف الآيات من ٦٥ : ٨٢
[٢] سورة الكهف الآيات ٨٣ : ٩٨

فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل علي ثديها يمصه ، قال أبو هريرة : كأني أنظر إلي النبي صلي الله عليه وسلم يمص اصبعه . ثم مر بأمة فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فترك ثديها فقال : اللهم اجعلني مثلها فقالت له ذلك ، فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون : سرقت زنيت ولم تفعل " [١] . وقد ذكر بن حجر أن أكثر من ثلاثة تكلموا في المهد وقد عدهم ، وبعد أن شرح الحديث ذكر فوائد جمة تؤخذ من الحديث منها : عظم بر الوالدين ، وإجابة دعائهما ، ولو كان الوالد معذورا ، لكن يختلف الحال فى ذلك بحسب المقاصد ، وفيه الرفق بالتابع إذا جري منه ما يقتضي التأدب لأن أم جريج مع غضبها لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة ، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن ، وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه لأنه استنطق المولود مع كون العادة انه لا ينطق ،ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه ، وفيه أن الأمرين اذا تعارضا بدئ بأهمهما ، وان الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم فى بعض الأوقات تهذيبا وزيادة لهم فى الثواب ، وفيه إثبات كرامات الأولياء ووقوع الكرامه لهم باختيارهم وطلبهم ... وان المفزع فى الأمور المهمة الى الله يكون بالتوجه اليه فى الصلاة [٢] ولا شك ان هذه كرامات لجريج وكذلك لأمه ، وللمراة التى كلمها وليدها ،وقد قال القشيرى " الكرامات قد تكون إجابة دعوة ،وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقه من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة ، أو تخليص من عدو ، أو سماع خطاب مـــن هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة " [٣] ومن الأمور العجيبة التى روتها كتب السنة كلام الذئب ،

---

١ أخرجه البخاري فى كتاب : حديث الأنبياء ، باب : قوله تعالي " واذكر فى الكتاب مريم .. ٣٧/٦
٢ فتح البارى ،ابن حجر ٣٧٤/٦
٣ الرسالة القشيرية ، القشيري ص ١٦٠

وحديث البقرة " عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : بينما راع فى غنمه عدي عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال : من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري ، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه فكلمته فقالت : إني لم أخلق لهذا ، لكني خلقت للحرث ، فقال الناس سبحان الله ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم : فإني أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما " [١] .والأعاجيب في هذا الشأن كثيرة مثل حديث أصحاب الغار وقد تقدم .

- كرامة لسيدنا ابي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه : سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه له مناقب كثيرة ، ويكفي أن نذكر أنه رضي الله تعالي عنه أول من آمن برسول الله صلي الله عليه وسلم من الرجال كما هو معروف ، وأنه كان الداعية الأول بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقد دخل فى الإسلام علي يديه كثير من الناس ، الذين أصبحوا بعد ذلك من أفذاذ الصحابة ، وجهابذة الدعاة إلي الله تعالي ، وأنه رضي الله عنه الذي واسي رسول الله صلي الله عليه وسلم بماله وجهده ، وانه صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم في الهجرة كما هو معلوم ، وأنه صاحب المواقف الرائعة وقت الشدائد والمحن ، فتسليمه منذ اللحظة الأولي عند السماع عن معجزتي الإسراء والمعراج معلومة كذلك ، كذلك موقفه عندما علم بموت رسول الله صلي الله عليه وسلم معروفة أيضا ، وإن ننسي فلن ننسي له موقفه من المرتدين ومانعي الزكاة ومدعي النبوة بعد موت رسول الله صلي الله عليه وسلم . ولن ننسي كذلك أنه والد السيدة عائشة رضي الله عليها زوج رسول الله صلي الله عليه وسلم ، كما لايمكن أن ننسى ذكره فى القرآن الكريم ، وآيات كثيرة نزلت في شأنه ،

---

[١] اخرجه البخاري فى أحاديث الأنبياء ، كتاب : فضائل أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ، باب فضائل ابي بكر الصديق ١٨،١٩/٧

كما ذكره الرسول صلي الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة تؤكد مدي منزلة الرجل عند الله وعند رسول الله صلي الله عليه وسلم : ولولا خوف الإطالة لذكرنا كل ذلك بالتفصيل ، لكنه يخرجنا عما نحن بصدده من ذكر كراماته وحتي فى هذه لا نطيل ونذكر له كرامة واحدة " فعن عائشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم أنها قالت : إن أبا بكر الصديق كان نحلها جادّ عشرين وسقا من ماله بالغابة ، فلما حضرته الوفاة قال : والله بنية ما من الناس أحد أحب إلي غني بعدي منك ، ولا أعز عليّ فقرا بعدي منك ، وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا فلو كنت جددتيه وأخزتيه كان لك ، وإنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه علي كتاب الله . فقالت عائشة : فقلت : يا أبت والله لولا كان كذا وكذا لتركت ، وإنما هى أسماء فمن الأخرى ؟

فقال أبو بكر : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية "[1] والمعنى ان الصديق كان نحل السيدة عائشة اى وهبها عشرين وسقا من نحله إذا جد أى قطع ، فلما دنا أسباب موته وعلامات الوفاة ولم تكن قد حازته ،لأن الجمهور على إن حيازة الهبة شرط فى تمامها ٠ وذو بطن ، بمعنى الجنين فى بطن حبيبه بنت خارجه زوجه وقد كان المولود أنثى كما قال الصديق وسميت أم كلثوم ، وقد عد العلماء هذا كرامه لسيدنا أبى بكر الصديق [2]

كرامة سيدنا عمر بن الخطاب :

سيدنا عمر بن الخطاب وهو العبقري الفذ والمؤمن القوي ، والذي كان يهابه الشيطان وكفي بذلك منقبة ، ومناقبه سجلها التاريخ بأحرف من نور وهي من الكثرة بمكان ، ويكفي أن نعلم جميعا أنه أحد المبشرين بالجنة من رسول الله صلي الله عليه وسلم . ونذكر له كرامة واحدة هنا . فتذكر كتب

---

١ رواه مالك فى الموطأ ٥٦/٤٥ ، دار الكتب العلمية ط أولي ١٤١١ هـ وذكره البيهقي في السنن الكبري ١٦٩/٦ /١١٧٢٨ في باب شرط القبص في الهبة ، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٩٩٤ م ، مصنف عبد الرازق ١٦٥٠٧/١٠١/٩ ، باب النحل ، المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ . وكرامات الاولياء اللالطاني ص ١١٦ رقم ٦٢ ، دار طيبه الرياض ١٤١٢ هـ

٢ انظر : شرح الزرقاني علي الموطأ ٥٦،٥٧/٤

التراجم والسير والتاريخ قصة سيدنا عمر بن الخطاب مع سارية بن زنيم – بضم الذال- وخلاصتها " أن عمر بن الخطاب بينما هو يخطب يو الجمعة ، إذ قال ياسارية بن زنيم الجبل الجبل ، فلجأ المسلمون إلي جبل هناك ، فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة [١] فأظفرهم الله بهم ، وفتحوا البلد وغنموا شيئا كثيرا ، فكان من جملة ذلك سفط – بفتح السين والفاء- [٢] من جوهر ، فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس ، وقدم الرسول بالخمس ، فوجد عمر قائماً وفى يده عصا ، وهو يعظم المسلمين سماطهم [٣] ، فلما رآه عمر قال له اجلس ولم يعرفه ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلي منزله واتبعه الرجل ، فاستئذنه فأذن له ، وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح ، فقال ادن فكل ، قال : فجلست ، فجعل يقول لامرأته : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ فقالت إنى أسمع حس رجل عندك ، فقال أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال لاشتريت لي غير هذه الكسوة ، فقال : أما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت علي ، وامرأة عمر ! فقالت : ما أقل غناء ذلك عني ! ثم قال للرجل : أدن فكل ، فلو كانت آخيته لكان أطيب مما تري ، فأكلا ، فلما فرغا قال : أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين ، فقال : مرحبا وأهلا ، ثم أدناه حتي مست ركبتيه ركبته ، ثم سأله عن المسلمين ، سأله عن سارية بن زنيم ، فأخبره ثم ذكر له شان السفط من الجوهر ، فأبي أن يقبله ، وأمر برده إلي الجند ، وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتا يوم الوقعة قال : نعم ، سمعنا قائلا يقول : ياسارية الجبل الجبل ، وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ففتح الله علينا) [٤] . ولعلك قارئ الكريم تلاحظ معي :

- أن سيدنا عمر وهو أمير المؤمنين كان يطعم المسلمين بنفسه

---

١ كان المسلمون محاصرين من العدو ، وكانو فى خفض من الأرض والعدو في حصن عال
٢ السفط هو : وعاء من قضبان الشجر توضع فيه الأشياء ، انظر المعجم الوجيز ص ٣١٣
٣ السماط : لحوم الذبيحة : انظر المرجع السابق ص ٣٢١
٤ البداية والنهاية بن كثير ١٧٣/٤

- أن سيدنا عمر وهو أمير المؤمنين لم يتناول طعامه إلا بعد أن طعم المسلمون
- أن سيدنا عمر وهو أمير المؤمنين أطعم المسلمون السميط ، وطعم هو وأهل بيته الزيت والملح ، فكان أكله أقل من مأكل فقراء المسلمين
- أن سيدنا عمر وهو أمير المؤمنين زوجته كانت ترتدي ملابس رثة حتي أنها استحيت أن تخرج علي ضيفه ، فكانت تلبس أقل مما تلبسه نساء المسلمين
- أن سيدنا عمر وهو أمير المؤمنين رفض قبول الهدية ، وأعادها إلي الجند
- أن سيدنا عمر وهو أمير المؤمنين وهذا هو محل الشاهد

معنا كان من أولياء الله الصالحين ، وكان يري بنور الله تعالي ، فأدرك ببصره وبصيرته الموقعة كأنه شاهد عيان ، أو كما نقول في عصرنا تصوير بالأقمار الصناعية . فقد شاهد موقع المسلمين ، وموقع أعدائهم ، والمواقع التي ينبغي عليهم تركها والمواقع التي ينبغي عليهم الالتجاء إليها ، وبعد هذا الكشف الرباني له ، أصدر صوته الندي الطاهر الخاشع إلي سارية ، وسمعه سارية ومن معه والمسافة بينهم تقدر بآلاف الكيلو مترات ، واستمع سارية إلي تلك التعليمات ، وفتح الله عليهم . وجاء في رواية أن سيدنا عمر عندما أطلق صوته لسيدنا سارية قال : إن لله جنودا ، ولعل بعضها أن يبلغهم [١] . وفي رواية ثالثة أنه عندما كان يخطب عمر ، ترك الخطبة ثم قال ما قال ، ثم عاد إلي الخطبة ، قيل له بعد ذلك ، ما ذلك الكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلا بشيء القي علي لساني [٢] تلكموا هي القيادة الرشيدة ، وتلكموا هى عوامل النصر علي الأعداء . ولقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه ملهما ، وذلك بنص حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : لقد كان

---

[١] انظر : البداية والنهاية ابن كثير ١٧٢/٤
[٢] المرجع السابق ١٧٤/٤

فيما قبلكم من الأمم محدَّثون [١] فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر " [٢] . ومعنى محدث بفتح الدال قيل : الملهم ، أو الرجل الصادق الظن وهو الذي القي فى روعه شيء من قبل الملأ الأعلي ، وقيل : من يجري الصواب علي لسانه من غير قصد ، وقيل : مكلم أي تتكلم الملائكة علي لسانه ، وقيل : التفرس ، وقيل : الإصابة بغير نبوة ...الخ [٣] . ولقد كان كل هذا لسيدنا عمر رضي الله عنه ، ولقد كان له في زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم موافقات كثيرة التي نزل القرآن الكريم مطابقا لها [٤] ، كما وقع له رضي الله عنه عدة إصابات بعد النبي صلي الله عليه وسلم ، وقد سقنا نموذجا واحدا منها .

ومن أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم الذين وقع لهم عدة كرامات في زمنه صلي الله عليه وسلم ما جاء في هذا الحديث الصحيح " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث النبي صلي الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت ... فانطلقوا حتي إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هزيل ، يقال لهم بنوا لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتي أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوي تمر تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب ، فتبعو آثارهم حتي لحقوهم ، فلما انتهي عاصم وأصحابه لجؤا إلي فدفد ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا ، فقال عاصم : أما أنا فلا انزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك فقاتلوهم حتي قتلوا عاصم في سبعة نفر بالنبل ، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما هذا أول الغدر ، فأبي أن يصحبهم فجرروه وعالجوه علي أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد حتي باعوهما بمكة فاشتري خبيبا بنوا الحارث ابن عامر

---

[١] بفتح الدال المشددة

[٢] أخرجه البخاري في الفضائل ، باب مناقب عمر بن الخطاب ٣٩/٧

[٣] أنظر : فتح الباري ابن حجر ٣٩/٧

[٤] انظر : الطبقات الكبري ، ابن سعد ١٩٤/٣

بن نوفيل ، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فمكث عندهم أسيرا حتي أجمعوا علي قتله ، استعار موسي من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته قالت : فغفلت عن صبي لي ، فدرج إليه حتي أتاه فوضعه علي فخذه ، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني وفي يده الموس ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالي ، وكانت تقول : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف – بكسر القاف وسكون الطاء– عنب ، وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق في الحديد ، وما كان إلا رزق رزقه الله ، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال دعوني أصلي ركعتين ، ثم انصرف إليهم ، فقال لولا أن تروا أن بي جزع من الموت لزدت ، فكان أول من سن الركعتين عند القتل ثم قال : اللهم أحصهم عددا ثم قال :

ما إن أبالي حين أقتل مسلمـــــا

علي أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشـــــأ

يبارك علي أوصال شلوا ممزع

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا

قبائلهم واستجمعوا كل مجمــــع

إلي الله أشكوا غربتي بعد كربتي

وما أرسل الأحزاب لي عند مصرعي

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعث قريش إلي عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدّبر – بفتح الدال المشددة وسكون الباء– فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه علي شيء [١] . وفى الحديث فوائد جمة ذكرها بن حجر في شرحه

---

١) أخرجه البخاري في المناقب باب غزوة الرجيع ورعل وزكوان ٣٠٣/٧ ، ٣٠٤. وقوله أوصال شلو ممزع الأوصال : جمع وصل وهو العضو من الجسد ، وشلو : تالجسد ، وممزع : المقطع : والمعني : أعضاء جسد يقطع ! انظر فتح الباري ٣٠٧/٧ . ويلاحظ أن البيتين الاولين في صحيح البخاري ٣٠٧/٧ والأخريين فى الفتح في الموضع السابق نفسه

لهذا الحديث ، ونحن نذكرها مع تقديم وتأخير ، وإضافة بعض الروايات التي تساعد علي فهم المراد ، ومما ذكره : أن الكفار قالوا لخبيب وهو مصلوب لقتله : أتحب أن محمدا مكانك وأنت منعم في أهلك قال : والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه وأنا منعم في أهلي .. وكانت امرأة قد نذرت لئن قدرت علي رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر ، وكان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا فكان عمر يقول لما بلغه خبره : يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته ، وأن الله تبارك وتعالي بعث عليهم الدبر – بفتح الدال المشددة – وهي الذنابير ، وقيل ذكور النحل ، تطير في وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين لحمه ، فلم يقدروا قطع شيئا منه وعنده أن خبيبا قال : للهم : إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه ، ولما رفع علي الخشبة استقبل الدعاء ، قال فلبد رجل بالأرض خوفا من دعاءه فقال اللهم : أحصهم عددا واقتلهم بددا ، قال فلم يحل الحول ومنهم أحد حي غير ذلك الرجل الذي لبد بالأرض ، وفيه أن جبريل جاء إلي النبي صلي الله عليه وسلم فأخبره ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم وعليك السلام يا خبيب .. وفي حديث كذلك : أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن نفسه ، ولو قتل أنفة من أنه يجري عليه حكم الكافر ، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة ، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن قال الحسن البصري : لا بأس بذلك ، وقال سفيان الثوري أكره ذلك . وفيه أي الحديث : الوفاء للمشركين بالعهد والتورع عن قتل أولادهم ، والتلطف بمن يريد قتله ، وإثبات كرامة الأولياء ، والدعاء علي المشركين بالتعميم : والصلاة عند القتل ، وفيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل ، ودلالة علي قوة يقين خبيب وشدته في دينه وفيه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتا ، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل . وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة ، ومن

كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه ، وفيه ما كان مشركوا قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم [١] .

كليم الذئب أو الذئب الداعية :

وإذا كان أحد من الناس في الأمم السابقة كليم الذئب ، فإن ذلك قد وقع كثيرا لأصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وغيرهم من التابعين والسلف الصالح ونذكر هنا واحدا ، فكليم الذئب الذي معنا الآن هو أهبان بن أوس الأسلمى ، والذي يعرف بكليم الذئب (وقصة ذلك أنه كان يسكن بين [٢] وهى من بلاد أسلم فبينما هو يرعي غنما له بحرة الوبرة ، فعد الذئب علي شاة منها ، فأخذها منه ، فتنحي الذئب فأقصي علي ذنبه وقال : ويحك لم تمنع مني رزقا رزقنيه الله ، فجعل أهبان الأسلمي يصفق بيديه ويقول : تالله ما رأيت أعجب من هذا !! فقال الذئب : إن أعجب من هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم بين هذه النخلات –يدعو إلي الله تعالي– وأومأ الذئب إلي المدينة ، فحدر أهبان غنمه إلي المدينة ، وأتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فحدثه ، فعجب رسول الله صلي الله عليه وسلم لذلك ، وأمره إذا صلي العصر أن يحدث به أصحابه ، ففعل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ، صدق في آيات تكون قبل الساعة ، قال ابن أسعد : وأسلم أهبان وصحب النبي صلي الله عليه وسلم ، وكان يكني أبا عقبة ، ثم نزل الكوفة وابتني يها دارته فى أسلم ، وتوفى بها في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٣ هـ) [٣]

سُقيت بدلو من السماء

أسلمت وجهها لله تبارك وتعالي ، وآمنت برسول الله صلي الله عليه وسلم تم تعذيبها من قبل الكفار ، وذاقت صنوف الأذى ، ومن أنواعه منع عنها الماء لتروي ظمأ حر الجزيرة ، كل ذلك لترجع عن الإسلام ، لكنها أبت إباء البطلات

---

١) أنظر فتح الباري ٣٠٧/٧ ، ٣٠٨ (بتصرف)
٢) بين : من بلاد أسلم من خزاعة ، أنظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ٩٠١/٤ طبيروت
٣) الطبقات الكبري ابن سعد ٣٧٣/٤ ، ط المكتبه القيمة بدون . وانظر : فتح الباري ، بن حجر ١٨/٧ وانظر الإصابة في تمييز الصحابة ، بن حجر ٧٨/١ ورقم الترجمة ٣٠٧ .

المجاهدات ، ولم تستجب للأعداء ، وفجأة ينزل لها دلو من السماء وتشرب وترتوي ، وتروي شجرة الإسلام لتنموا وتزدهر ، كل ذلك والأعداء ينظرون ، وكل النظار يشاهدون تلك الكرامة ، فما كان منهم إلا أن أسلمو جميعا ، ودخلوا في دين الله أفواجا ، وأصبحوا من رجالات الإسلام الأفذاذ ، وكل ذلك لرؤية كرامة تلك المسلمة الشامخة في إسلامها ، والمتلذذة بعذاب قومها ، وأدركت بكل يقين أن ما عند الله تعالي هو الخير الأبقى ، إنها أم شريك الأنصارية اقرأ ما قال عنها بن كثير (أم شريك الأنصارية ، يقال العامرية فهى التى وهبت نفسها للنبي صلي الله عليه وسلم ، فقيل قبلها وقيل لم يقبلها ، ولم تتزوج حتي مات رسول الله صلي الله عليه وسلم ورضي الله عنها ، وهي التي سقيت بدلو من السماء ، لما منعها المشركون الماء فأسلمو عند ذلك ، واسمها غزية ، وقيل غزيلة من بنى عامر علي الصحيح ، قال بن الجوزي : ماتت سنة خمسين ولم أره لغيره) [١]

يشرب السم ولم يصبه أذى :

بطل من أبطال الإسلام ، وأحد الشجعان الأفذاذ ، ليس له في الدنيا نظير ، يشار إليه بالبنان ، مضرب الأمثال في الشجاعة والحنكة وفنون القتال ، لم يهزم قط في معركة من المعارك التي خاضها لا في جاهليته ولا في إسلامه سيف من سيوف الحق سلطه الله تعالي علي رقاب الكفرة ، دوخ الفرس والروم ، هابه الأبطال ، وعملوا له ألف ألف حساب ، وهو القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه يتآمر عليه الأعداء ليسقوه السم ، حتي يستريحوا من سيفه البتار ، وخططه الدقيقة ، ويقظته التامة ، وسلوكه القويم ، لكنه لم يأبه بهذا ، وكان له كرامات ودعوات مستجابات منها . قال الذهبي (عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت خالد بن الوليد أتي بسم ، فقال : ما هذا ؟ قالوا سم ، فقال بسم الله وشربه ... وقالوا لخالد : إحذر الأعاجم لا يسقونك السم فقال : أئتوني به ، فاقتحمه ، وقال : باسم

---

١) البداية والنهاية بن كثير ٥٣٥/٤

الله فلم يضره شيئا ، وعن خيثمة قال : أتي خالد رجلا معه رق خمر ، قال اللهم اجعله خلا فصار خلا)[١]

أبو قلابة :

كان ذاهبا إلي الحج ، وكان صائما ، والجو حار جدا ، وأصابه عطش شديد فقال : اللهم إنك قادر أن تذهب عطشي من غير فطر ، أطلق هذه الدعوة ، ولا يرضي إلا الصوم لله تعالي ، فإذا السحابة تظله ، وتمطر عليه ، حتي بلت ثوبيه وذهب عنه العطش واسمه : عبد الله بن زيد الجرمي البصري قيل مات سنة أربع ومائة ، أو خمس أو ست أو تسع ومائة [٢]

ينبت العشب الأخضر علي قبره :

رجل من الصالحين ، تقي ورع زاهد في الدنيا حتى ولو كان أحد عمال سيدنا عمر بن الخطاب ، يصاحب الأبرار ، والصالحين ويلتقي بأحد أولياء الله الصالحين وهو أويس القرني عالما عاملا ، ولما دفن جاءت سحابة فروت قبره ونبت العشب عليه من وقته هو : هرم بن حيان العبدي مات سنة ست وأربعين [٣]

رجل من أولياء الله الصالحين :

لم يذكر بن كثير اسمه ، لكن ذكره في تفسيره فقال (هزم الكفار يوما المسلمين في غزاة ، فوقف جواد جيد بصاحبه ، وكان من ذوي اليسار ، ومن العلماء ، فقال للجواد : مالك !! إنما كنت أعدك لمثل هذا اليوم ، فقال له الجواد ، ومالي لا أقصر ، وأنت تكل العلوفة إلي السواس ، فيظلمونني ، ولا يطعمونني إلا القليل ؟ فقال : لك علي عهد الله أني لا أعلفك بعد اليوم إلا في حجري ، فجري الجواد عند ذلك ونجي صاحبه ، وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا فى حجره ، واشتهر أمره بين الناس ، وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك ، وبلغ ملك الروم أمره فقال : ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها ، واحتال ليحصله في بلده ، فبعث إليه

---

١) تاريخ الإسلام ، الذهبي ٩١/٢ ، ٩٢ ، دار الغد العربي ١٩٩٦ م وفي الهامش قال عن دعوته رواه أحمد في المسند ٥٢/٥

٢) انظر : المرجع السابق ٣٤٣/٣ .

٣) البداية والنهاية ابن كثير ٥١٥/٤ ، وانظر : ترجمتة ترجمته في حلية الأولياء ٣٩٥/٢ إن أنه قال : ظللت سحابة بنعشه عند موته .

رجلا من المرتدين عنده ، فلما انتهي إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته في الإسلام وقومه قد استو سق ، ثم خرجا يوما يمشيان علي جنب الساحل ، وقد أعد شخصا آخر من جهة الروم ليتساعدا علي أسره ، فلما اكتنفاه ليأخذاه رفع طرفه إلي السماء وقال : اللهم إنه إنما خدعني بك فاكفنيهما بما شئت ، قال فخرج سبعان فأخذاهما ، ورجع الرجل سالما) [1]

يركبون الإبل ويمشون علي الماء بها :

إن الجهاد في سبيل الله تعالي وحماية الإسلام ،والدعوة إلي الإسلام من أجل الأعمال في الإسلام ، وإذا أخلص أتباع الإسلام لإسلامهم ، وجندوا أرواحهم فداء له ، فتح الله تعالي لجند الإسلام المغاليق ، وسخر لهم البر والبحر ، والأرض والسماء حتي يكون ذلك عونا لهم وهاك مثال مع صحابي جليل من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم القائد المغوار : العلاء بن الحضرمي ، واسمه كما قال الذهبي : عبد الله بن عباد بن اكبر ... وسمي الحضرمي لأنه جاء من بلاد حضرموت ، حكي عنه أبو هريره فقال (لما بعث النبي صلي الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي الي البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال ، لا أدري أيتهن أعجب : انتهينا إلي شاطئ البحر فقال : سموا واقتحموا ، فسمينا واقتحمنا ، فعبرنا ، فما بل الماء إلا أسفل خفاف إبلنا ، فلما قفلنا صرنا بعد بفلاة من الأرض ، وليس معنا ماء ، فشكونا إليه ، فصلي ركعتين ، ثم دعا فإذا بسحابة مثل الترس ، ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا ومات بعدما بعثه أبو بكر إلي البحرين لما أرتدت ربيعة ، فأظفره الله بهم ، وأعطوا ما منعوا من الزكاة) [2]

خرق مجموعة من العادات لواحدمن أمة محمد صلي الله عليه وسلم :

صلة المسلم بخالقه ، وعلاقته بربه ، وطاعته لمولاه ، وحبه لرسوله صلي الله عليه وسلم ، وشغفه بحب الجهاد ، ونصرة الإسلام ، وعشقه وهواه في مرضاة رب العباد ، إن رجلا هذا شأنه لخليق بأن يخرق الله تعالي بقدرته له العادات

---

١) تفسير القران العظيم بن كثير ٣٧١/٣
٢) تاريخ الإسلام الذهبي ٩٢/٢

ويفتح له المغاليق ، وتظهر علي يديه المكاشفات ، وإذا كان ولا بد من ذكر واحد من أتباع أمة المختار سيد ولد آدم صلي الله عليه وسلم والذي ما شرفت أمته إلا به ، ولا كانت لهم الأحوال والمقامات والمكاشفات إلا بفضله ، وهذا الواحد هو : أبو مسلم الخولاني ، واسمه : عبد الله بن ثوب – بفتح الثاء وسكون الواو ، وقيل بضم الثاء وتشديد الواو المفتوحة – قدم من اليمن وأسلم في حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقدم المدينة في خلافة الصديق ، وروي أحاديث عن كبار الصحابة منهم : عمر ومعاذ وأبي عبيدة وأبي ذر وعبادة بن الصامت ، كما روي عنه جمع غفير من الصالحين . وكان يعلق سوطا في مسجده وكان يقول : أنا أولي بالسوط من البهائم ، فإذا دخلته فترة مشق ساقيه سوطا أو سوطين لينشط للصلاة ، وكان يقول ، لو رأيت الجنة عيانا والنار ما كان عندي مستزاد ، وعن شرحبيل –بضم الشين وفتح الراء – أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولاني في منزله ، فلم يجداه ، فأتيا المسجد ، فوجداه يركع ، فانتظرا انصرافه وأحصياه ، فقال أحدهما : إنه ركع ثلاثمائة ركعة ، والآخر قال : أربعمائة ركعة . وعن عطية بن قيس قال : دخل أناس من أهل دمشق علي أبو مسلم وهو غاز في أرض الروم ، وقد احتفر حفرة في فسطاطه ، وجعل فيها نطعا ، وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق فيه ، قالوا ما حملك علي الصيام وأنت مسافر ؟ قال : لو حضر قتال لأفطرت ولتهيأت له وتقويت ، إن الخيل لا تجري الغايات وهي بدن –بضم الباء وتشديد الدال المفتوحة – وإنما تجري وهي ضمر ألا وإن أمامنا باقية جائية لها نعمل . وكان أبو مسلم الخولاني يكثر أن يرفع صوته بالتكبير ، حتي مع الصبيان ، ويقول : اذكر الله حتي يري الجاهل أنك مجنون [١] . وكان رضي الله عنه وأرضاه وجمعنا الله وإياه في الجنة بفضله ورحمته ، كان ينصح الحكام ، ويتوجه إليهم بالموعظة ، لأنه يدرك أن عدالة الحاكم وزهده وتقواه ينصلح حال الرعية من ذلك مثلا : أن أبا مسلم قام إلي معاوية وهو علي المنبر فقال : يا معاوية لا تحسب أن الخلافة جمع المال وتفريقه ، إنما الخلافة : القول بالحق ،

---

١) انظر تاريخ الإسلام ، الذهبي ٥٢٧/٢ وهذا معني حديث

والعمل بالمعدلة ، وأخذ الناس في ذات الله ، يا معاوية : إنا لانبالي بكدر الأنهار إذا صفا لنا رأس عيننا ، إياك أن تميل علي قبيلة فيذهب صيفك بعدلك ثم جلس ، فقال له يا معاوية : يرحمك الله يا أبا مسلم . ودخل مرة علي معاوية ، فقام بين السماطين فقال لمعاوية : السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : مه – أي اسكت – فقال معاوية دعوه فهو أعرف بما يقول ، وعليك السلام يا أبا مسلم ، ثم وعظه وحثه علي العدل [١] وقد قال الفيض بن عياض (لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للأمام ، لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد ، وقال : إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وامرأتي وفار بيتي) [٢] ولو أخذنا في ذكر زهده وتقواه وورعه وجهاده لطال بنا المقام لكن نكتفي بما مضي ، ونمضي قدما لذكر بعض مقاماته وكراماته .

دعاه الأسود العنسي الكذاب مدعي النبوة إلي أن يشهد أنه رسول الله ، فقال له : أتشهد أني رسول الله ! فقال : لا أسمع ، فقال له أتشهد أن محمدا رسول الله قال : نعم ، فأجج له نارا وألقاه فيها ، فلم تضره ، وأنجاه الله تعالي منها ، فكان يشبه إبراهيم الخليل ، ثم هاجر إلي المدينة ، فوجد رسول الله صلي الله عليه وسلم قد مات ، فقدم علي الصديق ، فأجلسه بينه وبين عمر ، وقال له عمر : الحمد لله الذي لم يمتني حتي أري في أمة محمد من فعل به كا فعل بإبراهيم الخليل ، وقبله بين عينيه [٣] .

كان إذا غزا أرض الروم ، فمروا بنهر قال : يا عليم ، يا حليم ، يا علي ، يا عظيم ، إنا عبيدك ، وفي سبيلك نقاتل عدوك ... اجعل لنا سبيلا إلي عدوك ، وقال : اجيزوا باسم الله ، ويمر بين ايديهم ، فربما لم يبلغ من الدواب إلا الراكب ، فإذا جازوا قال : هل ذهب لكم شيء ، فالقي بعضهم مخلاته ، فلما جاوزوا قال : مخلاتي وقعت ، قال : أتبعني ، فأتبعه فإذا بها معلقة بعود في النهر ، فقال :

---

١) المرجع السابق ٢/٥٢٨
٢) البداية والنهاية ٥/٧١٥، ٧١٦
٣) البداية والنهاية بن كثير ٤/٦٦١ ، وذكر بن كثير انه توفى سنة ستين ، وقال الذهبي سنة إثنين وستين ٢/٥٢٨

خذها ويفتح الله تعالي عليهم ، وإذا رجعوا فعل مثل ذلك وعبروا النهر [١] ، وقد حدث منه ذلك اكثر من مرة ، وكان الشاهد يقول فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا [٢] سواء كان نهرا أم بحرا .

وقد حدث أن عطش الجند وهو قائدهم من قبل سيدنا عمر ، قال أنس : وكنت في غزاته ، فأتينا مغازينا ، فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعفوا آثار الماء ، فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة ، فلما مالت الشمس لغروبها صلي بنا ركعتين ، ثم مد يديه إلي السماء ، وما نري في السماء شيئا قال : فو الله ما حط يديه حتي بعث الله ريحا وأنشأ سحابا ، وأفرغت حتي ملأت الغدر والشعاب ، فشربنا وسقينا ركائبنا ثم أتينا عدونا وقد جاوزا خليجا في البحر .. فوقف علي الخليج ودعا بالدعاء السابق ، وأدركوا عدوهم ونصرهم الله عليهم ثم عادوا وجاوزا البحر [٣] وقد روت كتب التاريخ والتراجم أن الأعداء عندما كانوا يرون جيش الإسلام يمشي علي الماء يقولون ديوان ديوان أي مجانين مجانين ويفرون [٤] .

قالت امرأة أبو مسلم الخولاني : ليس عندنا دقيق ، فقال :هل عندك شيء ؟ قالت : درهم بعنا به غزلا ، قال : أبغينيه ، وهاتي الجراب ، فدخل السوق ، فأتاه سائل وألح فأعطاه الدرهم ، وملأ الجراب من نحاتة النجارة مع التراب ، وأتي وقلبه مرعوب منها ، فرمي الجراب وذهب ، ففتحته ، فإذا به دقيق حواري – بضم الحاء وفتح الواو المشددة وهو : الدقيق الأبيض الخالص – فعجنت وخبزت ، فلما ذهب من الليل هوي ، جاء فنقر الباب ، فلما دخل وضعت بين يديه خونا وأرغفة ، فقال من أين لك هذا ؟ قالت من الدقيق الذي جئت به ، فجعل يأكل ويبكي [٥] . وقد جاء أنه استبطأ خبر جيش كان بأرض الروم ، فبينما هو علي تلك الحال ، إذ دخل عليه طائر ، فوقع وقال أنا رتبابيل مسل الحزن من صدور المؤمنين ، فأخبره خبر ذلك الجيش ، فقال أبو مسلم : ما جئت

---

١) انظر تاريخ الإسلام الذهبي ٥٢٧/٢ ، وانظر البداية والنهاية ٦٥١/٤
٢) انظر المرجع السابق ٦٥١/٤
٣) انظر : البداية والنهاة ٦٥١/٤
٤) انظر : البادية والنهاية ٦٥٢/٣
٥) انظر : تاريخ الإسلام ٥٢٧/٢

حتي استبطأتك [١] . وهذا واحد من صحابة رسول الإسلام سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، وله مكاشفات أخري غير ما سبق ، ونكتفي بما سبق بما قدمناه عنه رضي الله عنه .

عامر بن عبد الله بن قيس العنبري البصري ،

أحد الزهاد الثمانية المعدودين المشهورين ، قال علقمة بن مرثد : انتهي الزهد إلي ثمانية : عامر بن عبد الله بن قيس ، وأويس القرني ، وهرم بن حيان ، والربيع بن خيثم ، ومسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وأبو مسلم الخولاني ، والحسن بن أبي الحسن [٢] . وله ترجمات وافية في كتب التراجم ، ونكتفي هنا بذكر بعض كراماته .

مشي في طريق فاكتنفته السباع ، فأتاه سبع منها فوثب عليه من خلفه ، فوضع يده علي منكبه ، وعامر يتلو هذه الآية " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود " [٣] فلما رأي السبع أنه لا يكترث به ذهب قال حممه وهو أحد الصالحين أباله يا عامر ما هالك ما رأيت ؟ ! قال : إني لأستحي من الله عز وجل أن أهاب شيئا غيره [٤] .

- كان عامر طويل السجود والركوع لله رب العالمين . ومن حبه للسجود لله رب العالمين ، سأل ربه أ، يهون عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتي بالماء وله بخار [٥] .
- مر عامر بن عبد الله فإذا قافلة قد احتبست فقال لهم : مالكم لا تمرون ؟ فقالوا : الأسد حال بيننا وبين الطريق ، قال : هذا كلب من الكلاب ، فمر به حتي أصاب ثوبه فم الأسد [٦]

---

١) انظر : المرجع السابق ٥٢٨/٢
٢) أنظر حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ، لأبن نعيم ٨٧/٢ ط ١٣٩٤ هـ .
٣) سورة هود الاية ١٠٣
٤) أنظر : حلية الأولياء ٨٩/٢
٥) المرجع السابق ٩٢/٢
٦) المرجع السابق ٩٢/٢

، وحتي لا نطيل ، نأتي إلي جملة من الكرامات وذكر أصحابها جملة دون الدخول في التفصيل فقد جاء في الرسالة مئات بل آلاف من هذا نذكر طرفا منها فقال (أن عمر كان في بعض الأسفار فلقي جماعة وقفوا علي الطريق من خوف السبع ، فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنما يسلط علي بن آدم ما يخافه ، ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء ، وروي أن عتاب بن بشير وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج . وروي أنه كان بين يدي سليمان وأبي الدرداء قصعة فسبحت حتي سمعنا التسبيح ، وكان لسهل بن عبد الله بيتا كان الناس يسمونه بيت السباع ، فسألنا الناس عن ذلك – السائل : أبو نصر السراج – فقالوا : كان السباع تجئ إلي سهل وكان يدخلهم هذا البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخليهم قال أبو نصر ، ورأيت أهل تستر كلهم متفقين علي هذا لا ينكرونه .. وكان لجعفر الخلدي فص فوقع في دجلة ، وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد فدعا به ، فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها ، وهذا الدعاء هو : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أجمع علي ضالتي [1] هذا ولولا خوف الإطالة لذكرنا الكثير من هذه الكرامات ، وكما ذكر القشيري فى رسالته وقد فعل الشيء نفسه بن كثير في البداية والنهاية وبخاصة الجزء الثالث وفي الحلية لأبي نعيم عشرات بل مئات من الكرامات لأفراد كثيرة من هذه الأمة المرحومة . وغير ذلك من كتب التراجم ،

مسك الختام : صلة بن أشيم :

أبو الصهباء صاحب البستان الذي يتنزه فيه الصالحون ، سجلت له كتب التراجم والسير عدة كرامات نذكر منها اثنين فقط .

- جاء فى الحلية (أخبرنا حماد بن جعفر بن يزيد أن أباه أخبره قال : خرجنا في غزاة إلي كابل ، وفي الجيش صلة بن أشيم ، فنزلوا ، فقلت : لأرمقن عمله !! فصلي ثم اضجع ، فالتمس غفلة الناس ، ثم وثب فدخل غيطة فدخلت ، فتوضأ وصلي ، ثم جاء أسد حتي دنا منه ،

١) انظر الرسالة القشيرية ، القشيري ص ١٦٣ وما بعدها

فصعدت شجرة ، أفتراه التفت إليه حتي سجد ، فقلت الآن يفترسه ، فلا شيء ، فجلس ثم سلم فقال : يا سبع اطلب الرزق بمكان آخر ، فولي – الأسد – وإن له زئيرا ، أقول تصدع منه الجبل ، فلما كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي أن يجترئ أن يسألك الجنة) [١] .

- (عن حميد بن هلال عن صلة قال : خرجنا في قرية وأنا علي دابتي في زمان فيوض الماء ، فأنا أسير علي مسناه [٢] ، فسرت يوما لا أجد ما أكل ، فلقيني علج [٣] يحمل علي عاتقه شيئا ، فقلت : ضعه ، فإذا هو خبز ، قلت : أطعمني ، فقال : إن شئت ، ولكن فيه لحم خنزير ، فتركه ،ثم لقيت آخر فقلت : أطعمني ، قال : هو زادي للأيتام ، فإذا نقصته ، اجعتني ، فتركته ، فو الله إني لأسير إذ سمعت خلفي وجبة [٤] كوجبة الطير فالتفت فإذا هو شيء ملفوف في سب [٥] ، فنزلت إليه ، فإذا دوخلة [٦] من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة ، فأكلت منه ثم لففت ما بقي ، وركبت الفرس ، وحملت معي نواهن ، قال جرير بن حازم : فحدثني أوفي بن دلهم قال : رأيت السب مع امرأته – معاذة – فيه مصحف ثم فقد بعد) [٧] .. فاللهم يا حليم يا كريم ، يا رحمن يا رحيم ، يا حي يا قيوم اجمعنا في مستقر رحمتك مع هؤلاء الصالحين من عبادك . آمين .

---

١) حلية الأولياء ٢٤٠/٢ ، وانظر : الزهد بن المبارك ص ٢٩٥

٢) بضم الميم المش ، وفتح السين بعدها نون مشددة مفتوحة وهى السد تبني للسيل لترد الماء ، وسميت كذلك لأن بها مفاتيح للماء بقدر الحاجة لئلا يغلب

٣) بكسر العين وسكون اللام وهو الرجل الجاف الشديد ، جمع علوج بضم العين ، أعلاج والأنثى علجة وهو من كفار العجم ، انظر : المعجم الوجيز ص ٤٣٠ واللسان ٣٠٦٥/٤ ، وقد ا اشتهرت هذه الكلمة عند احتلال الأمريكان للعراق سنة ٢٠٠٣

٤) بفتح الواو و الباء وبينهما جيم ساكنة وهي صوت السقوط ، انظر : لسان العرب ٤٧٦٧/٦

٥) السب بكسر السين وتشديد الباء هو الخمار من الكتان الرقيق

٦) بفتح الدال والخاء بينهما واو ساكنة وهو زنبيل من خوص يجعل فيه تمر

٨) الطبقات الكبري بن سعد ١٣٥/٧ ، ١٣٦ دار صادر وانظر: حلية الأولياء ٢٣٩/٢ ، والزهد لابن المبارك ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

هذا وقد تكرر اكثر من مرة كثرة الأولياء الصالحين من هذه الأمة بالذات ، فلم كان ذلك كذلك

كثرة الملهمين في الأمة

والجواب : عند بن حجريقول (تمخضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول فى زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه ، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء عوضوا بكثرة الملهمين)[١] .

والآن أيها القراء الأعزاء ، هل طابت قلوبكم وانشرحت صدوركم ، وهامت أفئدتكم ، ورقت قلوبكم ، وعقدتم عزائمكم علي السير في الطريق حتي نلحق بهذا الركب السعيد ، فالوحاء الوحاء . والمنافسة والمسابقة في هذه الرحاب وهي الميدان الحقيقي الذي يتسارع إليه النبلاء ، فهيا نهب من نومتنا التي طال أمدها ، ولنصحح النية ولنجدد العهد ، ولنشمر ساعد الجد ، ولنغمض الطرف عما يغضب ربنا ، ونكف أبصارنا عن المحرمات ، ولنفتح عيوننا ونرمق طريق الصلاح والتقوي ، ونشحذ الهمم ، ونكثر من زاد التقوي فإن العقبة كؤد ، والسفر طويل ، والبحر عميق ، والمسؤولية كبيرة وجسيمة ، فلا وقت للضياع ، ومن سبقنا من الأجداد تنبهوا إلي كل ذلك ، وينبغي لنا أن نكون خير خلف لخير سلف ، حتي تظل راية الإسلام منصوبة ، ومعالم الدين جلية ، والقدوة قائمة غير مفقودة وتمضى سفينة الحياة بنا إلي شاطئ الأمن والرحمة . هذا ماينبغي التيقظ إليه جيدا ...

وفي نهاية هذا البحث اود أن أذكر إشارة طيبة أشار إليها الحكيم الترمذي

الأعز هو الأقل :

وهنا سؤال أود أن طرحه هكذا . ما قدر الأولياء وعددهم بين صفوة عباد الله تعالي ؟ والجواب تجده في أبهي صورة ، وأجمل عبارة ، وأدق نظرة عند الحكيم الترمذي إذ يقول (الأولياء طبقات ومراتب ودرجات ، وكل هذا

---

١) فتح الباري بن حجر ٤٠/٧

مرهون برحمة الله تعالي ومنته ومشيئته وفضله وكرمه وعطائه ، فهناك فوارق غير مرئية لا يستطيع الولي أن يتحكم فيها ، أو أن يجتازها بجهده وسعيه ، لذلك كان عدد القائمين بكل منزلة أدني من عدد القائمين فيما دونها من المراتب حيث يتناسب العدد مع علو المرتبة تناسبا عكسيا .. فالأقل من كل صنف هو الأعز ، ألا تري أن المؤمنين قليل فى الكافرين ، والأتقياء قليل فى المؤمنين ، والأولياء قليل فى الأتقياء ، والأنبياء قليل فى الأولياء ، والرسل عليهم السلام قليل في الأنبياء ، ذلك لأن لله تعالي جعل من كل جنس صفوته ، فالعرش صفوته من الأمكنة ، وعدن صفوته من الجنان ، والكعبة صفوته من البيوت ، والأمناء صفوته من الملائكة ، والأنبياء صفوته من الأولياء ، والأولياء صفوته من الزاهدين ، والزهاد صفوته من العاملين ، والعاملون صفوته من الراغبين ، والراغبون صفوته من الآدميين) [١] . هذا والله الهادي إلي سواء السبيل .

---

١) الحكيم الترمذي ، ونظريته فى الولاية د / عبد الفتاح بركه ٣٦٨/٢

المبحث السادس

الجهاد وأبو الصهباء

وفيه

اولا : تعريف الجهاد وميادينه

ثانيا : نصوص قرآنية

ثالثا : نصوص نبوية

رابعا : حكمه علي الحروريه

خامسا : جهاده بالسيف

سبق القول في بدايات هذا الكتاب المتواضع حول سيدنا صلة بن أشيم أن الرجل قد نأي بنفسه عن أن ينغمس في الأحداث الداخلية المؤلمةالتي واكبت عصره ، وأعرض عنها كل الإعراض ، وترك تلك الساحة المنغمسة في الشتات والتفرق والتمزق ، والصراع ، وهذه من الأسباب القوية بل الأولي في طمع الأعداء في الأمة الإسلامية .

علي كل حال ترك الرجل هذا الميدان الذي لا ثمرة من وراءه إلا الخذلان والهزيمة والضياع ، وراح يبحث عن ميدان فيه العزة والكرامة ، ثم من قبل ومن بعد فيه رضا الله تعالي ، وكان هذا هو الغاية التي يرجوها في دنياه ، فسلك طريقا قويما ، ونهج منهجا مستقيما ، واختط لنفسه ولولده ميدانا من أشرف الميادين وأجلها علي الإطلاق حتى تتكسر شوكة العدو المتربص بالمسلمين وهم في هذه الحالة المؤسفة . اختار الرجل ساحة الوغى ، ومنازلة الأبطال ، ومقارعة الرجال ، وصد الهجمات وستر العورات للمسلمين ، والوقوف بقوة في ثغور المسلمين ، حتى لا يتسلل منها العدو ، ويسيح في أرض الإسلام فسادا . لقد اختار سيدنا صلة الجهاد في سبيل الله تعالي ، اختار الجهاد بأوسع معانيه ، جهاد النفس وقد سبق وأشرف علي ذلك ، جهادا في حقل الدعوة إلي الله تبارك وتعالي وقد سبق بيان ذلك أيضا ، وجهادا باللسان والجهاد في سبيل الله تعالي بالسنان ، وإراقة الدم ، وبذل الروح من اجل رفع راية الإسلام ، والوقوف بكل حزم وقوة في وجه خصوم أمة الإسلام ، وإن هذا بحق لهو أنبل وأجل الغايات .

أولا تعريف الجهاد وميادينه

والجهاد في اللغة : يقال جهد الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ .. وبذل فيه الوسع والطاقة لبلوغ الغاية ، وهو : المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب [١]

وفي الشرع : بذل الجهد في قتال الكفار [٢]

---

١) انظر : لسان العرب ٧٠٨/١

٢) فتح الباري بن حجر ٢/٦ ، وانظر : الزرقاني علي الموطأ ٣/٣

ميادينه : إن ميادين الجهاد بمعناه العام كثيرة ومتعددة ، ويتداخل في كل مناحي الحياة وضروبها ، وليس هناك ثغرة في دنيا المسلم إلا وتدخل الجهاد فيها ، ليصبح بصمة بارزة في حياة المسلم ، علما من أعلامه ، ورمزا من رموزه .. وقد ذكر العلماء عددا من ميادين الجهاد جملة فقال بن حجر (يطلق –الجهاد – علي مجاهدة النفس والشيطان والفساق والكفار : فأما مجاهدة النفسفعلي تعلم أمور الدين ثم العمل بها ، ثم علي تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلي دفع ما يأتي به من الشبهات ، وما يزينه من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب ، وأما مجاهدة الفساق ، فباليد ثم اللسان ثم بالقلب [1] . وهذه ساحات متعددة ، وميادين شاسعة وواسعة ينطوي تحتها كل شأن من شئون حياة المسلم طوال رحلة حياته ومشوار عمره . ولا تخلو جزئية من جزئيات حياته إلا وفيها جهاد ما . ولا بد للمسلم من خوض غمارة والنزول إلي ساحته ، والإشتباك مع أعدائه ومقارعتهم ، كل بما يناسبه ، وواجب علي المسلم تطهير المجتمعات الإسلامية من عبث العابثين ، والمستهترين بالقيم النبيلة ، والأخلاق الفاضلة ، وصد المفسدين في الأرض ، المهلكين للحرث والنسل ، حتي تمضي مواكب النور في دنيا الناس ، وهي ثابتة الخطي ، غير وجلة أو مرتعشة تبني ولا تهدم ، ولا تعمر ولا تخرب ، ويرتفع البناء شامخا علي أسس متينة ، وإذا ترك المسلم الجهاد في سبيل الدين نتيجة ضعف أو خوف أو خذلان عاث المفسدون في الأرض لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، ينتهكون الحرمات ، ويدنسون المقدسات ، وينشرون الفسق والفجور والخراب والدمار ، وتخمد راية الحرية ، وتراق الدماء الذكية وتتقهقر الإنسانية إلي الوراء بدلا من التقدم إلي الأمام .. إن الجهاد في سبيل الله بكل معانيه من أجل وأنبل الغايات التي يرمي إليها الإسلام ، وإن الجبن والوهن وعدم إعداد العدة ، وشحذ همم الناس دائما ، وتعبئتهم وتوعيتهم للقتال ، إن ترك هذا يغرز الذل الذل والضياع والدمار والفساد والتخلف والجهل والأوجاع الجسيمة والقلبية والحسرة والندامة . إن الإسلام دين

---

١) فتح الباري ٢/٦

دعوة ، وأعداء الدعوة لا حصر لهم الآن ، والإسلام محاط بخصوم أشكال وألوان ، ومتربصون به . فما السبيل إلي صدهم ورد كيدهم إلي نحورهم سوي بذل الجهد بالنفس والمال والولد . وإذا كان الإسلام يأمر أتباعه باليقظة الدائمة ، والانتباه المستمر ، ورصد حركات الأعداء المحيطين به ، ، وأخذ الحذر ، وعدم ترك السلاح ليلا أو نهارا . وإذا كان الإسلام يأمر أتباعه بالجهاد فإنه يأمر أتباعه بعدم الاعتداء أو السلب أو القهر أو الذل لأحد ، أو التخريب أو قتل الأبراء من شيوخ ونساء وأطفال وعباد ، ويبغي للإنسانية الخير والنماء والسلام والعمران والعزة والكرامة لكل إنسان علي وجه الأرض لذلك نجد أن غايته نبيلة ، وكذلك وسائله ومن يقرأ التاريخ الإسلامي بتمعن وإنصاف سيجد هذا واضحا وضوح الشمس في كبد السماء .. وعلي هذا فقد جاءت نصوص قرآنية كثيرة تحث المسلمين علي منازلة المعتدين ، الباغين ، المفسدين الظلمة ، المتعطشين للدماء ، المفسدين في الأرض ، والمنتهكين للحرمات ، المدنسين للمقدسات ، الناهبين للخيرات ، المدمرين للحضارات الراقية ، إن الإسلام بجهاده حصن أمان للبشرية وهو الصخرة الصلبة التي تتحطم عليها رءوس الشر ، وهو القلعة الحصينة التي يحتمي بها الخير والنفع والنور والأمل لكل الناس في كل ربوع الدنيا ، وهو الصوت العالي المدوى في سمع الزمن والمنادي بالأمن والسلام والحرية بأوسع معانيها ، وهو الأرض الطيبة التي تنبت الخير والنفع ، وهو الري الصافي الذي يرتوي منه كل عطشان . وهو الراية البيضاء التي ترفرف بالسلام لمن ينشده ويبغيه .

ثانيا : نصوص قرآنية :

جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة ، وفي مواضع متعددة من سور القرآن الكريم تحث المسلمين علي الجهاد في سبيل الله ، ولن أستطيع ذكرها جميعا ، ولو تم ذلك لطال بنا المقام ، ولكن أذكر البعض منها ،، و ما هي إلا توطئة لما أنا بصدده وهو جهاد سيدنا صلة بن أشيم في سبيل الله تعالي ، ولم كان الجهاد عنده أقصي أمانيه في دنياه . يقول الله تبارك وتعالي " إن الله اشتري من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم "[١] ومن يقرأ هذه السورة الكريمة والسور التي قبلها يجد الأمر مؤكدا ، بل يجد السورتين مملوءتين من حديث فياض عن الجهاد في سبيل الله تعالي . ويلاحظ في الآية السابقة أن الأنفس والأموال من عند الله تعالي ومع هذا فإن الله عز وجل قد اشتراها من المؤمنين ، وجعل الثمن الجنة وما كان ذلك كذلك إلا لبث روح الجهاد في المسلمين ، وبيان مدي قيمته عند الله تعالي ، وكان ذلك كذلك لشحذ الهمم ويقظة القلوب ، ورفع الروح المعنوية وبذل الأنفس والأموال – وما أعزها عند الإنسان – لدفع الظلم وتطهير الأرض من دنس الطغاة ، ولست الآن في تفسير الآية لكنها خاطرة عابرة .

- ويقول تبارك وتعالي " ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما . وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرة الظالم أهلها . واجعل لنا من لدنك وليا واجعل من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا "[٢]
- وقال جل ذكره وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله يعملون بصير "[٣]
- ويقول سبحانه وتعالي " وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون "[٤]

١) سورة التوبة الآية ١١١
٢) سورة النساء الآيات ٧٤ : ٧٦
٣) سورة الأنفال الآية ٣٩
٤) سورة التوبة الآية ١٢ ، واقرأ الآيات بعدها

- ويقول جل جلاله " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون " [١]
- ويقول عز من قائل " يا أيها النبي حرض المؤمنين علي القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم لا يفقهون " [٢]
- ويقول تبارك وتعالي " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند رهم يرزقون . فرحين بما آتهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [٣]

هذا والآيات القرآنية في وجوب الجهاد ضد الظلمة والطغاة وأولياء الشيطان كثيرة كما سبق وذكرت . والإشارة هنا كافية .

ثالثا : نصوص نبوية

والنصوص النبوية الشريفة في وجوب الجهاد في سبيل الله وفوائده ومنافعه لكل الناس ، وثواب المجاهد كثيرة ومتعددة اذكر طرفا قليلا جدا منها :

- " فعن عبد الله بن مسعود قال : سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله : أي العمل أفضل ؟ظ قال الصلاة علي ميقاتها ، قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أي ؟ قال الجهاد في سبيل الله ، فسكت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولو استزدته لزادني " [٤]

---

١) سورة الأنفال الآية ٦٠
٢) سورة الأنفال الآية ٦٥
٣) سورة آل عمران الآيتان ١٦٩ ، ١٧٠
٤) أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : فضل الجهاد والسير ٣/٦٠

قال بن حجر قال الطبري (إنما خص صلي الله عليه وسلم هذه الثلاثة بالذكر – هنا – لأنها عنوان علي ما سواها من الطاعات فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتي يخرج وقتها من غير عذر ، مع خفة مؤنتها عليه ، وعظيم فضلها ، فهو لما سواها أضيع ، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه ، كان لغيرهما أقل برا ، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك ، فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع) [١]

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها " [٢]
- " وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده لا يكلم – يجرح – أحد في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة ، واللون لون الدم والريح ريح المسك " [٣]
- " وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤتي بالرجل من أهل الجنة ، فيقول الله عز وجل : يا بن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أي رب خير منزل : فيقول : سل وتمني ، فيقول : أسألك أن تردني إلي الدنيا ، فأقتل في سبيلك عشر مرات ، لما يري من فضل الشهادة " [٤]
- " وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : الشهيد لا يجد من القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة يقرصها " [٥]

والأحاديث في شأن فرضية الجهاد ووجوبه ، واستنهاض الهمم ، وتعبئة النفس ، والاستعداد لمنازلة الأعداء ، وفضل الشهيد والجريح في القتال أكثر من أن

---

١) فتح الباري بن حجر ٠٣/٦
٢) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب : الغدوة والروحة في سبيل الله ٦٠/٦
٣) ،، ،، ،، ،، ، باب : من يخرج في سبيل تالله عز وجل ١٥/٦

٤) رواه النسائي في كتاب الجهاد ، ما يتمنى أهل الجنة ، وما يجد الشهيد من الألم ٣٦/٦
٥) رواه النسائي في كتاب الجهاد ، ما يتمنى أهل الجنة ، وما يجد الشهيد من الألم ٣٦/٦

تذكر هنا ومن خلال الآيات السابقة – وغيرها كثير – وكذا الأحاديث النبوية السابقة – وغيرها كثير يتأكد لنا أن مجاهدة الأعداء ، ومنازلة خصوم الدعوة الإسلامية أمر حتمي ، وبخاصة في زماننا هذا ، بعد أن اغتصب العدو أرضنا ، وانتهك حرماتنا ، وقتل صبياننا ونسائنا ، ونهب خيراتنا ، وعاب ديننا ، وداس علي مقدساتنا ودنسها ، وعاث في الأرض فسادا يدمر المنازل والمصانع والمدارس والمساجد ، وانهالت معاول الهدم والتخريب فوق رءوسنا ، إن الجهاد هنا قد وجب ، وأصبح فرض عين ، وعلينا أن نطهر أنفسنا وكل مؤسساتنا بجميع أنواعها في كل بلاد المسلمين ، ونهب هبة رجل واحد ، بعد أن تجتمع كلمتنا علي الإسلام ، للدفاع عن أوطاننا ومقدساتنا وعن ديننا ، حتي تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلي ، وحتي لا يصبح دم المسلم هو أرخص دم يراق كما قال ذلك المرحوم أستاذنا الشيخ محمد الغزالي . ونود أن نؤكد هنا – وفي عجالة – أن الإسلام عندما يعلي من شأن الجهاد الاستشهاد ، ويحرص أتباعه علي الاستعداد للدفاع عن الإسلام والمسلمين مهما نأت بهم الديار فالمسلمون في جميع مشارق الأرض ومغاربها أخوة إذا اشتكي منهم أحد تألم الأخر ، أقول أن الإسلام لا يبغي من وراء قتال أئمة الكفر ، ورؤوس الشر ، والظلمة والطغاة لا يبغي من ذلك جمع ثروات ، واستغلال ونهب خيرات البلاد والعباد ، كما لا يبغي سفك الدماء بل ما يبغيه من الجهاد هو الدفاع عن الإسلام والمسلمين وإفساح الطريق لنشر تعاليمه ، وانتشال الناس – كل الناس – من ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا والآخرة – كما عبر بذلك أحد الصحابة – وإنقاذهم من الجهل والتخلف ، وإنارة الطريق ، ووضع معالم الهدي عليه ، ليهدي الحيارى والشاردين إلي أنواره . وهناك أمر في غاية الأهمية لا ينبغي نسيانه أو تناسيه ، وهو : لا ينبغي تفريغ مضمون فرضية الجهاد ضد الأعداء من مضمونه الأساسي ، وغايته الرفيعة بين المسلمين ، وبخاصة في زماننا هذا ، حيث يظن الخصوم ، وما أكثرهم ، أتن الإسلام دين يفرز الإرهاب ، ومتعطش للدماء ، وهذه حجة باطلة و داحضة ، فمن واقع السجلات التاريخية حتي عند

الأعداء شاهدة علي صدق ما نقول ، فإذا سئل التاريخ والمحايد النزيه وغير المزيف لأدركنا بحق أي الفريقين الذي يجب وصمه بالإرهاب ؟ وأي الفريقين المنسوب إليه أو الموصوف بتعطشه للدماء ، سلوه عن الحروب الداخلية في البلاد الغربية وسلوه عن ضحايا الحربين العالميتين الأولي والثانية ، وسلوه عن ضحايا التتار ، والحروب الصليبية ، وسلوه عن استعمار البلاد الإسلامية ، وسلوه عن حروب البوسنة والهرسك والشيشان وكشمير ، واضطهاد الأقليات الإسلامية ، ثم سلوه جيدا عن الصهيونية ، وماذا فعلت وتفعل الآن إسرائيل في فلسطين والبلاد العربية ثم سلوه عن ضحايا المسلمين في أفغانستان وأخيرا وليس أخر ضحاياه في العراق وتدمير حضارة من أرقي وأقدم الحضارات علي أيدي الأمريكان والإنجليز ومن حام حولهما في عصر ينادون فيه بالحرية وحقوق الإنسان ومحاربة الإرهاب .. من إذن الموسوم بالإرهاب يا عقلاء العالم ، بل يا عقلاء المسلمين .. إن البعض تحت إلصاق تهمة الإرهاب إلينا يقوم بتفريغ الجهاد من مضمونه ومعناه الحقيقي حتى لا يتهم الإسلام بهذه التهمة . وقد تحذف آيات أو أحاديث ، أو بعض المعارك الحبية ، ويتم تأويل الكثير منها وفق الهوى أو ضغط من هنا أو هناك ، ومن أجل هذا يجب التيقظ ، والانتباه وأخذ الحذر والحيطة من تبرير هذه الأمور . إن سيدنا صلة بن أشيم رضي الله عنه أدرك كل هذا ودرس الأمور من كل ناحية ، فلم يجد أمامه إلا الجهاد بعد أن علم علم اليقين فضل المجاهد ، وفضل الشهادة ، كما علم عناد الكفرة فاختار علي هذه الأسس ميدان الشرف والعزة والكرامة ، وذهب الرجل إلي هذا الميدان ، بعد أن أعد العدة وأعد لكل ميدان سلاحه المناسب له .. أوقف أبو الصهباء حياته كلها في سبيل الله تعالي ، ولم يترك لحظة واحدة تمضي من عمره إلا وكان في جهاد في سبيل الله تعالي فنجده فترة من عمره يتعلم وفترة أخري يعلم ، وفترة أخري يجاهد الأعداء بالسيف ، تارة أخري في ثغور المسلمين حتي لا يتسلل الأعداء إلي أرض الإسلام ، وفترات أخري يجاهد نفسه ويرتع في رياض العبادة ساجدا

قائما متهجدا صائما ، ذاكرا ، داعيا ، وفترة يجاهد باللسان بعد الجهاد بالسنان ، فكانت حياته كلها مجندة لله تعالي وفي الله تعالي .

رابعا : حكمه علي الحرورية :

ومن جهاده باللسان موقفه من الحرورية ، لقد وقف سيدنا صلة وتصدي لكل من تسول له نفسه أن يدخل علي الدين ما ليس منه ، أو يخرج منه ما هو فيه ، ليظل الدين قائما ، ونصوصه مصونة من التحريف بكل أنواعه ، أو الغلو فيه ، وقف كا الجبل الأشم في وجه كل هؤلاء الذين أخرجوا أنفسهم من الدين بسبب تعنتهم ، وتمردهم ، وغلوهم ، وعصيانهم ، وشق عصا الطاعة ، ، والبعد عن تعاليم الإسلام السهلة السمحة ، وهذا هو الداعية بحق : لا يترك الباطل يصول ويجول في أرض الإسلام يشوش علي المسلمين عقيدتهم وينشر البدع والضلالات بينهم ، إن الداعية الحق لا يخشى المواجهة ، بل لا بد من التصدي ، وبيان الصحيح من الخطأ ، والحق من الباطل ، والصالح من الطالح ، واجه صلة بن أشيم الخصوم ، وأخذ ينشر فضائحهم ، وبدعهم ، ويحذر الناس منهم ، ويعلم تلاميذه خطرهم علي الإسلام والمسلمين ، وكان موقفه حاسما قاطعا علي الإسلام والمسلمين ، وكان موقفه حاسما قاطعا علي ا لإسلام والمسلمين ، وكان موقفه حاسما قاطعا ، فلم يتكلم من وراء وراء ، بل كانت دعوته صريحة وواضحة وقاطعة من هؤلاء الخوارج . جاء تلميذ من تلامذته يطلب منه العلم وهو أبو السليل وقال (أتيت صلة بن أشيم ، فقلت : يا صلة : علمني مما علمك الله ، فقال : أنت اليوم مثلي أو نحوي ، يوم أتيت أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ، قلت : علمني مما علمك الله ، فقال : انصح للقرآن الكريم والمسلمين ، وأرغب في دعاء الله تعالي ما استطعت ، ولا تكن قتيل العصا ، قتيل آل فلان ، وآل فلان ، وإياك وقوما يقولون : نحن المؤمنون ، وليسوا من الإيمان في شيء ! وهم الحرورية ، قال زريك : فسمعت الحسن يقول : الفتنة إذا أقبلت عرفها العلماء ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل)[1] . وجاء في

---

١) التاريخ الكبير للبخاري ٣٢١/٤

الحلية (قال زريك صاحب الطعام قال حدثني أبو السليل قال : أتيت صلة العدوي فقلت له : علمني مما علمك الله عز وجل ، قال صلة : أنت اليوم مثلي أو نحوي ، حيث أتيت أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت لهم : علموني مما علمكم الله فقالوا : أنتصح للقرآن ، وأنصح للمسلمين ، وأكثر من دعاء الله ما استطعت ، ولا تكن قتيل العصا ، قتيل عمية ، قتيل آل فلان .. وإياك وقوما يقولون : نحن المؤمنون وليسوا من الإيمان علي شيء وهم الحرورية وهم الحرورية [1]

والناظر في النصين السابقين يلاحظ

- أن سيدنا صلة كان يأتيه الناس لتلقوا العلم النافع علي يديه ، فكان أستاذا بكل المقاييس .
- لم يكن أستاذا ويترقي إلي هذه الدرجة الرفيعة إلا بعد أن تخرج في مدرسة صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم .
- ومن نصائحه النفيسة التي نقلها لطلابه : التنصح بالقرآن الكريم ، والوقوف عند معالمه ، ففيه الغني والكفاية فهو مصدر الدعوة وأصولها ، وأسلوبها ومنهاجها ، فضلا عن العقيدة والعبادة والأخلاق .. وأي تثقيف أو تعليم خارج هذا المصدر ، فهو تثقيف أعمي ومبتور ، لا فائدة ترجي منه سواء أكانت فائدة دنيوية أو أخروية ... وما ضل الناس ، وانتشرت بينهم البدع والضلالات ، وساح الفسق والفجور ومن ثم الوهن إلا ببعدهم عن القرآن الكريم
- ثم إن سيدنا صلة لم يقف عند هذا الحد ، فالعلم بالقرآن الكريم لا يعطي ثماره إلا إذا خرج للناس تربية وتعليما وتثقيفا وسلوكا في كل مناحي الحياة . إذا لابد للعلماء والدعاة من تشمير ساعد الجد ، ونشر تعاليم الإسلام ، وبيان فضله وثماره اليانعة ، وجماله الآخاذ ، ومنافعه الدنيوية والأخروية ومن قبل ومن بعد لا بد من وجود قدوة أمام الناس يهتدي

---

١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/٢٣٧

إليها الحياري ، و إلا انتشر الباطل . وكان سيدنا صلة من تلك النماذج الفريدة .

- ومن حين إلي حين في كل زمان وفي كل مكان تخرج نعرات جاهلة ، كما حدث في عصر سيدنا صلة .. فبعض الناس يتشيع إلي هؤلاء وبعضهم يتشيع إلي هؤلاء ، فكانت الفتن تطل برأسها وتفعل أفاعيلها ، فكان القتل بين المسلمين بعضهم بعضا ، ووجد العدو فرصته السانحة – كما هو شأنه دائما عند اختلاف المسلمين – وأثار بينهم الفرقة ، وأشعل فتيل النيران بينهم ، وبذر بزور الشقاق والصراع .. وهنا يكشر العدو عن أنيابه الضارية الشرسة للانقضاض علي المسلمين ، وينال منهم الكثير ... وهنا يأتينا صوت هذا الرجل ويحذرنا مرارا وتكرارا أن لا يقع المسلمون في هذا المستنقع الآسن ، وهذه الشباك المنصوبة الخادعة ، قدم المسلم أغلي وأعز من أن يسفك في مثل هذه النعرات الجاهلة ، وكم خسر المسلمون أمام أنفسهم وأمام أعدائهم من جراء الوقوع في هذه الشباك المنصوبة من قبل أعداء المسلمين في كل زمان ومكان ... وإذا كان دم المسلم غال ونفيس فإن هناك ميادين أخري فيها تراق الدماء الذكية الطاهرة ، وهو راض كل الرضا عن هذا ، وهو ميدان الجهاد في سبيل الله تعالي ، وهذا ما فعله سيدنا صلة وتركه موروثا لنا من بعده نتأمله ونتعلمه ..
- ثم إن سيدنا صلة بن أشيم – وهذا هو مطلبي هنا – حذر كل التحذير وشدد كل التشديد من هذه الفرقة الباغية ، والتي شقت عصا الطاعة وفارقت الجماعة ، بأرائها الفجة ، وأفكارها الضحلة ، وغلوها المشين ، وهي فرقة الخوارج ، وقد أطلق عليها هذا الإسم لأنها خرجت علي الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهي الحرورية ، وذلك لأنها بعد رجوعها من صفين إلي الكوفة إنحازت إلي حروراء وهي قرية

قريبة من الكوفة ، وخرجوا منها لقتال المسلمين [١] ولهم أسماء أخري كثيرة ، كما أنهم فرق كثيرة عددها البغدادي وقال عشرين فرقة [٢] ، ولكل فرقة اسم ومبادئ وزعماء ، ومتي وأين قاتلت وقتلت ، ولو تتبعت كل هذا فإن البحث هنا لا يسع لكل هذا ويخرج استقصاء ذلك عن موضوع بحثنا وهو موقف سيدنا صلة من الحرورية والتي كان يحذر منها ... قال البغدادي (وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج علي افتراق مذاهبها ، فذكر الكعبي في مقالاته : أن الذي يجمع الخوارج علي إفتراق مذاهبها ، إكفار علي وعثمان والحكمين ، وأصحاب الجمل ، وكل من رضي بتحكيم الحكمين ، والإكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج علي الإمام الجائر . وقال شيخنا أبو الحسن : الذي يجمعها : إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ، ومن رضي بالتحكيم ، أصوب الحكمين أو احدهما ، ووجوب الخروج علي السلطان الجائر . ولم يرض ما حكاه الكعبي من إجماعهم تكفير مرتكبي الذنوب [٣] وقد صوب البغدادي قول ابي الحسن وخطأ قول الكعبي [٤] .

هذا وقد ارتكب فرق الخزارج أشياء شنيعة ، نذكر منها علي سبيل الإجمال :

أولا : تكفيرهم لسيدنا عثمان وسيدنا علي رضي الله عنهما ، وهذا أمر لا يقره عقل ولا شرع ، فكم لكل منهما من مآثر وفضل ومنزلة عند الله تعالي وعند رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وفي القرآن الكريم والسنة القولية والعملية ما يجعل الرجلين في القمة من السمو والطهارة والبذل والشجاعة، وكم لهما من الآيادى البيضاء علي المسلمين في جهادهم أعداء الحق وأعداء الدين وجهودعهم في نشر الإسلام ليست خافية علي أحد .

---

١) انظر الفرق بين الفرق ، البغدادي ص ٤٦ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط الحلبي بدون مقالات الإسلاميين ، للأشعري ٢٠٧/١ ، وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ٦١/١

٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٤٥ وما بعدها ، وانظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ١٠٦/١

٣) المرجع السابق ص ٤٥

٤) انظر المرجع السابق ص ٤٥

ثانيا : إن تكفيرهم الصحابة الذين اشتركوا في معركة صفين التي كانت بين معاوية وعلي رضي الله عنهما ، والحكمين ومن رضي بالتحكيم ، إن هذا له خطره علي الإسلام والمسلمين ، فكم من الأحاديث الصحيحة التي رواها هؤلاء الجمع الخفير عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فمن كفرهم بالتالي لن يأخذ بالأحاديث التي رووها وهنا تضيع معالم كثيرة عن الإسلام .

ثالثا : إن هؤلاء الخوارج لم ينتصحوا لنصح الناصحين ، وكم بذل الإمام علي رضي الله عنه من جهود جبارة لا يتحملها أحد إلا مثل الإمام علي رضي الله عنه ، وجدالهم بالتي هي أحسن ، ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفند شبههم بالأدلة النقلية والعقلية لكن لم يجد معهم كل هذا ، واستعصوا عليه ، وخرجوا عليه وناصبوه العداء وقاتلوه ومن معه ، وهو خليفة المسلمين ، والخليفة الرابع من الرتاشدين بإجماع الأمة

رابعا : شقوا عصا الطاعة ، وفارقوا الجماعة وبدأ منهم قتال المسلمين وبخاصة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والمؤرخون يقولون أنهم بدأوا بالعدوان عندما جاءوا إلي عبد الله بن خباب واقتادوه وذبحوه ، وجاءوا إلي امرأته وهي حبلي فذبحوها ، وبقروا بطنها عن جنبيها [١]

خامسا : إن هذه الفرقة اهتمت بالقرون ، والظاهر من الاقوال والأفعال ، وتركت ما هو من صلب الدين وقواعده الأساسية ويذكر بن كثير إنهم عندما اقتادوا عبد الله بن خباب بن الأرت وأعطوه الأمان في البداية ، ثم غدروا به ، وبزوجته وذبحوها ومثلوا بالزوجة وهي حامل ، وبقروا بطنها ، وهم يفعلون ذلك تراهم كما قال بن كثير (لقي بعضهم خنزيرا لبعض أهل الذمة ، فضربه بعضهم فشق جلده ، فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذمي ، فذهب إلي ذلك الذمي فاستحله وأرضاه . وبينما هو معهم عبد الله بن خباب وقبل ذبحه ، إذ سقطت تمرة من نخلة ، فأخذها أحدهم فألقاها في فمه ، فقال له

---

١) انظر : البداية والنهاية ، بن كثير ٣٦٣/٤ وما بعدها

آخر : بغير إذن ولا ثمن ؟ فألقاها ذاك من فمه) [١] . وهذا أمر عجيب : يذبحون المسلمين ويمثلون بهم بعد الغدر بهم ثم يخافون علي خنزير لذمي ، ويعملون جاهدين لإرضاء صاحب الخنزير الذمي ، ويتعففون من أكل تمرة سقطت من نخلة ، فأي خلل عقلي وفكري وعقدي أكثر من هذا .. والشيء بالشيء يذكر ، فعندما جاء وفد من العراق متحملا أعباء مشقة السفر إلي المدينة ليسألوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هذا السؤال : هل دم البراغيث نجس ؟ فتعجب سيدنا عبد الله من سؤالهم ، وقال : يقتلون ابن بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم يسألوا عن دم البراغيث !! .

سادسا : إن فرقة الخوارج عاثوا في الأرض فسادا ، وسفكوا الدماء ، وقطعوا السبيل ، واستحلوا المحارم ، وأثاروا الفتن ، وبذروا الشقاق بين الجماعة المسلمة ، وبسبب كل هذا فقد شنع العلماء، وحذروا الناس من ضلالهم ، بل أمروا الناس للتصدي لهم وقتالهم قال بن تيمية (اتفقت الصحابة علي قتال الخوارج ، حتي إن عبد الله بن عمر مع امتناعه عن الدخول في فرقة كسعد بن أبي وقاص وغيره من السابقين ، ولهذا لم يبايعوا الأحد إلا في جماعة قال عند الموت : ما آسي علي شيء إلا أني لم أقاتل الطائفة الباغية مع علي رضي الله عنه ، يريد بذلك قتال الخوارج) [٢]

وبعد أن ذكر أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم في شأنهم وهذا من معجزاته صلي الله عليه وسلم حيث أخبر عنهم قبل وجودهم – منها " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية " قال بن تيمية (فكان قتالهم ثابتا بالسنة الصحيحة الصريحة ، وباتفاق الصحابة ، بخلاف فتنة الجمل وصفين) [٣] . وقال أيضا (وسعد بن أبي وقاص وهو أفضل من كان قد بقي بعد علي رضي الله عنه ، وهو

---

١) البداية والنهايه بن كثير ٣٧٥/٤
٢) النبوات ، لابن تيمية ص ١٩١ ، دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م
٣) المرجع السابق ص ١٩١

من أهل الشوري ، واعتزل في الفتنة ، فلم يقاتل لا مع علي ، ولا مع معاوية ، ولكنه ممن تكلم في الخوارج ، وتأول فيهم قوله تعالي " وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقة ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون " [١] . وقال بن كثير (وما أحسن ماقال بعض السلف في الخوارج أنهم المذكورون في قوله تعالي : قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " [٢] . وعي ضوء ما سبق تستطيع أن تدرك ، لماذا حذرنا سيدنا صلة من هذه الفئة الباغية وكل من كان علي شاكلتها ، لكن جهاده لم يقف عند هذا فقط بل تعداه إلي الجهاد بالسيف ..

خامسا : جهاده بالسيف :

سبق أن ذكرت ان أبا الصهباء أعد لكل نوع من أنواع الجهاد سلاحه ، وتدرب عليه جيدا ، حتي يواجه خصمه وهو واثق من موقفه ، ويمضي في طريقه وهو ثابت الخطي ، ولقد أعد للجهاد بالسيف ضد خصوم الإسلام العدة الكاملة متخذا قوله تبارك وتعالي " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون " [٣] . وقوله عز وجل "وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " [٤] . إن أبا الصهباء اتخذ هذه الآيات وغيرها كثير شعارا يرفرف فوق رأسه ، ورايات بيضاء ناصعة يحملها في قلبه وبين جنباته ، ينبض بها فؤاده ، ويجري بها دمه ، وهي دنياه وأخراه .

---

١) سورة البقرة الأيتان ٢٦ ، ٢٧

٢) البداية والنهاية بن كثير ٣٧٥/٤ ، والأيات من سورة الكهف من ١٠ : ١٠٥ ، وانظر : دراسة في القضايا الخيلة علي الفرق الاسلامية د/ مبارك حسن حسين ص ٥٦ ، مطبعة الأمانة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م

٣) سورة الأنفال الآية ٦٠

٤) سورة آل عمران الآيتان ١٤١ ، ١٤٢

وعلي ضوء هذا فقد تدرب علي فنون القتال ، وكان رضي الله عنه فارسا من نوع فريد ، ورجلا من الرجال الذين وهبوا أرواحهم لله تعالي ، وكان بعد هذا الإعداد المادي والمعنوي راميا من الطراز الأول يشار إليه بالبنان ، ويضرب به المثل في الشجاعة والإقدام ، وكان رضي الله عنه عابدا بالليل فارسا بالنهار . فقد خاض عدة معارك شرسة ، وأبلي بلاء حسنا في ميادين الوغي .. وتروي كتب السير والتراجم والتاريخ أن الرجل شارك في كثير من المعارك ضد المتربصين بالإسلام وأهله ، فكثير ما تقول هذه المراجع : خرج صلة بن أشيم في غزاة .. وخرج صلة للقتال ذات مرة ... وخرج صلة بن أشيم للجهاد .. ورابط صلة بن أشيم في ثغرا كذا ، وفي كل خروج تذكر المراجع مكانا وزمانا يخالف الآخر ، مما يؤكد لنا أن الرجل قد وهب حياته في سبيل الدعوة إلي الله تعالي ، وحماية بيضة الإسلام في الداخل والخارج ، فتارة يقولون : قال صلة بن أشيم في قرية وأنا علي دابتي في زمان فيوض الماء [1] . وأخري يقولون : أخبرنا حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال : خرجنا في غزاة إلي كابل وفي الجيش صلة بن أشيم [2] ، وثالثة يقولون : فلما كان يوم يزيد بن زياد لقيتهم الترك بسجستان فانهزموا وكان فيهم صلة بن أشيم [3] . ورابعة يقولون : يقول الراوي عن صلة و – فلما دنونا من أرض العدو ، حمل صلة بن أشيم هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعنا وضربا وقتلا ، فكسر ذلك العدو وقالو فأعطوا للمسلمين حاجتهم [4] إلي آخر هذه المواقع ، وعلي هذا فالرجل قد وهب نفسه وحياته للجهاد في سبيل الله تعالي ، أيا ما كان العدو في أي مكان ، فالرجل عينه راصدة للثغور التي يمكن أن يفكر العدو أن يتسلل منها ضد المسلمين ، فإذا وصله الخبر أن العدو يتربص أو يحاول التسلل ضد المسلمين في مكان كذا أو بلد

---

١) انظر الحلية ، الأولياء ، لأبي نعيم ٢٣٩/٢

٢) أنظر المرجع السابق ٢٤٠/٢ ، وانظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن القيم الجوزي ١٧٠/٦ ، دار الكتب العلمية

٣) انظر : الطبقات الكبري ابن سعد ١٣٧/٧

٤) انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن القيم ١٧٠/٦ ، ١٧١

كذا هب الرجل لنجدة إخوانه أيا كان موقعهم ، وأيا كانت بلادهم وإن نأت الديار فالمسلم أخو المسلم ولا يتركه وحده فريسة لأعداء الله . ولنقف قليلا عند المعركة الأخيرة والتي استشهد فيها هــذا البطل صلة بن أشيم : جــاءت كتب التراجم والسير لتقول (حدثنا العلاء بن هلال أن رجلا قال لصلة : يا أبا الصهباء : رأيت أني أعطيت شهدة [١] ، وأعطيت شهدتين فقال صلة : تستشهد ، وأنا وابني ،فلما كان يوم يزيد بن زياد لقيتهم الترك فانهزموا ، وقال صله : يابني ارجع إلي أمك ، قال : يأبة أتريد الخير لنفسك وتأمرني بالرجوع ! قال : تقدم ، فتقدم ، فقاتل حتي أصيب ، فرمى صلة عن جسده وكان راميا ، حتي تفرقوا عنه ، وأقبل حتي قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتي قتل)[٢] ، وجاء في الطبقات الحديث عن استشهاد بن صلة وصلة قريبا من هذا فقال (خرج صلة بن أشيم في جيش معه أبنه وأعرابي من الحي فقال الأعرابي : يا أبا الصهباء : رأيت كأنك أتيت شجرة ظليلة ، فأصبت تحتها ثلاث شهدات فأعطيطني واحدة وأمسكت أثنتين ، فوجدت – غضبت – في نفسي ألا تكون قاسمتني الأخري فلقوا العدو فقال صلة لأبنه تقدم فتقدم فقتل ، وقتل صلة ، وقتل الأعرابي)[٣] . وجاء في المنتظم زيادة نفيسة علي ما سبق ، وتقول هذه الزيادة (قال صلة لولده : يا بني أرجع إلي أمك فقال : يا أبة : أتريد الخير لنفسك وتأمرني بالرجوع ، بل ارجع أنت ، والله كنت خيرا مني لأمي)[٤] . هذا وتكاد تجمع المراجع علي قول شيدنا صلة لولده : تقدم يا بني فقاتل حتي أحتسبك عند الله تعالي[٥] : ودعني أيها القارئ الكريم أن أستدعيك لتقف معي هنا وقفتين في هذا الركن من هذا البستان الزاهر الرائق لنقتطف أشهي الثمرات . الوقفة الأولي لم تأخذ من

---

١) الشهد : عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه ، والقطعة منه شهده بفتح الشين والدال وسكون الهاء بينهما ، انظر : المعجم الوسيط ص ٣٥٣

٢) الزهد بن المبارك ص ٢٩٦

٣) الطبقات الكبري بن سعد ١٣٧/٧ .

٤) النتظم في تاريخ الملوك والأمم ، بن القيم الجوزي ١٧١/٦

٥) أنظر : المرجع السابق ١٧١/٦ ، والطبقات ١٣٧/٧ وحلية الأولياء ٢٣٩/٢

وقتك سوي ثوان معدودات فى القراءة ، ولكنها قد تأخذ العمر كله لو أخذتها سلوكا وعملا واقعيا في حياتك. . الوقفة الأولي : تملي معي وانظر بعين البصر والبصيرة في هذه الدروس العملية . فلقد ربي سيدنا صلة ولده ونشأه علي حب الوفاء والتضحية ، وحب الإسلام والجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالي ، وهو ولده الوحيد كما يبدو من النصوص السابقة ، بعيدا عن الميوعة والترف ، والتخنث ، وحب الدنيا بشهواتها كما نري بعض شباب أيامنا هذه ... وعبرة سريعة أخري أو زهرة من هذا البستان وتدبر فيها جيدا ، وذلك حين قال الابن لأبيه (والله قد كنت خيرا مني لأمي) فهذا إدارك جيد ، ولمحة ذكية ، من ولد فطن كيس حين رصد علاقة أبين مع أمه وعلاقة أمه بأبيه ، ومدي وجود السكن والمودة والرحمة بينهم ، ومن ثم ينشا الاولاد فى هذا الجو الصافى ، والنقى من كل انواع التلوث الاسرى ،وخطره على الاولاد ٠ ودرس اخر وعبرة موثرة ،وهى المنافسة والمسارعة بين الولد ووالده الى ميدات القتال والأستشهاد فى سبيل الله عز وجل ٠وندرك ذلك حين قال الولد لوالده اتريد الخير لنفسك ،وعبرة ودرس احير وهو الوقفة الثانية ،وقد يطول الوقوف عندها وهى قول الأب لأبنه فى ساحة الجهاد : تقدم يا ولدى لأحتسبك عند الله تعالى ٠

المبحث السابع

ابو الصهباء يحتسب ولده

وفيه

أولا : معني الاحتساب

ثانيا : فقد الأولاد وثوابه

ثالثا : ماعليه الناس في زماننا

رابعا: اطمئن ولدك في كفالة أبي الأنبياء

أولا : معني الاحتساب :

وفى البدايه أود أن أبين معنى الأحتساب ، فاقول يقول العلماء : الحسيب من اسماء الله الحسنى ، ومعناه : الكافى ، من احسبنى الشئ اذا كفانى ، وقوله تعالى " إن الله كان على كل شئ حسيبا " اى يعطى كل شئ من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه ، اى يكفيه ... واحسب الرجل :اى أطعمه وسقاه حتى يشبع ويروي ... وقيل اعطاه ما يرضيه ... وقوله تعالى "ويرزقه من حيث لا يحتسب " اى من حيث لا يقدره ولا يظنه كائنا .. او من حيث لايحسبه لنفسه رزقا ، ولا عده فى حسابه ، والحسبة .. مصدر احتسابك الأجر على الله تعالى .. واحتسب فلان ابنا له أو ابنة له إذا مات وهو كبير ، وافترط فرطا ، إذا مات له ولد صغير ، وفى الحديث "من صام .. رمضان إيمانا واحتسابا " اى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه . وإنما قيل لمن ينوى بعمله وجه الله تعالى احتسبه ، لأنه حينئذ أن يعتد عمله ، فجعل في حال مباشرة الفعل ، كأنه معتد به ، والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدار إلي طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعال اعمال البر والقيا بها علي الوجه المرسوم فيها صلبا للثواب المرجو منها ، وفي حديث عمر : أيها الناس احتسبوا أعمالكم ، فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته [١] ... وقال أبو عمر : (الحسبة : الصبر والتسليم) [٢] . وقال الزرقاني (الحسبة أن يصبر راضيا بقضاء الله تعالي راجيا فضله) [٣] وعلي هذا فالاحتساب هو تلقي أمر الله تعالي بالتسليم والرضـــا ، والبشاشة له ، فكما يفرح بالنعمة يفرح بالبلاء ، لأنه من قضاء الله تعالي وقدره ، ويعتقد اعتقادا جازما أن هذا الابتلاء هو من الله تعالي ، والله تعالي يريد لصاحبه الخير فيما أصابه سواء في الدنيا أم

---

١) انظر : لسان العرب بن منظور ، ٨٦٥/٢ ، ٨٦٦، وانظر المفردات للراغب ص ١١٧

٢) شرح الزرقاني علي الموطأ ١٠٣/٢ ، دار الكتب العلمية ط أولي ١٤١١ د ١٩٩٠/ م ، ونظر : فتح الباري ٩٢/٣

٣) شرح الزرقاني علي الموطأ ١٠٣/٢ ، دار الكتب العلمية ط أولي ١٤١١ د ١٩٩٠/ م ، ونظر : فتح الباري ٩٢/٣

في الآخرة ، أدرك ذلك أم لم يدرك فالله أعلم بما قدر ، وما علي المسلم إلا التسليم والرضا ، وليعلم المسلم أن الله تعالي يكافئه علي صبره وتسليمه هذا أفضل الجزاء والثواب ، ثم عليه أن يدرك جيدا أن الدنيا بما فيها فانية ، وما عند الله خير وأبقي ... وفي القرآن الكريم آيات كثيرة عمدة في تأسيس

الاحتساب والصبر والبلاء والرضا بما قدره الله تعالي ، لينال المسلم – وليس ذلك إلا للمسلم – الأجر من المكافئ الحسيب والكريم والمعطي وهو الله جل ثناؤه اذكر منها قوله تبارك تعالي " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " . [١] . ويقول تبارك وتعالي " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم " [٢] . وقال جل ثناؤه " وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " [٣] . فالابتلاء قدر الله تعالي قدره علي عباده الموحدين ، ليختبر مدي ثبات العقيدة في قلوبهم ، ومدي الرضا الذي يستقبلون به أمر الله تعالي ونهيه ، بل مدي الحب الذي قدره الله تبارك تعالي وقضاه ، وليعلم المسلم أن الرضا بالقضاء ، والبشاشة له هو المحك الأساسي الذي يظهر به معدن الإنسان المسلم ومدي قوة إيمانه ، وهو كذلك الأساس الذي به ترفع الدرجات في الآخرة وفي سنة الحبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " [٤] . فهؤلاء هم الصفوة الذين اختارهم الله تعالي من بين خلقه لإبلاغ الرسالة ، وهم النماذج البشرية المصطفاه ، وهم القمم الشامخة الفذة ، وهم المقربون إلي الله تعالي ، ومع هذا كله هم أشد الناس بلاء وابتلاء في دنيا البشر ، وهم كذلك لرفع درجاتهم ومنزلتهم عند خالقهم ، وهم كذلك لأنهم

---

١) سورة البقرة الآيات ١٥٥ : ١٥٧ ، واقرأ في فتح الباري كلام غال ونفيس حول هاتين الآيتين ١٣٤/٣ ، وانظر :: القران تفسير القران العظيم بن كثير ١٩٧/١ ، ١٩٨

٢) سورة محمد الآية ٣١

٣) سورة آل عمران الآيتان ١٤١ ، ١٤٢

٤) أخرجه البخاري

المعالم المنيرة أمام الناس ، فهم القدوة والمثل السابق ليسيروا علي ضربهم وخلف خطواتهم للفوز برضا الله تعالي ورضوانه

ثانيا : فقد الأولاد وثوابه :

لعل من أشد الأمور علي الإنسان إيلاما ، وأكثرها حزنا ، ولعل من أكثر المصائب الموجعة أن يفقد الإنسان أحد أولاده ، وهم فلذة كبده ، وأمله وزينته ، وعاطفه الأبوة والأمومة من أنبل وأعظم العواطف ، وأكثرها قوة واندفاعا ، وعند موت الابن أو البت ، فبقدر حبه لهم بقدر حزنه عليهم ، ولا شك في كل هذا . لكن لا يتسامى ولا يرتقي إلي درجة الصابرين الراضين بقضاء الله تعالي والمستسلمين لحكمه وقدره وإرادته إلا هؤلاء المؤمنين الموحدين ، الذين فهموا مراد الله تعالي وحكمه في ذلك ، وكذلك الذين رغبوا فيما عند الله تعالي وصدقوا ما وعدهم الله تعالي به . وعندما تقرأ القرآن الكريم تجد هناك نماذج فريدة من نوعها للتسليم بحكم الله تعالي وأمره ، فها هو سيدنا إبراهيم خليل الرحمن وأبو الأنبياء مثلا يأمره ربه أن يذبح ولده بعد أن بلغ معه السعي ، ورجي نفعه ، وتعلق به قلبه ، وتشبثت به عواطفه وفؤاده ، وقرت به عينه بعد طول غياب عن الإنجاب ، وبعد أن اشتعلت رأسه شيبا ، ووهن العظم منه .. لم يمت سيدنا إسماعيل وطلب من إبراهيم الصبر والرضا ، بل الأمر أشد من ذلك بكثير ، فقد أمره ربه جل شأنه وإبراهيم متعلق بولده ، أمره أن يذبح ولده بنفسه وبيده ، ألست معي أيها القارئ الكريم أن هذا قمة الابتلاء لكن سيدنا إبراهيم لم يتردد لحظة في تنفيذ أمر الله تعالي وتطبيقه علي الفور وكأن رب العزة أراد أن يمحص ويختبر سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل في أعز في أعز ما لدي كل منهما ، إبراهيم في ولده وإسماعيل في أبيه .. وأراد الله تبارك وتعالي تخليصهما من الدنيا باسرها مهما كان فيها من ولد أو اب او ام ومهما كان فيها من زخرف وزينة ، ليصفو القلب لله رب العالمين وحده دون سواه وينفذ حكم الله تعالي ويطبقه حتي ولو كان علي ذبح الولد . لنقرأ معا هذا المشهد القرآني وهو يقرر تلك الحقيقة الهائلة ، وهي الرغبة فيما عند الله تعالي وحب ما أراده

الله تعالي وقضي به وحكم ، وكل ذلك ليضرب المثل والقدوة أمام الجماعة المسلمة . ان أمر الله تعالي فوق كل الأمور ، وحكم الله تعالي فوق كل الأحكام ، وأن حب الله تعالي فوق كل حب ، وأن رضي الله تعالي فوق كل رضي ، وأن وعد الله تعالي فوق كل وعد ، يقول جل شأنه في شأن سيدنا إبراهيم وابنه " قال إني ذاهب إلي ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أري في المنام أني أذبحك فانظر ماذا تري قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام علي إبراهيم . كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين " [1] . وقد جاء في الأثر أن الميت عارية مستودعة ، ولله تبارك وتعالي أخذ عاريته متي شاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك ، وما علي الإنسان المصاب بالميت إلا الرضا بقضاء الله وقدره ، فقد جاء في الموطأ " أن كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم مجتهد ، وكانت له امرأة ، وكان بها معجبا ، ولها محبا ، فماتت فوجد –حزن – عليها وجدا شديدا ، ولقي عليها أسفا ، حتي خلا في بيت ، وغلق علي نفسه ، واحتجب من الناس ، فلم يكن يدخل عليه أحد ، وأن امرأة سمعت به ، فجاءته فقالت : إن لي إليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزيني فيها إلا ما مشافهته ، فذهب الناس ، ولزمت بابه ، وقالت : مالي منه بد ، فقال له قائل : إن ها هنا امرأة أرادت أن تستفتيك ، وقالت : إن أردت إلا مشافهته ، وقد ذهب الناس ، وهي لا تفارق الباب ، فقال : ائذنوا لها ، فدخلت عليه فقالت : إني جئتك استفتيك في أمر ، فقال : وما هو ؟ قالت : إني استعرت من جارة لي حليا [2] فكنت البسه وأعيره زمانا ، ثم أرسلوا الي فيه أفأؤديه إليهم ؟ فقال : نعم . فقالت : إنه مكث عندي زمانا ! فقال : ذلك أحق لردك إياه حين أعاروكيه زمانا ، فقالت : أي يرحمك الله

---

١) سورة الصافات الآيات ٩٩ : ١١١

٢) حليا : بفتح الحاء وسكون اللام جمع حلي بضم الحاء واللام

أفتأسف علي ما أعارك الله ، ثم أخذه منك ، وهو أحق به منك !! فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها " [1] . وقد جاء في أمة محمد صلي الله عليه وسلم ما وقع لأحد من اصحابه ما هو أشد من ذلك تقوي ورضا بقضاء الله وحكمه ، وتسليما بقدره وإرادته ، بنفس راضية ، وقلب مفعم بالإيمان ، فقد جاء في صحيح البخاري " عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : اشتكي ابن لأبي طلحة ، قال فمات وأبو طلحة خارج ، فلما رأت امرأته أنه قد مات ، هيأت شيئا ونحته في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : وقد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، وظن أبو طلحة أنها صادقة ، قال فبات ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلي مع النبي صلي الله عليه وسلم ، ثم أخبره ما كان منها ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما ، وقال سفيان رجل من الأنصار : فرأيت لها تسعة الأولاد كلهم قد قرأ القرآن " [2] . وقال في الفتح (وكان الحامل لأم سليم -زوجة أبي طلحة – علي ذلك المبالغة في الصبر ، والتسليم لأمر الله تعالي ، ورجاء إخلافه عليها ما فات منها ... وبيان حال أم سليم من التجلد ، وجودة الرأي ، وقوة العزم [3] . يلاحظ أن الحديث الأول كانت النصيحة من إمرأة ، وفي الحديث الثاني كانت المتجلدة الصابرة لأمر الله تعالي امرأة ، فهل يعتبر نساؤنا في زماننا هذا بذلك .... وإذا مات للإنسان المسلم عزيز لديه فعليه بالصبر والرضا والتسليم لحكم الله تعالي ، وليستعن بالصبر والصلاة وليسترجع ، وقد فعل هذا سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فقد جاء في الأثر أن سيدنا عبد الله بن عباس نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحي عن الطريق فأناخ فصلي ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة " الآية " [4] . وعلي هذا الضرب مضي الصالحون . ولقد حدث الشيء

---

١) رواه الإمام مالك في الموطأ ١١٠/٢

٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه في المصيبة ٣/ ١٣٢

٣) فتح الباري بن حجر ١٣٣/٣

٤) المرجع السابق ، وقال : أخرجه الطبراني في تفسيره بإسناد حسن ١٤٣/٣ ، وفي فتح القدير للشوكاني أن الذي نعي إليه ابن له ٨١/١

نفسه مع صاحب بستاننا صلة بن أشيم فعن ثابت البناني قال : جاء رجل الي صلة ابن اشيم وهو يأكل فقال : إن فلانا قتل أو مات – يعني أخاه – فقال له : أدن فكل فقد نعي إليّ أخي منذ حين قال الله عز وجل " إنك ميت وإنهم ميتون " ورواية أخري أن أخا لصلة بن أشيم مات ، فجاءه رجل وهو يطعم فقال : يا أبا الصهباء إن أخاك قد مات ، فقال : هلم فكل فقد نعي لنا ... فقال : والله ما سبقني إليك أحد ، فمن نعاه ؟ فقال : يقول الله تعالي " إنك ميت وإنهم ميتون ") [١] .

وهكذا ينبغي بل يجب أن نمضي ونسير خلف هؤلاء الرجال ، ونسلك طريقهم في مثل هذه الحالة ، وإذا أردت المزيد للصبر والرضا ومات لك عزيز ، فلتعزي نفسك بأكبر أمر جلل ، وهو سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فليس بعد وفاته خطرا ومصيبة ، وليس بعده صلي الله عليه وسلم عزيز ، وليس بعده صلي الله عليه وسلم غالٍ ، وليس بعده صلي الله عليه وسلم حبيب ، فهو العزيز الغالي الحبيب ، ومن مات بعده صلي الله عليه وسلم مهما كانت منزلته عندك ونفعه ومحبته ، فمصيبة المؤمنين في رسول الله صلي الله عليه وسلم أعظم خطرا ، وأشد جللا ، وقد جاء في الموطأ ما يعزيك فيمن مات لك جاء " أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي " [٢] ، قال الزرقاني (لأن كل مصاب به دونها ، إذ كل مصاب عنه عوض ، ولا عوض عنه صلي الله عليه وسلم ، وأي مصيبة أعظم من مصيبة فبموته انقطع خبر السماء ، ومن رحمته للمؤمنين ، ونهج الدين – ثم ذكر –

اصبر لكل مصيبة وتجلد

وأعلم بأن المرء غير مخلد

وإذا ذكرت مصيبة تسلو بها

فاذكر مصابك بالنبي محمد [٣]

---

١ حلية الأولياء ، ابي نعيم ٢٣٨/٢ ، وانظر : الطبقات الكبري بن سعد ١٣٧/٧ ، وسير اعلام النبلاء ، الذهبي ٤٩٨/٣ والآية سورة الزمر رقم ٣٠

٢) رواه مالك في الموطأ ١٠٨/٢

٣) شرح الزرقاني علي الموطأ ١٠٨/٢

ثم إن هناك في المصائب وبخاصة من مات له ولد ثواب عظيم ، وأجر جزيل عند الله تبارك وتعالي لمن صبر واحتسب - بخلاف ما سبق - فهيا سويا نعيش في الدوحة وإن بدت حزينة لكنك ستجدها مفرحة ومثلجة للصدور

موت الولد يُكفِر الخطايا

فقد اخرج مالك في الموطأ " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : ما يزال المسلم يصاب منه في ولده وحامّته حتي يلقي الله تعالي وليست له خطيئة " [١] ، قال الباجي (أي يحط عنه خطاياه بذلك ، أو يحصل له من الأجر ما يزن جميع ذنوبه ، فهو بمنزلة من لا ذنب له ، وهذا لمن صبر واحتسب) [٢].

والجنة لمن مات له ولد:

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن من مات له أولاد وصبر واحتسب أدخله الله تعالي الجنة من ذلك ما ورد في الصحيح " عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلي الله عليه وسلم : ما من مسلم يتوفي له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم " [٣] ، وفسر الحنث في الفتح فقال (أن المراد لم يبلغوا أن يعلموا المعاصي ، والمعني : لم يبلغوا الحكم فتكتب عليهم الآثام ، قال الخليل : بلغ الغلام الحنث إذا جري عليه القلم ، والحنث الذنب ومنه قوله تعالي " وكانوا يصرون علي الحنث العظيم " وقيل المراد بلغ إلي زمان يؤاخذ بيمينه إذا حنث ، وقال الراغب : عبر بالحنث عن البلوغ لما كان الإنسان يؤاخذ بما يرتكبه فيه بخلاف ما قبله ، وخص الإثم بالذكر لأنه الذي يحصل بالبلوغ ، لأن الصبي قد يثاب ، وخص الصغير بذلك لأن الشفقة عليه أعظم ، والحب له أشد ، والرحمة له أوفر ... وقال الزين بن المنير : يدخل الكبير فى ذلك عن طريق الفحوى ، لأنه إذا ثبت ذلك فى الطفل الذي هو كل -

---

١ رواه مالك في الموطأ في الجنائز ١٠٧/٢ ، ومعني وحامته بفتح الحاء وتشديد الميم المفتوحة : قرابته وخاصته وكل من يحزنه ذهابه وموته

٢ شرح الزرقاني ١٠٧/٢

٣ أخرجه البخاري في الجنائز ، باب : فضل من مات له ولد فاحتسب ٩٣/٣ ، والحنث : بكسر الحاء وسكون النون

بفتح الكاف – علي أبويه ، فكيف لا يثبت في الكبير الذي بلغ معه السعي ، ووصل منه النفع ، وتوجه إليه الخطاب بالحقوق ، قال ولعل هذا هو السر في إلغاء البخاري التقييد بذلك فى الترجمة)[١] وقد رجح بن حجر أن أولاد الأولاد يدخلون في هذا ، ولا سيما عند فقد الوسائط بينهم وبين الأب وبخاصة لو كانوا من صلبه[٢] . وإذا كان الحديث السابق قيد الولد بثلاثة لأنه كان ردا علي سؤال أحد الصحابة ، فإن هناك أحاديث أطلقت هذا القيد ، وجعلته ولو ولدا واحدا ، فقد جاء فى السنة " أن رجلا أتي النبي صلي الله علية وسلم ومعه ابن له ، فقال له : أتحبه ؟ فقال : أحبك الله كما أحبه ، فمات ، ففقده ، فسأل عنه ، فقال : ما يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك "[٣] . وعلي هذا فهذا الحديث يؤكد أن من مات له ولد ولو كان واحدا وصبر واحتسب كان له الأجر السابق . وجاء في موضع آخر " كان نبي الله صلي الله عليه وسلم إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه ، فهلك فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه ، فحزن عليه ، ففقده النبي صلي الله عليه وسلم فقال : مالي لا أري فلانا ، قالوا : يا رسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبي صلي الله عليه وسلم فسأله عن بنيه فأخبره أنه هلك ، فعزاه عليه ، ثم قال يا فلان : أيما كان أحب إليك ، أن تمتع به عمرك ، أو تأتي غدا إلي باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك !! قال : يا نبي الله بل يسبقني إلي باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلي ، قال : فذاك لك "[٤] وجاء أيضا " عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمة إياهم الجنة ، قال :يقال لهم : ادخلوا الجنة . فيقولوا : حتى يدخل آباؤنا ، فيقال : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم "[٥] ومعلوم من الأحاديث السابقة جملة أن أم

---

١ فتح الباري بن حجر ٩٣/٣
٢ المرجع السابق ٩٣/٣
٣ رواه النسائي في الجنائز ، باب : ثواب من صبر واحتسب ٢٣/٤ ، دار القلم
٤ رواه النسائي فى الجنائز ، باب : فى التعزية ١٨/٤
٥ أخرجه البخاري في الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب ٩٤/٣

الولد أو الأولاد عند ما تصبر وتحتسب فان لها الثواب الذي أعد لوالد الولد ، فمثلها مثل الأب سواء بسواء ،بل ربما يكون لها الجزاء الأوفى نظرا لعاطفة الأمومة الجياشة ، ومعلوم أن الذكر والأنثى في الوفاء سواء بسواء ،يعنى لو كان الميت ذكراً أو أنثى ، وما ذكر الولد أو الوالد بالتذكير إلا على جهة التغليب فحسب وسيأتي توضيح لهذا أكثر .

من مات له ولد بعُد عن النار :

بفضل الله تعالى ورحمة ، وثوابه الجزيل لمن مات له ولد وصبر واحتسب ،عوضه تعالى ببعده عن النار ،وحجبه عنها ،وهذا تأكيد لما سبق من دخولهم الجنة . أوقد يظن أن يدخل النار ثم يدخل الجنة ، والحديث القادم ينفى هذا الظن " فعن أبى سعيد رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي صلى الله علية وسلم : اجعل لنا يوما ، فوعظهن ،وقال :أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا حجابا من النار ، قالت امرأة : واثنان ، قال: واثنان " [1] فهذا نص في ثواب المرأة إذا صبرت واحتسبت مثلها مثل الرجل سواء بسواء كما أن لفظ الولد في الحديث يشمل المفرد والجمع والذكر والأنثى كما قاله ابن حجر ، وفى سنن النسائي " عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله علية وسلم بابن لها يشتكى ،فقالت : يا رسول الله أخاف عليه وقد قدمت ثلاثة ، فقال رسول الله صلى الله علية وسلم : لقد احتظرت بحظار شديد من النار " [2] وعلى هذا فكلما زاد العدد زاد الأجر والثواب .

شفاعة الأولاد لآبائهم

ليس موت الأولاد في حياة آبائهم وأمهاتهم يكفر الخطايا ، ويبعد عن النار ، ويدخل الجنة فحسب بل هناك المزيد ، فالله تبارك وتعالى يقبل شفاعة الأولاد في آبائهم وأمهاتهم ، وقد وردت الآثار بذلك " فعن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة

---

١ انظر الفتح ٣/٩٤

٢ رواه النسائي في الجنائز ٤/٢٦ ، والحظار بفتح الحاء وقد تكر تكسر هو : يجعل حول البستان من قضبان نحوه ، والمعني : لقد احتميت بحمي عظيم من النار يقيك حرها ، ويؤمنك دخولها ، انظر شرح السيوطي للسنن النسائي ٤/٢٦

: توفى لي ابنان ، فحدثني شيئا سمعته من رسول الله صلى الله علية وسلم تطيب به نفوسنا عن موتانا ، قال : صغارهم دعاميص الجنة ، يلقى أحدهم أباه ، فيأخذ بصنفة ثوبه كما آخذ بصفة ثوبك فلا ينتهي – أو يفارقه – حتى يدخله الله وإياهم الجنة " [١] والدعموص : دويبة تكون في الماء ويطلق على الدخال في الأمور ، والمعنى : أنهم سياحون في الجنة ، دخالون في منازلها ، لا يمنعون من موضع منها ، كما أن الصبيان في الدنيا لا يمنعون من الدخول على الحرم ، وصنفة الثوب : طرفه وناصيته " [٢] وعن بن مالك أن رجلا كان يجئ بصبي له معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الغلام مات ، فأحتبس أبوه عن النبي صلى الله علية وسلم ، فسأل عنه رسول الله صلى الله علية وسلم ، فقالوا : مات صبيه الذي رأيت معه ، فقال : أفلا آذنتموني ؟ فقوموا إلى أخينا نعزيه ، فلما دخل عليه ، إذ الرجل حزين ، وبه كآبة ، فعزاه فقال :يا رسول الله ، كنت أرجوه لكبر سني وضعفي ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : أما يسرك أن يكون يوم القيامة بلإزائك يقال له : أدخل الجنة ، فيقول : رب وأبواي ، ولا يزال يشفع حتي يشفعه الله فيكم ويدخلكم جميعا الجنة " [٣] .. ويقول النبي صلي الله عليه وسلم : إنه يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة ، فيقولون يارب حتي يدخل آبائنا وأمهاتنا فيأتون ، فيقول الله تعالي : مالي أراهم محبنتطئين ؟ ادخلوا الجنة ، فيقولون : يارب آبائنا ، فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآبائكم " [٤] . إلا أن هذه الشفاعة لما لها من منزلة ودرجة ، إلا أن أولادنا الذين ماتوا في حياتنا يجتهدون فيما هو أرقي من ذلك وأفضل للآباء والأمهات الذين احتسبوهم عند الله تعالي ، فهؤلاء لا يتركوننا أو يتناسوننا ، بل لهم دور مشكور نحونا ، فقد ورد أن هؤلاء الأولاد يتلقون آباءهم من أبواب الجنة الثمانية يدخلونها من أين شاؤا " فعن عتبة بن

---

١ أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة ، فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، ورواه أحمد ٤٧٧/٢ ، ٥١٠/٢

٢ انظر : فضل الجلد عند فقد الولد ، السيوطي ، تحقيق عبد القادر احمد عبد القادر ص ٣٠ ، مكتبة السندس أولي ١٤١٠ ه /١٩٨٩ م

٣ الحديث في كتاب تسلية أهل المصائب ، محمد الحنبلي ، تعليق محمد حسن الجمعي ، مؤسسة الإيمان ط ١٤٠٧ هـ /١٩٨٦ م نقلا من كتاب : فضل الجلد عند فقد الولد ص ٩٥ وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور .

٤ مسند الإمام احمد ١٠٥/٤ ، اصبنطا : أمتلأ غيظا . القاموس المحيط ، صبنطأ

النضر أو عتبة بن عبد السلمي قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : مامن مسلم يتوفي له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل "[١]

الولد يسقي أبويه في الموقف :

إن موقف الحساب من أصعب المواقف ، ومن أشد المراحل التي يمر بها الإنسان وهو في طريقه إلي مصيره المحترم ، ونهايته الأبدية ، وقد ورد في الموقف آيات وأحاديث كثيرة ، كلها تؤكد أن يوم الموقف من أصعب المواقف علي الإطلاق ، وقد ذكر الله تبارك وتعالي يوم القيامة في كثير من سور القرآن الكريم ، وآياته المحكمة ، وذكر عنه وفيه من الأهوال ما يجعل الولدان شيبا ، وما ذكر ذلك إلا ليكون الإنسان علي حذر منه ومايقع فيه وذلم بالإيمان والعمل الصالح ، وتقوي الله تعالي ، والتزود لهذا اليوم العصيب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخري فهو اسلوب من أساليب الدعوة إلي الله عز وجل ، فعندما يتذكر المسلم يوم القيامة وما فيه ، ويعيش هذا اليوم بما يصورة ويبينه القرآن من خلال آياته فإن المسلم يزداد خشية لله تعالي ويكون أشد مراقبة له سبحانه وتعالي والآيات التي تتناول مشاهد القيامة كثيرة ومتعددة وكل مشهد يصور ويبين موقفا من مواقف يوم القيامة ، ولا تكاد سورة من سور القرآن الكريم إلا وتذكر يوم القيامة أو موطنا من مواطنه المتعددة ، واحيل القاري الكريم إلي كتاب مشاهد القيامة في القرآن للشهيد سيد قطب فقد أجاد فيه وأفاد ، كما أن الأحاديث النبوية جاء فيها الكثير عن مشاهد القيامة ، وكثير من المواطن فيه ، وأذكر هنا حديثا واحدا يوضح هذا الموقف العصيب ، وهذا الموطن المخيف ، ونسأل الله تعالي السلامة في كل مواطن القيامة ، لأن الأمر هناك جد خطير ، وويل لمن لم تدركه رحمة الله تعالي ، وكذلك الويل كل الويل لمن لم يؤمن ويتقي ويعمل صالحا ويصبر علي مابتلاه الله تعالي به في دنياه، عسي أن بحد له شفيعا في يوم "

---

[١] أحمد ١٨٣/٤ ، ١٨٤ ، وابن ماجه ٥١٢/١ في الجنائز ما جاء في ثواب من أصيب بولده واسماء ابواب الجنة الثمانية هي : باب : الكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، باب : الراضين ، باب : الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهو الباب الأيمن ، انظر سنن النسائي

تزهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها . وتري الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد " . " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم في دعوة فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة [١] وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي ، وتدنوا منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيق ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلي ما أنتم فيه ، وإلي ما بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلي ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا ألي ربك ، ألا تري ما نحن فيه وما بلغنا ، فقال : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشحرة فعصيت ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلي غيري " إلي أن يذهب الناس الي نوح وابراهيم وموسي وعيسي فيقولون مثل قول آدم عليهم جميعا الصلاة والسلام إلي أن قال عيسي : " اذهبوا إلي محمد صلي الله عليه وسلم فيأتونه فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخاشفع لنا إلي ربك ، ألا تري إلي مانحن فيه ، فأنطلق فآتي تحت العرش .فأقع ساجدا ل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه علي أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل ت، واشفع تشفع ، فأرفع رأسك ، فأقول أمتي يارب أمتي ، أمتي يارب . فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوي ذلك من الأبواب . ثم قال : والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين أي البابين من مصارع الجنه كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكه وبصري " [٢] من النصوص القرآنية والنبوية يتضح شدة هول الموقف حتي

---

[١] بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا ، والإعجاب بالشيء ، أو المدح أو الفخر ، أنظر المعجم الوجيز ص ٣٨ ، والحديث رواه النسائي وابن حبان ، وصححه الحاكم وهو في المستدرك ٥١١/١

[٢] أخرجه البخاري

الأنبياء وجلهم من أولي العزم يقول نفسي نفسي . وهنا يأتي الأولاد المحتسبين للآباءهم وأمهاتهم يخففون عنهم وطأة الموقف ويسقونهم ، وهي بشارة في الوقت ذاته لحسن مآبهم ، وقد جاء في السنة الصحيحة أن من مات له ولد واحتسبه عند الله تعالي ، فان ذلك يوضع في الميزان ، ويثقل به الأعمال يوم القيامة " فعن أب سلمي راعي رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان " لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله الحمد لله ، والولد الصالح يتوفي للمرء المسلم فيحتسبه " [1]

حتي السقط يدخل أبويه الجنة

فإذا كان ماسبق جزاء لمن احتسب ولده الذي ولد وبرز الي الوجود وسواء مات صغيرا أو كبيرا فإن الله تبارك وتعالي من فيض كرمه ورحمته الواسعة وجوده الامحدود جعل ذلك الجزاء للأبوين حتي لو كان هذا سقطا لم يستهل سارخا ، ولم يبرز الي الوجود حيا . وهذا من فيض رحمته جل جلاله ، حيث يريد الرحمة بعباده الموحدين فيفتح لهم أبوابا منها يدخلون رحمته ، ويفوزون بجنته ، فلو حدث سقط واحتسب الابوان ذلك السقط عند الله تعالي لكان جزائهما الجنة وقد ورد احدايث نبويه تذكر هذا " فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : إن السقط بتشديد السين وكسرها لبراغم ربه إذا دخل أبواه النار ، فيقال أيها السقط المراغم ربه ، أدخل الجنه ، فيجرهما بسرره حتي يدخلهما الجنه " . وعن محمد بن سيرين قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : دعو الحسناء العاقر وتزوجو السوداء أو الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ، حتي السقط علي أبواب الجنة فحبنطنا ، فيقال لـــه أدخل الجنة ، فيقول : حتي يدخل أبواي فيقال له أدخل وابواك " [2]

هل تتمني أن يموت ولدك :

---

[1] رواه النسائي وابن حبان وصححه الحاكم في المستدرك ٥١١/١

[2] مجمع الزوائد ٢٥٨/٢

من أجل هذا الثواب الجزيل والعطاء الوفير والرحمة الواسعة من أجل ابتغاء ما عند الله من النعيم المقيم ، ومن أجل البعد عن العذاب الأليم ، ومن أجل الفيض الرباني المدخر عند الله تعالي لمن فقد ولده واحتسبه حتي كان من الصالحين من يرجو موت وله في حياته حتي يحتسبه عند الله تعالي ، ويرضي بقضاءه ، لكن ما دام هذا مدخرا عند الله تعالي فلا بأس بالتضحيه بأي شيء حتي ولو كان الولد . ويؤثر ماعند الله تعالي ، حتي ولو كان الولد أعز ماليه ، وكان أحدهم يرجو الله تعالي أن يموت ولده في حياته حتي يحتسبه ، حتي كان أحدهم يدعو علي ولده بالموت ، لا لشيء حتي يحتسبه ، بل كان أحدهم يقدم ولده ليقتل ويسيل دمه أمامه وهو ينظر إليه وهو يصارع الكفرة والمشركين ، ويود أن يفارق ولده الحياة قبله ، كل ذلك ليحتسبه عند مولاه جل جلاله..... وأذكر هنا بعضا من هذه الصور التي ترقق القلوب ، وتهدء النفوس ، وتطئمن الأفئدة ،وتهيئنا لمستقبل أيا منا إذا وقعت مصيبة فقد الولد ، أو تهدء من روعنا إذا كان فاتنا هذا ، إن هذه النماذج لتعد نا إعدادا طيبا ، ننصهر تحت وطأة الابتلاء ، فنخرج منه أقوياء . إن سمة المؤمن الذي يظهر جليا على جبهته هو الرضا والصبر بما قدر الإله . ومن علامات الرضا . أن نستقبل الابتلاء بوجه بشوش ، وقلب مطمئن ،من أول لحظة وإلا فمن أين نتكسب زاد الرحيل ، ومعلوم أن السفر طويل ، والعقبة كؤد ، والبحر عميق والناقد بصير ، ولا سبيل إلي رفع درجة الإستعداد لمثل هذا اليوم إلا الرضا بما قدر علينا ربنا ، وبما قسمه لنا وبما فرضه علينا . إن رسول الإسلام قد حثنا وحذرنا وعلمنا وفقهنا إلي كل ذلك ، ولا حجة للصاخب ولا للساخط ولا للناقم ولا للمتبرم ، وأصبح الجهل بكل هذا ضرب من الغفلة ، ووجب التنبيه والتذكير " فعن ابن مسعود رضي الله عنه

قـــال : قـــال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ما تعـــدون الرقوب فيكم ؟ قلنا : الذي لا يولد له ولد : قـــــال : ليس ذلك بالرقـــوب ، ولكــــــن الرقوب الذي لـــــــم يقدم مـــن ولده شيئا "[1] . "وعن أنس قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا : الذي لا ولد له قال : بل هو الذي لا فرط له "[2] ، والفرط ، يقال : فرط فلان ولدا فرطا أي احتسبه صغيرا ، ويقال : فرط له ولد أي سبقه إلي الجنة والفارط إلي الماء : المتقدم لإصلاح الدلو[3] وهنا يطرأ تساؤل وارد . وهو : إذا لم يكن لك ولد أصلا ، أو كان ولم يمت في حياتك : هل تحرم من ثواب الإحتساب ، وهو ثواب جزيل ، وأجر عظيم –كما سبق – والجواب من خلال أثر مرفوع إلي النبي صلى الله غليه وسلم وقد وسع صلى الله عليه وسلم ضيقا ،وفتح لنا أبوابا من فضل الله تعالي ،وأرشدنا إلي كسب الإحتساب من عدة وجوه :ففي الأثر :"عن رجاء بن جميل الأيلي رفعه إلي النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات ولم يقدم فرطا لم يدخل الجنة إلا تصريدا ، قيل يا رسول الله ،وما الفرط ؟ قال : الولد ، وولد الولد ، والأخ يؤاخيه في الله ، فمن لم يكن له فرط ، فأنا له فرط "[4] ." وعن سهل بن الأخنف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يكن له منكم فرط لم يدخل الجنة إلا تصر يدا ، قال رجل : يا رسول الله . ما لكلنا

---

١ أخرجه مسلم في البر والصلة ١٨٢/١٦ ، وأحمد في مسند ٣٨٢/١٥،؟ ٥٦٧/٥ والرقوب: الرجل أو المرأة إذا لم يعش لهما ولد ، لأنهما يرقبان موته ، ويرصدانه خوفا عليه . وإذا كان فقد الأولاد في الدنيا ليس بالأمر الهين ، فإن فقد الأجر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء أعظم في الاخرة والمسلم ولده في الحقيقة الذي قدمه واحتسبه.

٢ مجمع الزوائد ٥٨/٣ وقال : رواه البزارورجاله رجال الصحيح.

٣ انظر : المعجم الرجيز ص٤٦٧ والمفردات للراغب ص٣٧٦.

٤ رواه ابن أبي الدنيا في العزاء انظر : فضل الجلد عند فقد الولد ص٤١ . والتصريد : السقي دون التروي ، ويستعمل في التقليل ، يقال : صرد له عطاء ، إذا قلله

فرط ، قال : أو ليس من فرط أحدكم أن يفقد أخاه المسلم "[١] وهكذا وسعت رحمت ربي كل شيء ، فمن لم يكن عنده فرط أو ولد ، أو ولد ولد أو عنده ولم يقدم أحدا ، ففي الأخوة في الله ، وفي الأصحاب الصالحين وفي الزوجة وفي الأم والأب ، وإذا لم يكن كل هؤلاء ففي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فرط لهؤلاء ، ألا ما أجمل اسلامنا ، وما أعظم رحمة ربنا ، وما أحرص نبينا علينا حتى السقط اعتبرته الشريعة الغراء فرطا " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لسقط أقدمه بين يدي أحب إليَّ من فارس اخلفه خلفي"[٢] ، وما كان ذلك كذلك إلا لتوطين القلب على تلقي قدر الله تعالى بالتسليم والرضا . ولأجل هذا كله وغيره مما سيأتي أدرك الصالحون والمقربون هذا العطاء الرباني والمبشرات التي جاءت في شأن من فقد عزيز عليه ، لمَّا أدرك الصالحون هذه الأخبار ، وكثرتها تمنى كل منهم أن يدخر ولده عند الله تعالى واستقر في مكنون أفئدة المسلمين الصالحين هذا المعنى الدقيق ونذكر طرفا منها : فعن كثير بن تميم الداري قال : كنت جالسا مع سعيد بن جبير ، فطلع علينا ابنه عبد الله ، وكان من أهل الفقه ، فقـــال سعيد : إني لأعلم خير خلة فيه ، قيل : وما هي ؟ قال: أن يموت فاحتسبه [٣] . وعن عمرو بن ميمون بن مهران قال: كنت مع أبي فلقي مكحولا ومعه فتى ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال: ابني ، قال : كيف رضاك عنه، قال : ما بقيت خصلة من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه إلا واحدة قال : وما هي ؟ قال :

---

١ مجمع الزوائد ١٢/٣، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ، وهو ضعيف.
٢ ابن ماجه في الجنائز ، باب : ما جاء فيمن أصيب بسقط ٥١٣/١
٣ حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٧٥/٤.

كنت أحب أن يموت فأؤجر فيه [١] . وعن أبي مسلم الخولاني قال: لأن يولــد لي مولود يحسن الله نباته ، حتى إذا استوى شبابه ، وكان أعجب ما يكون إلي قبضه الله مني أحب إليَّ من أن يكون لي الدنيا وما فيها [٢] . وعن عياض بن عقبة الفهري أنه مات ابن له يقال له يحي ، فلما نزل في قبره قال له رجل : والله إن كان لسيد الجيش فأحتسبه ، فقال : وما يمنعني أن أحتسبه وقد كان بالأمس من زينة الحياة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات [٣] . وعن عوف بن مالك الجشمي قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال : كأنكم تغبطوني بهم قلنا : إي والله ، فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير ، عشش فيه وباض فقال : والذي نفسي بيده ، لأن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم ، أحب إلي من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه [٤] . وعن سهل بن الحنظلية الأنصاري ، وكان لا يولد له ولد ، فقال : لأن يولد لي ولد ، ولو سقط فأحتسبه أحب إلي من أن يكون لي الدنيا جميعا [٥] وعن يزيد بن حبيب : أن إبنا لعياض بن عقبه حضرته الوفاة ، وعياض غائب، فقالت أم الغلام : لو كان أبو وهب حاضرا لقرت عينه قال الليث: فلما حضرت الوفاة عياض بن عقبة ، قال لأخيه : ليهنك الظفر، وقد كنت أرجو أن تكون قبلي فأحتسبك[٦] . وقد روى أن أنس بن مالك دفن ابنا

---

١ حلية الأولياء لأبي نعيم ٩٠/٤

٢ الزهد لابن المباركص١٥٨

٣ المرجع السابق ص١٥٨

٤ فضل الجلد عند فقد الولد ص٤٤ وقال المحقق في الهامش : الخبر في تسلية أهل المصائب ص٢٠١، ولم أعثر على هذا المرجع !.

٥ فضل الجلد عند فقد الولد ، السيوطي ص٤٥ وقال المحقق في الهامش :تسلية أهل المصائب ص ٤٦ نقلا عن ابن عساكر بإسناده .

٦ المرجع السابق ص٤٥

له ، فقال : اللهم عبدك وولد عبيدك ، وقد ورد إليك ، اللهم فاراف به ، وارحمه ، وجاف الأرض عن جنبيه ، وافتح أبواب السماء لروحه ، وتقبله منا بقبول حسن ، ثم رجع إلى أهلهِ فغشيهم ، وادهن وطعم ، وكان إذا رأى منهم حزينا زجره [١] . وقال مورق العجلي : ما من أمر يبلغني أحب إلي من موت أهلي إلي ... وعن حفصه بنت سيرين قالت : كان مورق العجلي يأتينا فسألته عن أهله وولده ، فقال: هم والله متوافرون ، فقالت : قلت: رحمك الله ، لم هذا ؟ قال: إني والله أخشى أن يحبسوني على هلكة ، وكان يقول : ما في الأرض نفس لي في موتها أجر إلا وددت أنها قد ماتت [٢] وهناك ما هو مدخر لصاحب المصيبة فوق كل هذا لعله يرضاه فمن لطف الله تعالي وما أعظم لطفه وحنانه وكرمه بعبده المؤمن أن يأخذ ما هو له ثم يرضي عبده بما عنده ويعده بكل هذا لمجرد احتساب العبد مصيبته ، ألا ما أعظمك من إله ، وما أرحمك من رب . وقد جاء في السنة عن أبي سنان قال : دفنت ابني سنانا وأبو طلحة الخولاني جالس علي شفير القبر فلما اردت الخروج أخذ بيدي فقال : ألا ابشرك يا أبا سنان قلت بلي !! قال حدثني الضحاك وقال محمد بن خلف المعروف بوكيع : كان لإبراهيم الحربي ابن وكان له إحدى عشر سنة ، وقد حفظ القرآن ، ولقنه من الفقه شيئا كثيرا فمات ، فجئت أعزيه ، فقال لي: كنت اشتهي موت ابني هذا ، قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا ، تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ، وحفظ القرآن ، ولقنته الحديث والفقه ، قال: نعم ،

---

١ الزهد ، لابن المبارك ، مما رواه النعيم بن حمادص ٢٨،٢٩.
٢ حلية الأولياء لأبي النعيم ٢/٢٣٤. وانظر ترجمة مورق فيالحلية ٢/٢٣٤

رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت ، وكأن صبيانا بأيديهم قلاك فيها ماء ، يستقبلون الناس ويسقونهم ، وكان اليوم يوما حارا شديد حره ، فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء ، فنظر إلي وقال: ليس أنت أبي ، فقلت : أي شيء أنتم ؟ فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا ، وخلفنا آبائنا ، نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال: فلهذا تمنيت موته[1] وهناك ما هو مدخر لصاحب المصيبة فوق كل هذا لعله يرضى ، فمن لطف الله تعالى ، وما أعظم لطفه وحنانه ووده ، وكرمه بعبده المؤمن : أن يأخذ ما هو له ثم يرضى عبده بما عنده ، ويعده بكل هذا لمجرد ألاحتساب العبد مصيبته ، ألا ما أعظمك من إله ، وما ارحمك من رب ، فقد جاء في السنة " عن أبي سنان قال: ابني سنانا ، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان قلت بلى قال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم ، فيقول: قبضتم ثمـــرة فؤاده ، فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد "[2] وفضل الله تعالى عظيم ، وخيره وفير والاسترجاع أن يفوض الأمر لصاحب الأمر وهو الله تعالى ، وأن يسلم تسليم الرضا بما وقع له من بلاء ، وأن يترجم هذا التسليم الذي يتغلغل في فؤاده وينطق بلسانه "إنا لله وإنا إليه راجعون "وقد جاءت أحاديث

---

[1] فضل الجلد ص٣٧ولمزيد من هذا إقرأهذا المرجع ، وكذا التسلي والإغتباط بثواب من تقدم من الأفراط للدمياطي ففيهما الكثير من هذا.

[2] رواه الترمذي في الجنائز ٣٩٦/٣ ، واحمد في مسنده ٤١٥/٤ .

في الاسترجاع عند فقد الولد في غاية الروعة والجمال ،ففيها خير لا يقدر ،وعزاء ما بعده عزاء ،وتسلية في غاية السرور ،حتى تجعلك فعلا فعلا تفرح بالمصيبة ،كما تفرح عند تلقيك النعمة ،وهنا يستوي الفرح سواء بالمصيبة أم بالنعمة من هذه الأحاديث التي تتزور بها ،وتجعلها نصب عينيك حتى تكثر من الزاد ليوم الرحيل "عن الحسين بن على قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته، وأحدث استرجاعا ، وإن تقادم عهدها ،كتب الله له الأجر مثله يوم أصيب"[١]ما هذا ؟؟حتى في ذكريات ألم المصائب لك الأجر ، أليس هذا فيض من كرم الكريم "وعن سعيد بن المسيب رفعه : من استرجع بعد أربعين سنة أعطاه الله ثواب مصيبته يوم أصيبها "[٢]ما هذا الإدرار ،وما هذا السيل المنهمر الدائم على صاحب البلاء ، أفبعد أربعين عاما يتذكر الإنسان مصابه ويسترجع ينهمر عليه فيض الله تعالى ،وقد يكون العدد هنا غير مفهوم .أي غير محدد ،وما ذكر الأربعين إلا لبيان الكثرة مهما كانت ، اللهم إنك أرحم الراحمين ، وأكرم الأكرمين ، ولطيف بعبادك المبتلين ...مهما كان بلاؤهم . في النفس أو في المال أو في الولد ، أو في أي عزيز كان ...قال كعب : ما من رجل تصيبه مصيبة فيذكرها بعد أربعين سنة فيسترجع إلا أجرى الله له أجرها تلك الساعة ،كما أنه لو استرجع يوم أصيب [٣] .

ولما كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء وأفضلهم جميعا نالت أمته الفضل على الأمم السابقة بأفضلية الرسول صلى الله عليه

---

[١] رواه ابن ماجه في الجنائز ٥١٠/١،واحمدفي مسنده ٢٠١،٤/١ ٢٧/٢.

[٢] فضل الجلد عند فقد الولد ص٤٧، وقال المحقق في الهامش :المصنف لابن أبي شيبة ٣٣٤/٥ ورواه ابن أبي الدنيا.

[٣] المرجع السابق ص ٤٨

وسلم . ومن صور تفضيل أمة الإسلام ، أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما ذكره سيدنا سعيد بن جبير حين قال: لم يعط أحد من الأمم الاسترجاع غير هذه الأمة [١] هذا وتوجد آثار طيبة وكثيرة جدا ، وأقول لو استرسلنا في ذكرها لطال بنا المقام ، وقد يخرج لبحث عن القصد ، وهو التنزه في هذا البستان ، والوقوف عند كل زهرة ، وقت ما لنتمكن من السياحة في كل هذا البستان ، بستان أبي الصهباء رحمه الله رحمة واسعة.

ثالثا : ما عليه الناس في زماننا :

إن كثيرا من الناس قد نسوا أو تناسوا في زمننا هذا ما كان علية الأنبياء والصالحون من عباد الله تعالى وما أعده الله تعالى لأهل البلاء وبخاصة إذا فقد الإنسان عزيزا لديه من ولد أو بنت أو أخ أو أخ أو أخت أو زوجة أو زوج أو أبواه أو أحدهما أو صديق ، أو قريب . إن كثيرا من الناس في وقتنا هذا ، وفي مجتمعاتنا هذه أحدثوا بدعا كثيرة تكاد تخرج المسلم عن اسلامه ، وينخلعون من ربقته ، ومن هذه البدع النكدة : العويل والصراخ ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب ، والأخطر هو دعوى الجاهلية من الألفاظ التي لا تليق بحال من مسلم ، ونسوا أو تناسوا كل ما أمر الله به ،وكل ما سنه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة ،وما أعده الله تعالى لمن صبر واحتسب . ثم بعد هذه الضجة الغريبة ، يأخذون في الاستعداد لإقامة السرادقات وإحضار قارىء ، وكلما غلا سعر القارىء كان هذا دليلا على مكانة الميت ، ومثل هذا في العويل والصراخ ،كلما علا الصوت وطال أمد الحزن

---

١ المرجع السابق ص٤٨

كان هذا تعبيرا أمام الناس أن الميت كان له منزلة ، والدليل هو ما يحدثونه من هذه البدع ، وهذه الأفكار ، أو قل هذه الأوهام سادت عندنا وأصبحت مألوفة في بلادنا ،وأى خروج عنها يكون تقصيرا في حق الميت ،وأهانه له ولأهله فضلا عن إحياء ذكرى الخميس والأربعين ،والذكرى السنوية الأولى والثانية الثالثة الخ ،وما يحدث ويجرى في خلال هذه البدع والضلالات حدث عنه ولا حرج ،فا لا سراف قائم ليرى الناس مدى بذخ وكرم أهل الميت ، وتغير الطعام والشراب ،والملابس ،كل ذلك ينبغي بل –في عرف أهل البدع –أن يظهر جليا أمام الناس ، بل هيئة أهل البت جميعا تتغير لمدة تطول عند قوم وتقصرعند آخرين وفق العادات والتقاليد المتبعة ،والمرسومة والتي وضعها إبليس لهم ،واستقرت عند كثير من الناس ، وبات من الصعب تغير هذه الضلالات ،وهذه البدع وتلك الأساطير الفارغة ،وإذا ناشد المصلحـــون هؤلاء الناس وحاولوا تغيير ما هم فيه ،لم يسمعوا لهم قولا ، ولم يستجيبوا لنداء الحق والعقل ..ومن المعلوم شرعا أن هذه الأمور لا تنفع الميت في شيء بل قد تضره إذا كان قد أوصى بها أو كان من رأيه الرضا بها ، ثم إنها لن ترد قضاء قضاه الله تعالى صحيح أن موت العزيز صعب على النفس البشرية ،ولوعة الفراق لها آلامها ، وبخاصة لو كان الميت ولدا ، لكن هذا لا يجعلنا نفعل أفعالا تؤكد أننا غير راضين بما حكم الله تعالى ،وتلك هي الطامة الكبرى ،لأننا سوف ننحدر إلي درك الخط ،ونتقهقر إلي ما كان عليه أهل الجاهلية إن الله جلت حكمته أعلم بخلقه ،وأرحم بعباده من الوالدة بولدها ،وهو سبحانه أعلم بما يصلح سواء الميت أم أهله ،وله الحكمة البالغة فيما يريد

،ونحن لا ندرك أسرار مشيئته ، فكان قضاؤه أفضل وأعظم مما يتصوره الإنسان ، إن كل هذا ينبغي مراعاته بل يجب ،ولا يستخفنا الشيطان أن نخرج عن تعاليم الإسلام ،ونفعل فعل أهل الكفر والجاهلية القديمة منها والحدثية

الرسول قدوتنا : ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل والقدرة ، فلست أنا ولا أنت أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس ولدى ولا ولدك أفضل من ولد رسول الله صلى الله علية وسلم –إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ولده لكن ماذا فعل في ابتلائه هذا ، جاءت كنت السنة تذكر ونحكى لنا ما يجب علينا اتباعه إن أصابتنا مصيبة-وبخاصة فقدان الولد ، فقد جاء في البجارى "عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال :أرسلت ابنت النبي صلى الله عليه وسلم إليه :أن انبالى قبض ،فأتنا ،فأرسل يقريء السلام ، ويقول :إن لله ما أخذ ،وله ما أعطى ، وكل عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب ، فأرسلت إليه وأقسمت عليه لتأتينها ، فقام ومعه سعد بن عباده ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال ، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع ، قال حسبت أنه قال : كأنها شن ففاضت عيناه ، فقال سعد ، يا رسول الله ما هذا ؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"[1] هذا في ابن بنته ، وفي ولده إبراهيم . جاء في البخاري " عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئرا لإبراهيم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] أخرجه البخاري في الجنائز ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه ١٢٠/٣ .

إبراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأنت يا رسول الله : فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأخرى فقال صلى الله عليه وسلم : إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، و إنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون "[1].قال ابن حجر قال ابن بطال وغيره :هذا الحديث يفسر البكاء المباح ، والحزن الجائز ، وهو ما كان بدمع العين ، ورقة القلب ، من غير سخط لأمر الله وقد أورد ابن ماجه الحديث السابق بلفظ آخر فقال : عن جابر بن عبد الله قال : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فأنطلق به إلي ابنه إبراهيم . فوجده يجود بنفسه ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره فبكي ، فقال له عبد الرحمن : أتبكى ؟ أولم تكن نهيت عن البكاء قال : لا ، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند مصيبة ، وحمش وجوه ، وشق جيوب ، ورنه شيطان ، إنه لا يرحم من لا يرحم ، لولا أنه حق ووعد صدق ، وأنها سبيل لابد منه ، حتى يلحق آخرنا بأولنا ، لحزنا حزنا شديدا ،هو أشد من هذا ، وإنا به لمحزونون ،تبكى العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب "[2] ، " وعن بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال : وجع أبو موسى وجعا ، فغشي عليه ، ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئا ، فلما

---

[1] أخرجه البخاري في الجنائز ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم : إنا بك لمحزونون ١٣٥/٣والقين: بفتح القاف وسكون الياء : هو الحداد ، ويطلق على كل صانع ، يقال قان الشيء إذا صلحه، وقوله ظئرا :بكسر الظاء وسكون الهحزة ،يعني المرضع ،واطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركها في تربية الرضيع غالبا ،انظر فتح الباري ١٣٥/٣،

[2] رواه الترمذي في الجنائز ، ما جاء في الرخصة في البكاء ٣٢٨/٣

أفاق قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله بريء من الصالقه والحالقة والشاقة " وفي سنن النسائى السالقة بالسين ، والرواية تقول " عن صفوان بن محرز قال :أغمي على أبي موسى فبكوا عليه ، فقال : أبرأ إليكم كما بريء إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من حلق ولا خرق ولا سلق " [١]

وفي سنن النسائي "عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينحن ، فقلن يا رسول الله :إن نساء أسعدتنا في الجاهلية ، أفنسعدهن فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا إسعاد في الاسلام [٢] ... هكذا يجب أن نتعلم ونتربى علي ما كان عليه الرسول صلي الله عليه وسلم . ولعلكم أيها القراء الكرام تنشرح صدوركم ، وتطمئن قلوبكم ، وتهدأ نفوسكم ، وترضون بحكم الله تعالي في أولادكم إذا علمتم أن ابراهيم بن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم عندما مات في فترة الرضاعة ولم تكتمل بعد ، فإن رسول الله صلي الله عليه وسلم أخبر بأن له مرضعة في الجنة ، فقد جاء في البخاري " عن عدي بن ثابت أنه سمع البراء رضي الله عنه قال : لما توفي ابراهيم عليه السلام قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إن لـــه مرضعا في الجنة " [٣] بل هناك رواية جاء فيها " قال عمرو بن سعيد : فلما توفي ابراهيم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : إن

---

[١] رواه النسائي في الجنائز ، ما جاء في السلق ٢٠/٤

[٢] رواه النسائي في الجنائز في النياحعه علي الميت ١٦/٤ ، وقولهن اسعدتنا أي : وافقننا علي النياحة ، واسعاد النساء في المناحات هو أن تقوم المرأة فتقوم معها للموافقه والمعاونة علي مرادها ، وكان ذلك فيهن عادة ، فإذا فعلت احداهما بالاخري ذلك فلابد لها ان تفعل بها مثل ذلك مجازاة علي فعلها : وكانت نساءالجاهلية تعسد بعضهن بعضا علي ذلك ، قال الخطابي : الاسعاد خاص في هذا المعني ، أما المساعدة فعامة في كل معونة : فيقال : أنها من وضع الرجل يده علي ساعد صاحبه اذا تماشيا في حاجة . انظر شرح السيوطي لسنن النسائي ١٦/٤ .

[٣] أخرجه البخاري في الجنائز ، باب : ماقيل في أولاد المسلمين ١٩٠/٣ .

ابراهيم ابني وأنه مات في الثدي ، وأن له لظئرين يكملان رضاعه في الجنه " . فهل هذا خاص بسيدنا بإبراهيم ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ! أم هو عام في جميع الرضع من أولاد المسلمين ، أم يكون لإبراهيم بن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ظئرين ، وبقية أولاد المسلمين الرضع لهم ظئر وليس ذلك على الله ببعيد ، وهو أرحم الراحمين ،

رابعا : اطمئن ولدك في كفالة أبي الانبياء:

إن الذي لا شك فيه وهو ما يجعلك فعلاً ترجو موت ولدك لأن ما عند الله تعالى له خير ألف ألف ألف مرة مما هو عندك في الدنيا . وذلك إذا علمت أن ولدك بعد موته سيكون في كفالة أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن في الجنة حتى يعود إليك يوم القيامة ، ودليل ذلك ما يلي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أولاد المؤمنين في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة عليهما السلام حتي يردوهم الي آبائهم يوم القيامة "[١]

لماذا سيدنا ابراهيم :

واختص سيدنا ابراهيم بهذا دون سائر الانبياء لأنه عليه ازكي الصلاة واسلام أبو المسلمين جميعا كما قال تعالي " ملة أبيكم ابراهيم " وهو أولي الناس جميعا كما قال تعالي " إن اولي الناس بابراهيم للذين اتبعوه "[٢] وهو الذي وفى لله تبارك وتعالى " وإبراهيم الذي وفى "[٣]

---

[١] رواه احمد في مسنده ٣٢٦/٢ ، والحاكم في المستدرك ٣٨٤/١ ، وموارد الظمئان ص ٤٥٢ ، والبيهقي في البعث والنشور ص ١٣٦ .

[٢] سورة ال عمران اية ٦٨.

[٣] سورة النجم اية ٣٧

وهو صلى الله عليه وسلم كان وحده أمة " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين "[1] وهو صلى الله عليه وسلم له أوليات كثيرة ، قال مالك عن يحي بن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختتن ، وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا ، فقال: وقار، فقال: يا رب زدني وقارا [2] وهو صلى الله عليه وسلم أول من يكسى يوم الحشر ، فقد جاء في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يحشر الناس عراة غورلا، فأول من يكسى إبراهيم عليه السلام ثم قرأ" كما بدأنا أول خلق نعيده ""[3] وهو الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالكرم وهو خليل الرحمن " واتخذ الله إبراهيم خليلا "[4] ثم هو في أعلى درجات السماء الآن ،فهو في السماء السابعة التي لا ليس بعدها سماء ،مسندا ظهره بالبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون[5] و صلى الله عليه وسلم في منزلة أعلى وأجل عن الشهداء في الجنة كما قال ابن حجر [6] ثم إن الله تبارك وتعالى وصفه في القرآن الكريم ومدحه في مواطن كثيرة منها قوله تعالى " إن إبراهيم لأواه حليم "[7]

---

[1] سورة النحل اية ١٢٠

[2] قصص الأنبياء ابن كثير ص ١٩٠

[3] أخرجه مسلم ، جنة ٥٦ ، والترمذي ، قيامة ٣ ، والنسائي جنائز ١١٨ ، وابن ماجه زهد ٣٣ ، وأحمد في المسند ٢٢/١ ، ٢٢٩ ، ١٩٥/٣ ، والاية في سورة الأنبياء رقم ١٠٤ .

[4] سورة النساء الآية ١٢٥

[5] قصص الأنبياء ، وابن كثير ص ١٨٢ ، دار الأنوار المحمدية بدون .

[6] فتح الباري ٣٧٥/١٢

[7] سورة التوبة اية ١١٤.

معنى الأواه: قال الراغب: كل شيء يقال له : التأوه ، ويعبر بالأواه عمن يظهر خشية الله تعالى [١] وجاء في الفتح الأواه : الرحيم ، وجاء عن طريق عبد الله بن شداد أحد كبار التابعين قال: قال رجل: يا رسول الله ما الأواه ؟ قال: الخاشع المتضرع في الدعاء ، ومن طريق ابن عباس قال: الأواه : الموقن، ومن طريق مجاهد قال: الأواه : الحفيظ ، وهو المنيب الفقيه الموفق ، وهو المسبح ، وقيل : كان إبراهيم إذا ذكر النار قال : أواه من عذاب الله ، وقيل : من التأوه وهو التضرع شفقا ، ولزوما لطاعة ربه [٢] وقد روى أبو يعلى من طريق علي بن رباح قال: أمر إبراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه ، فأوحى الله إليه : أن عجلت قبل أن نأمرك بآلته ، فقال : يا رب كرهت أن أأخر أمرك [٣] وجاء في قصص الأنبياء أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلا ألقى في قلبه الوجل حتى إن كان خفقان قلبه ليسمع من بعد كما يسمع خفقان الطير في الهواء [٤] وههنا للأخذ والحدا من التفاسير دون اختار بينها بل حيثما وقع في يدي وهو الجامع لأحكام القرآن ، وسأذكر الأقوال حول قوله تعالى "أواه" دون ذكر أصحابها للإيجاز فقال: اختلف العلماء في الأواه على خمسة عشر قولا : أنه الدّعاء الذي يكثر الدعاء و أنه الحليم بعباد الله ، وأنه الموقن ، وأنه المؤمن بلغة الحبشة ، وأنه المسبح الذي يذكر الله في الأرض القفر الموحشة ، وأنه الكثير الذكر له تعالى ، وأنه الذي يكثر التلاوة ، وأنه

---

١ المفردات ص٣٢

٢ فتح الباري ، ابن حجر ٢٩٩/٦ ، ٣٠٠.

٣ فتح الباري ، ابن حجر ٣٠١/٦

٤ ابن كثير ص ١٨٢ في قصص الأنبياء.

المتأوه من النار ، وأنه الفقيه ، وأنه المتضرع الخاشع وأنه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها وأنه الكثير التأوه من الذنوب ، وأنه المعلّمْ للخير ، وأنه الشفيق، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الأواه لشفقته ورأفته ، وأنه الراجع عن كل ما يكره إلى الله تعالى ، وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوتا من تنفس الصعداء ، وكان إبراهيم عليه السلام إذا قام يصلي سُمع وجيب قلبه [١]

معنى الحليم : أما صفة الحلم التي وردت في قوله تعالى في شأن سيدنا إبراهيم "إن إبراهيم لأواه حليم " وجاء مرة ثانية في القرآن الكريم في شأنه أيضا وذلك في قوله تبارك وتعالى " إن إبراهيم لحليم أواه منيب " وصفة الحلم جاءت أسما من أسماء الله تعالى" في الذكر الحكيم في إحد عشر موضعا :منها أربعة مواضع سبقت باسم الغفور وثلاث مرات سبقت باسم العليم ،مرتين جاء عقب صفة الحلم صفة الغفور ،مرة واحدة سبقت بإسم الغنى ، مرة واحدة سبقت بإسم العليم ولكل موضع من هذه المواضع مناسبة ومعنى وعلاقة الآية بما قبلها وما بعدها كل ذلك يخالف كل ما عداه ،ولو أضيف إلى تلك الصفة السابقة أو اللاحقه لصفة الحلم ،لكان لذلك معانى دقيقة وغاية في الروعة والجمال ،هذا بالنسبة لصفة الحلم بالنسبة لله جل جلاله ،هذا والحليم في صفة الله عز وجل معناه :الصبور ،وكذا معناه :أنه الذي لا يستخفه عصيان العصاه ،ولا يستفزه الغضب عليهم ،ولكنه سبحانه جعل لكل شيء مقدار فهو منته إليه[٢] أما صفة الحكم التي وردت في

---

[١] الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبي ٣٢٠١/٤.
[٢] انظر لسان العرب ، ابن منظور ٩٨٠/٢ .

شأن سيدنا شعيب نبي الله في قول قومه له كما ذكر القرآن الكريم " قالو يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد "[١] قال الأزهري : جاء في التفسير أنه كناية عــن أنهم قالوا : إنك لانت السفيه الجاهل ،وقيل :إنهم قالوه على جهة الاستهزاء يا حليم ،أي أنت عند نفسك حليم ،وعند الناس سفيه [٢] وجاء صفة الحليم صفة لسيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم تزكية من الله تعالى له وذلك في قوله تبارك وتعالى " فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين . وقال إني ذاهب إلي ربي سيهدين .رب هب لي من الصالحين . فبشرنا بغلام حليم " [٣] وعلي هذا فسيدنا اسمَاعيل يطلق عليه الحليم بن الحليم بقي الموضعان الذين سبقا صفة ، وتزكية من الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام . فتكون لفظة الحليم جاءت في القرآن الكريم كله في خمسة عشر موضعا [٤]

والحلم : الأناة والعقل ، وهو نقيض السفه ،وهو التثبت في الأمور ،وهو شعار العقلاء [٥] **وقال الحسن البصري : حد الحلم هو : ضبط النفس عند هيجان الغضب** [٦]**. والحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب ، لما فيه من سلامة العرض ،وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد** [٧]

أسباب الحلم : قال الحسن البصري : أسباب الحكم الباعثة علي ضبط النفس عشرة :

---

[١] سورة هود الاية ٨٧ .
[٢] انظر لسان العرب ابن منظور ٩٨٠/٢ .
[٣] سورة الصافات الايات ٩٨ : ١٠١
[٤] انظر المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم ص ٢١٦ .
[٥] انظر لسان العرب ٩٨٠/٢ .
[٦] ادب الدنيا والدين ، الحسن البصري ص ٢٥٠ ، المطبعة الأميرية ١٣٢٩ هـ /١٩١١ م ، ط سادسة .
[٧] المرجع السابق ص ٢٤٩ .

أحدها : الرحمة للجهال .قال أبو الدرداء لرجل أسمعه كلاما يا هذا ل اتغرقن في سبنا ودع للصلح موضعا ،فإنا لانكافيء من عصا الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه ....وشتم رجل الشعبي فقال :إن كنت كما قلت فغفر الله لي ،وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك ..

والثاني : القدرة على الإنتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة ... وقال بعض البلغاء : أحسن المكارم : عفو المقتدر ، وجود المفتقر

والثالث : الترفع عن السباب ، وذلك من شرف النفس ،وعلو الهمة ...

والرابع من أسبابة : الإستهانة بالمسيء ... وقد أكثر رجل من سب الأحنف به قيس وهو لايجيبه ، فقال : والله ما منعه من جوابي إلاهوانى عليه ... واسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه ،فقال له :إياك اعني ، فقال له : وعنك أعرض ... وقال عمرو ابن على :

إذا نطق السفيه فلا تجـــبه فخيرمــــــــن إجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن أني عييت عن الجواب وما عييت .

والخامس : من أسبابه الإستحياء من جزاء الجواب ، وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة .... والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته، وقال بعض الأدباء ما أفحش حليم ولا أوحش كريم .

والسادس: التفضل على السباب، فهذا يكون من الكرم ، وحب التألف وقد حكى عن الأحنف بن قيس أنه قال : ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى مني عرفت قدرة ، وإن كان دوني رفعت قدري عنه ، وإن كان نظيري تفضلت عليه .

والسابع : استنكاف السباب وقطع السباب ،وهذا يكون من الحزم كما حكى أن رجلا قال لضرار بن القعقاع :الله لوقلت واحدة لسمعت عشرا

فقال له ضرار : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة . وقيل إن علي بن أبى طالب رضي الله عنه قال :لعامر بن مرة : من أحمق الناس ؟ قال من ظن أنه أعقل الناس قال : صدقت فمن أعقل الناس ؟ قال : من لم يتحاوز الصمت في عقوبة الجهال ، وقال الشعبي : ما أدركت أمي فابرها ، ولكن لا أسب أحدا فيسبها . وقيل : في إعراضك صون أعراضك .

والثامن : الخوف من العقوبة على الجواب وقد قيل الحلم حجاب الآفات

والتاسع : الرعاية ليد سالفة ، وحرمة لازمة ، وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد ... وقد قيل :أكرم الشيم أرعاها للزمم .

والعاشر : التدبر وتوقع الفرص الخفية . وقد قيل : من ظهر غضبة قل كيده ، فهذه عشرة أسباب تدعو إلي الحلم ، وبعض الأسباب أفضل من بعض ، وإن عرا عن أحد هذه الأسباب كان ذلا ولم يكن حلما ، فإذا فقد الغضب لسماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس ، وقلة الحمية ، وقد قال الحكماء : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلا في العسرة ، والشجاع إلا في الحرب ، والحليم إلا في الغضب ، ولذا قال الشاعر

من يدعى الحلم أغضبه لتعرفه : لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب ومن فقد الغضب في الأشياء المغضبة حتى استوى حالتاه قبل الإغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والأنفة والحمية والغيرة والدفاع والأخذ بالثأر ، لأنها خصال مركبه من الغضب ،فإذا عدمها الإنسان هان بها ، ولم يكن الباقي فضائله في النفوس موضع : ولا لوفور حلمه في القلوب موقع ... وعند بعض الحكماء : العفو يفسد

من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وليس هذا القول إغراء تحكم الغضب والإنقياد إليه عند حدوث ما يغضب ،فيكسب بالإنقياد للغضب من الرذائل أكثر مما يكسبه عدم الغضب من الفضائل ... وهذا التدبير إنما يستعمل فيما لايجد الإنسان بدا من مقارنته ،ولا سبيل إلي إطراحه ومتاركته ،إما لخوف أوللزوم أمره ، فأما ما أمكن اطراحه ، ولم يضر إبعاده فالهوان به أولى ، والإعراض عنه أصوب ..فينبغي لذي اللب السوي ، والحزم القوى أن يتلقي قوة الغضب بحلمه ، فيصدها ، ويقابل عوادي شرته بحزمه فيردها ليحظى بانجلاء الحيرة ، ويسعد بحميد العاقبة

الفرق بين الغضب والحزن : وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها ،وسبب الحزن :هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها ،والغضب يتحرك من داخل الجسد إلي خارجه ،والحزن يتحرك من خارج الجسد إلي داخله فبذلك قتل الحزن ، ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن ،وصار الحادث عن الغضب السطوة والإنتقام ،والحادث عن الحزن المرض والاسقام لكمونه ، ولذلك أفضني الحزن إلي الموت ،ولم يفض إليه الغضب **عوامل تسكين الغضب :** ولتسكين الغضب إذا هجم أسبابا يستعان بها على الحلم منها : أن يذكر الله تعالى فيدعوه ذلك إلى الخوف منه عز وجل ، ويبعثة الخوف منه على الطاعة له فيرجع إلي أدبه ...ومنها أن ينتقل عن الحالة التي هو منها إلي حالة غيرها ، فيزول عنه الغضب بتغير الأحوال ... ومنها أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام ، ومنها : أن يذكر ثواب العفو وحسن الصفح رغبة في الجزاء والثواب ،ومنها :أن

يذكر انعطاف القلوب عليه ، وميل النفوس إليه ، فلايرى اضاعة ذلك بتنفير الناس عنه وبعدهم منه ، فيكف عن متابعة الغضب فيرغب في التألف وجميل الثناء ،وليس من عادة الكرام سرعة الانتقام [1]

حلمك على ولدك أم حلم إبراهيم :

الحديث عن الحلم ليس هذا نهايته كما أنه ليس هذا مكانه ، ومهما قال الحكماء عن الحلم وعن أسبابه ودوافعه ونتائجه ومثبطاته ، ومهما كان هناك حليما في دنيا البشر فلن يبلغ واحدا في المليون من حلم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،وإذا زكى العلماء والحكماء والأدباء بعض الأفراد لحلمهم ،لما شاهدوه وعاينوه أو سمعوا به فلن يبغلوا درجة واحدة من ملايين الدرجات عندما يصف رب العرة سيدنا إبراهيم بالحلم ،فحلم حلماء البشر كل البشر لن يبغلوا ذرة من حلم أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذلك بعد أن زكاه ربه جل شانه ووصفه مرتين في الذكر الحليم بأنه حليم .فإذا كان ذلك كذلك فسيدنا إبراهيم جدير بأن يكون كفيلا عنك في كفالة ولدك الذي أصبت به واحتسبته عند الله تبارك وتعالى ، إذن فلتقر عينك ، وليطمئن قلبك ، فلوعاش ولدك فلن ترعاه مثل رعاية سيدنا إبراهيم له ، ولو ملكت قصور الدنيا ،وامتلكت حدائقها وبساتينها وأنهارها وخزائنها فلن تستطيع أن تمتع ولدك ، كما تمتع مع سيدنا إبراهيم في أعلى درجات الجنة ، يتنعمون ويمرحون في رباضها حتى يأتي يوم القيامة ،فينطلقون إلي آبائهم

---

[1] انظر ادب الدنيا والدين الحسن البصري ص ٢٤٩ وما بعدها بتصرف . وانظر : صفة الحلم عند الغزالي في احياء علوم الدين ١٥٣/٣ وما بعدها ، عالم الكتب .

وأمهاتهم ويدخلونهم الجنة بسبب احتسابهم وصبرهم ورضاهم وتسليمهم بأمر الله تبارك وتعالى

زيادة الأدلة تفيد اليقين : وتأكيدا لما سبق ، ولزيادة الأدلة لتسكين الأفئدة نذكر بعض الأحاديث والآثار، فقد جاء صحيح البخاري في حديث طويل ما يؤكد كل المعاني السابقة اقتبس من الحديث النص الذي نحن بصدده " فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول لاصحابه :هل رأى أحد منكم من رؤيا ؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص ، وإنه قال ذات غداة إنه أتاني الليلة آيتان وانهما ابتعثاني قالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما... فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نوّر الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طويلا في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم ،قال : قلت لهما : ما هذا ؟ ما هؤلاء ؟ قالا لي : انطلق – وعند التأويل والتعبير قال – وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ، قال :فقال بعض المسلمين : يا رسول الله وأولاد المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين[١] " وقال السيوطى بعد ذكره الحديث (وفي لفظ ابن عساكر ، قلت أخبرني عند الروضة ، وقال : أولئك الأطفال وكل بهم إبراهيم يربيهم إلى يوم القيامة)[٢] وقال ابن حجر (ووقع في حديث أبي أمامه : ثم انطلقنا فإذا نحن بجوار غلمان يلعبون

---

[١] اخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ١٢/ ٣٦٨ واخرجه في الجنائز ١٩٥/٣ .

[٢] فضل الجلد عند فقد الولد ص ٦١ .

بين نهرين ،فقلت :ما هؤلاء ؟قال ذرية المؤمنين) [1] وعند الحاكم والطبراني في الحديث " ثم انطلق بي حتى أشرفت على غلمان يلعبون بين نهرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قال ذرارى المؤمنين يحضنهم أبوهم إبراهيم عليه السلام) [2] ... (وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير أنه سئل عن أولاد المؤمنين، قال : هم مع خير آبائهم ، إن كان الأب خيرا من الأم فهو مع الأب ، وان كانت الام خيرا من الاب فهو مع الأم) [3] .. (وأخرج ابن أبي الدنيا في العزاء عن ابن مسعود قال: أطفال المسلمين ملوك يخدمون في الجنة) [4] (وأخرج ابن النجار في تاريجه عن عبد الله بن مسعود قال : أطفال المشركين خدم أهل الجنة ، وأطفال المسلمين ملوك على الأسرة مع آبائهم في الجنة يخدمون) [5] وهذا فرق بين أطفال المسلمين وأطفال المشركين ، والله أعلم

ومما يزيدك أيها المحتسب رضا وطمأنينة، بل بهجة وسرور ما (أخرجه بن أبي حاتم عن ابن مسعود قال . إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها ،وأما أرواح ولدان المؤمنين ففي أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت) [6] ،(وأخرج ابن أبي الدنيا في العزاء عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد في الإسلام فهو في الجنة شبعان ريان ، يقول :يارب أورد

---

[1] فتح الباري ، بن حجر ٣٧٤/١٢ .
[2] الطبراني والمستدرك ٣٨٤/١ ، وفضل الجلد ص ٦١ .
[3] فضل الجلد ص ٦٣ ، وحلية الاولياء ٢٨٢/٤ .
[4] فضل الجلد ص ٦٣ ، والجامع الصغير ٢٩/٢ .
[5] انظر المرجعين السابقين الصفحات نفسها
[6] المرجع السابق ص ٥٨ ، والحديث في السنن الكبري ١٦٣/٩ ، وفي الحلية ٣٨١/٥ .

عليَّ أبواي)[١] (وأخرج ابن أبى الدنيا عن الحسن قال :قال رسول الله صلى الله علية وسلم سعادة بالمرء أن يستيقن أن بضعة من لحمه في الجنة)[٢]،واختتم هذا الموضوع بخير ختام وهو خير الكلام ، من سيد الأنام ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد " أخرج الطبراني عن عبد الله ابن عمر : أن رجلا من الانصار كان له ابن يروح معه اذا راح الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال له النبي صلي الله عليه وسلم : اتحبه ؟ قال نعم ، فلم يلبث أن مات ، فراح الي النبي صلي الله عليه وسلم وقد أقبل و عليه بثه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أجزعت ؟ قال نعم ، قال أو ما ترضي أن يكون أبنك مع ابني إبراهيم ، يلاعبه تحت ظل العرش : قال : بلى يا رسول الله)[٣] فيا أيها الثكالي ، ويا من فقدتمم حبيبكم أيا كان ،وبخاصة لو كان أبنا ،هل رضيتم بما أعده الله تبارك وتعالى لكم عند احتسابكم أولادكم ،وهل بعد هذا العطاء عطاء ،وبعد هذا العزاء عزاء ، وهل بعد هذه الرحمة رحمة وهل بعد هذا الكرم كرم ، إن الله تبارك وتعالى هو الذي أعطاكم الولد إذا فالمعطي هو الله تعالى ، وهذا فضل منه تعالى ، فإذا أراد أخذ ما أعطاه لكم فلا ينبغي الضجر ،لأنه سبحانه أخذ ما أعطي ، ثم في حالة أخذه ابح لك أن تزرف الدمع وأباح لك أن تحزن في قلبك ، وأباح لك الكلام بما يرضي الله تعالى ،ولم يكبتك أو يكتمك حتى لا تصاب بأمراض الهم والغم والكبت ، والصراع النفسي ،ثم بعد ذلك عوضك خيرا ،فولدكم في عناية الله تبارك وتعالى وتحت كفالة أبوكم إبراهيم

---

[١] فضل الجلد ص ٥٨ .

[٢] المرجع السابق ص ٥٨

[٣] المرجع السابق ص ٥٨ . وقال المحقق ، رواه النسائي . وفي المسند ٤٣٦/٣ عن قرة بن إياس .

بتكليف من الله عز وجل ، ويرتع في الجنة حيث يشاء وفي أعلى درجاتها مع أبيكم إبراهيم ،وهو ينادى ربه ويقول :رب أورد على أبوای ،ثم أن فقد الولد ،لا يكون منفعة وخيرا ونعيما وملكا كبيرا له فقط ،بل لك أنت أيضا أيها المحتسب ، أتريد أن تفوز بهذا ،أم تريد أن تفقد ولدك ، وتفقد أجرك ، العاقل المسلم الفطن يختار ؟ وهل أدركنا الآن بعمق دلالة قول سيدنا صلة بن أشيم لولده : تقدم يا ولدى لتقتل في سبيل الله لأحتسبك عند ربي ، وهل بعد قراءة الكلام سوف تعمل به إذا فقدت حبيبا من أحبابك ، أو ولدا من أولادك وهل ستضرب بعرض الحائط تلك السخافات الجاهلة والبدع الضالة المضللة ، والعادات والتقاليد البالية ، والخرافات والأساطير الموروثة القديمة الشيطانية ، وهل بعد ذلك ستلطم الخد وتشق الجيب وتغير من ملابسك وطعامك وهيئة بيتك ، ونظام أسرتك ، وتدعو بدوى الجاهلية مثل : يا سندي ، من لنا بعدك ، كنت في حاجة إليك ،الخ هذه الأقاويل التي لن تقدم شيئا ،ولن تمنع قضاء الله وقدره هل ستعمل سرادق وتأتى بكبار المشايخ وتصرف مالا ربما ليس لك فيما لاطائل من ورائه إلا العوز والدين ، وزيادة الفقر ، وهل ستعمل الخميس والأربعين والسنوية هل ستدرك عواقب الأمور ، وتوصى بعدم فعل شيء من هذا ، هل بعد قراءتك هذه ، ستعلن بكل قوة ويقين أن الخير كل الخير في الإتباع والشر كل الشر في الابتداع ، وتذيع امام الناس كل الناس حكم الشرع في كل مكان..... بمعنى هـــل ستعمل بالشرع في مثل هذه الأحوال ، ثم تصبح داعية لخلع هـــذه الجهالة وتنقية بلادنا من هـــــذه الأباطيل ،غرس وزرع شرع ربنا ، وإعلانه ، والإعلان عـــــــن

جمالة ونقائه ،وعظمته وسخائه ، وكيف عالج المبتلى المحتسب . أسأل

الله تعالى لي ولك الهداية والسداد .

المبحث الثامن

معاذة العدوية

وفيه

أولا : اسمها وشيوخها

ثانيا : تلاميذها

ثالثا : ثناء العلماء عليها

رابعا : عبادتها

خامسا: تعزية النساء لها

سادسا : كانت مجابة الدعوة

سابعا أم الصهباء وحسن الخاتمة

من المفيد في النزهه أن أنتقل بالقراء الكرام إلى روضة فيحياء أخرى حتى تكتمل تلك الرحلة المباركة ، والسياحة النافعة ، ونعيش سويا دقائق معدودة ، مع صفحات قليلة ، مع السيدة الفاضلة زوجة سيدنا صلة ، نتعرف من خلالها حول دورها البارز في حياة زوجها التي وقفت بجانبه ، تشد من أزره ، وتشحذ همته ، وتعاونه بروحها، وسلوكها ، ليمضيَّ الأثنان سويا إلى شاطىء الأمان ، ويفوزا بالرضوان من رب رحيم رحمن ، ولتضرب المثل الرفيع والقدوة الصالحة أمام نسا ء العالمين في الزهد ، والورع ، والعبادة والإخلاص ، والطهر والعفاف ، ولتكن داعية من الطراز الممتاز ، قلما يجود الزمان بمثلها ...ولنبدأ من البداية

أولا إسمها وشيوخها :

ذكرت كتب السير والتراحم المتعددة أن اسم زوجة سيدنا صلة بن أشيم هي: معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية أم الصهباء ... وكانت بنت عمه[١]

شيوخها : تتلمذت أم الصهباء على أيدي أستاذة من أجمل أساتذة الدنيا ، وليس لها نظير في دنيا النساء ، إنها السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخلت عليها وأخذت عنها ، وتعلمت وتربت في مدرستها ،كما تتلمذ وروت عن الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو من هو في

---

[١] انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٥٠٨/٤، ورقم الترجمة ٢٠٠ وانظر :تهذيب التهذيب ،ابن حجر ١٢ /٤٧٩ ط أولى ،دار الفكر ١٤٠٤ /١٩٨٤م ورقم الترجمة ٢٨٩٥. والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبى فرج بن الجوزى ٢٥٤/٦ ،دار الكتب العلمية

الفقه والعلم بجميع فروعه ، وروت أيضا عن هشام بن عامر ، وكذلك أم عمرو بنت عبد الله بن الزبير ، وغيرهم كثير[١]

ثانيا : تلاميذها :

تعلمت السيدة معاذة العدوية ، وتربت على يد هؤلاء وامتلأت ريا من العلوم والمعارف المتعددة ، فجاء إليها الناس من كل صوب وحدب ليتلقوا على يديها العلم فتروى كتب السير والتراجم أن عددا كبيرا من الذين تتلمذوا عليها ورووا عنها أذكر منهم : أبو قلابه الجرمى وعاصم الأحول [٢] وعمر بن ذر[٣] وأم الحسن جدة أبي بكر العدوى [٤] ويزيد الرشك وإسحاق بن سويد ، وابن سعيد أيوب السختياني ، وسليمان بن عبد الله البصري وقتادة [٥]

---

١ انظر :المراجع السابقة الأجراء والصفحات نفسها ،وكذلك شذدات الذهب ١ /١٢٢ وتهذيب الكمال ١٧٠٥ والطبقات الكبرى ابن سعد ٤٨٣/٨ ،دار صادر بيروت والسيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ،والإمام على بن أبي طالب أشهر من أن يعرف بهما وهشام بن عامر بن أمية الأنصار روى عن النبي صلى الله علية وسلم ،وحدثة عند مسلم ،أخرج ابن المبارك في الزهد من طريقه جعفر بن زيد قال :خرجنا في غزوة إلى كابل ،وفي الجيسن صلة بن أشيم فذكر قصة فيها :فحمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعنا وخربا وقتلا يعني في الأعداء فقال العدو :رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا ،فانهزموا فقيل لأبي هريرة إن هشام بن عامر ألقي بيده إلى التهلكة ؟فقال أبو هريرة :لا ولكنه التمس هذه الأية "ومن الناس من يشرى نفسه ابتفاء مرضات الله "سوره البقرة ايه ٢٠٧ ويقال كان نزيل البصرة ،عاس إلى زمن يلد "الإصابة ،ابن حجر ٦٠٥/٣ ترجمة رقم ٨٩٦٨ ،دار الفكر ،بيروت ١٣٩٨ ...أما أم عمرو بلت عبد الله بن الزبر بن العوام الأسدية ،من الطبقة الرابعة ،روت عن أبيها عن عمر في لبس الحرير ،وعنها معاذة العدوية ،قال ابن سعد :ولد لعبد الله بن الزبير خمس :رقية وفاطمة وفاخنة وام حكيم ولم يذكر الخامسة فلعها هي ،انظر :تهذيب التهذيب ٦/ ٦٣١ ،رقم الترجمة ١٢١١٥.

٢ -وهو عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري ...روى عن انس وعبد الله بن سرجس ،وعمرو بن مسلمة الجرمى ،ذكره بن عمار في موازين أصحاب الحديث وقال ابن المديني مرة :ثلث ،وقال ابن سعد :كان من أهل البصرة ،كان يتولى الولايات فكان بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان ،مات سنه إحدى أوثثين أو ربعين ومائة .انظر تهذيب التهذيب،وابن حجر ٣٢/٣ /٣٣ ترجمة رقم ٣٤٤٧٠

٣ - هو ابن عبد الله ابن زراه الهحداني المرهبى الكوفي ،روى عن ابن وسعيد بن خبير ،ومجاهد ابن جبر ،وروى عنه ابان بن تغلب وهو أكبر منه ،وأبو حنيفة وهو من أقرانه توفي النسائي والدار قطني العجلى :وكان ثقة بلغيا صدوقا وكان يرى الأرجاء توفي سنه ١٥٣ انظر المرجع السابقة ٢٧٩/٤ تر حمة رقم ٥٦٣٣.

٤ أم الحسن جدة أبوبكر العدوي روت عن معاذة العدوية عن عائشة وعنها عبد الوارث بن سعيد ، انظر : المرجع السابق ٦٢٣/٦ ترجمة رقم ١٢٠٨٠.

٥ -انظر :تهذيب التهذيب ،ابن حجر ١٢/ ٤٧٩٠

٦ - انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٧٩٠

٧ -الذهبي ٥٠٨/٤٠

٨ -انظر :المنتظم في تاريخ الأمم ٢٥٤/٦٠

ثالثا : ثناء العلماء عليها :

ذهب الأفاضل والثقات من السادة العلماء أصحاب التراجم إلى الثناء على السيدة معاذة العدوية لما لها من فضل وأثر في الدعوة إلى الله تعالى اذكر منهم : قال ابن أبي مريم عن معين أنها ثقة حجة ،وذكرها ابن حبان في الثقات [١] وقال صاحب سير أعلام النبلاء : حديثها محتج به في الصحاح ، ووثقها ابن معين [٢] وقال عنها ابن الجوزى مثل ذلك [٣] وقال عنها الذهبي مرة أخرى معاذة بنت عبد الله السيدة العالمة أم الصهباء العدوية البصرية العابدة ، زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم ... وثقها ابن معين [٤] وهناك ثناء جميل ورائع من جم كثير من السادة العلماء على السيدة النبيلة معاذة النابعية الزاهدة رضوان الله تعالى عليها [٥] وأجمعوا على ثقتها وزهدها وعبادتها وتقواها ،وصبرها ،وخشيتها لله تعالى ،ورضاها بقضاء الله تعالى وقدره ،واحتسابها زوجها وولدها -كما سيأتى حالا -ونقاء ذيلها ،وما تركته من أثار علميه عملية وكانت من النساء العالمات الداعيات إلى الله تعالى وضربت أروع المثل في العبادة والصبر ،وقوة الإيمان أمام النساء جميعا .

رابعا : عبادتها :

كانت السيدة معاذة شغوفة بالعبادة لله رب العالمين وبخاصة في الصلاة ، لا بالفرائض فحسب بل بالتهجد ،وكثرة السجود لله رب

---

[١] انظر تهذيب التهذيب ٤٧٩/١٢

[٢] الذهبى ٥٠٨/٤

[٣] انظر النتظم في تاريخ الأمم ٢٥٤/٦

[٤] انظر سير الاعلام ٢٠٥/٤ رقم الترجمة ٢٠٠

[٥] انظر : الطبقات لابن سعد ٤٨٣/٨ ، وتهذيب الكمال ص ١٧٠٥ ، وشذرات الذهب ١٢٢/١

العالمين وذلك من ورعها وخشيتها لله الواحد الأحد ،وبذلت كل جهدها في الوصول إلى مرضاة ربها ، وأخذ العلماء يسجلون لها طرفا من عبادتها فكانت قدوة أمام غيرها وبخاصة[1] من النساء .قال الذهبي (كانت تحي الليل عبادةِ ، وكانت تقول : عجبت لعين تنام ، وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور)[2] وقال ابن حجر (أنها لم تتوسط فراشا بعد استشهاد أبي الصهباء حتى ماتت)[3] وقال ابن وقال ابن الجوزى[4] كلاما مثل ما سبق عن عبادتها ولقد سبق وذكرت عبادتها ليلة عرسها ..

خامسا : تعزية النساء لها :

سبق القول باستشهاد ولدها وزوجها في إحدى المعارك التي خاضها المسلمون ضد أعداء الإسلام ، وقد قال سيدنا صلة ساعتها : تقدم يا ولدى لأحتسبك عند الله تعالى وتقدم الإبن واستشهد أمام أعين والده ، ثم تقدم صلة واستشهد هو الأخر ، وقد بينت ثواب المحتسب . وهاهي الأم والزوجة السيدة معاذة تتلقى نبأ استشهاد ولدها، وزوجها في يوم واحد.. تلقت الصدمة، وقد ذرفت عينيها بالدموع ، وحزن قلبها ، ولكنها احتسبتهما عند الله تعالى ، واستقبلت القضاء والقدر بالرضا والصبر ، بعد أن مات الولد ، ومات الزوج ، وإذا بنساء الحي يسمعن النبأ بمقتل ابن معاذة وزوجها في وقت واحد ، إذن المصيبة

---

١ انظر :سير ٢٠٥/٤ رقم الترجمة ٢٠٠

٢ انظر الطبقات لإبن سعد ٤٨٣/٨ ،وتهذيب الكمال ص ١٧٠٥ / ،وشذرات الذهب ١٢٢/١ .

٣ سير أعلام النبلاء ٥٠٨/٤ .

٤ سير أعلام النبلاء ٥٠٨/٤

٥ تهذيب التهذيب ، ابن حجر ٤٧٩/١٢

٦ تهذيب التهذيب ،ابن حجر ١٢ /٤٧٩ .

٧ انظر :المنتظم في تاريخ الأمم ٢٥٤/٦ .

جلل ، والحدث ضخمم ، فأجمعن الذهاب إليها لتقديم العزاء ، وتقديم بعض الكلمات التي تهون عليها تلك المصيبة – فماذا فعلت ؟ وماذا قالت لهم ،مواقف نادرة :جاء في كتب التراجم (لما استشهد زوجها – يعني زوج معاذة –وأبنها في بعض الحروب ،اجتمع النساء عندها ،فقالت :مرحبا بكن إن كنتن جئتن الهناء ،وإن كنتن جئتن لغير ذلك فأرجعن [١]) موقف نادر ،وعظيم ينبىء عن إيمان راسخ وقلب مربوط بالولاء لله مالك الملك ، أردن النساء تعزيتها فأرادت منهن التهنئة . ولا شيء غير التهنئة وإذا كان هناك غير ذلك فلن تقبله بحال من الأحوال . فمن من النساء الآن تعمل مثل عملك هذا يا سيدة يا فاضلة يا صابرة يا مؤمنة ...لكن سقت المثل ، وأصبحت قدوة لمن أرادت سبل الرشاد ...

سادسا : كانت السيده معاذة مجابة الدعوة :

كانت السيدة معاذة رضي الله عنها مجابة الدعوة لما كان بينها وبين الله من صلات :ذكر وصلاة وتهجد وصيام ،وزهد وحج ونصح وعلم وتربية ،وعطف على الفقراء والمساكين ،وبر بزوجها وحنان على ولدها ،مطيعة لربها ،مأكل حلال ،ومشرب حلال ،قانعة بما رزقها الله تعالى ،ومما تذكرة الكتب عن دعائها المستجاب جاء في تهذيب التهذيب (روينا في فوائد عبد العزيز المشرقي بسند له عن أبي : اشتكيت بطني ،فوصف لي نبيذ الجر ،فأتيتها منه بقدح ،فوضعة ، فقالت :اللهم إن كنت تعلم أن عائشة حدثتني أن النبي صلى الله علية وسلم نهى عن نبيذ الجر ، فأكفنيه بما شئت ، قال : فانكفأ القدح ،

١ سير أعلام النبلاء الذهبي ٥٠٨/٤، وانظر :المنتظم في تاريخ الأمم ابن الجوزى ٦/ ٢٥٤.

واهريق ما فيه ، وأذهب الله تعالى عنها ما كان بها)[١] الله أكبر . الله أكبر ، انكفأ القدح بأمر ربه ، وأهريق ما فيه ، وبرئت معاذة بأمر الله تعالى دون اللجوء إلى هذا المشروب رغم الضرورة ...

حسن الخاتمة :

إن من أجل نعم الله تبارك وتعالى وفضله ورحمته بعبده ، هو أن يغادر العبد دنياه ويودعها وداعا لا لقاء بعده ، وقد أدرك حسن العاقبة عند مولاه عز وجل ، هنا يدرك أن تجارته مع ربه طوال عمره كانت تجارة رابحه ، فيقدم على الآخرة وهو مستبشر مطمئن فرحا مسرورا . ومن حكمة الله عز وجل أن جعل الجزاء من جنس العمل ، فالذي يعمل الأعمال ابتغاء وجه ربه كانت له الجنة في الآخرة وكانت له بشارات قبل مفارقته دنياه بحسن العاقبة .. والذي يعمل الأعمال ابتغاء الهوى والشيطان ، وعصيان الرحمن ،كانت له النار في الآخرة ، وكانت له بشارات قبل مفارقته دنياه بسوء العاقبة والعياذ بالله

ولقد ساق القرآن الكريم جملة من الآيات الكريمات في ذكر حسن الخاتمة ،ولقد سبحت السنة المطهرة في هذا أيضا سبحا طويلا .ولقد ذكرت بعض الآيات وبعض الأحاديث دون فضل بينهما في هذا الموضوع غالبا لأن الفصل بين القرآن والسنة هنا في غاية الصعوبة ، لأن السادة المفسرين عند تعرضهم لتفسير آية من الآيات التي تتعرض لذكر حسن الخاتمة :يعقبون عليها بذكر بعض الأحاديث التي توضح الآية ، وهذا تفسير بالمأثور ...وهم على صواب في هذا المنحي ، إذ أن مثل هذه الأمور من الغيبيات ،ولا مجال للعقل فيها ،وهال جملة من

١- تهذيب التهذيب ،ابن حجر ١٢ /٤٧٩.

الآيات والأحاديث التي تتناول حسن الخاتمة يقول الله وتعالى " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين أمنوا وكانو يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم "[١] ولقد سبق بيان من هو الولي،وبعض صفاته والتي يستحقه بسببها تلك البشارات .والذي أود التركيز عليه هنا :هذه البشارات التي تتجلى للعبد المؤمـــــن قبل أن يفارق دنياه فقوله تعالى :" لهم البشرى في الحياة الدنيا " .. " فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قـــال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها – أي البشرى – فقال : ما سألني أحد عنها غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له "[٢] وقال القرطبى عن البشرى في هذه الآية (قال الزهري وعطاء وقتادة : هي البشارة التي تبشر بها الملائكة المؤمن في الدنيا عند الموت ، وعن محمد القرظى قال : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال :السلام عليك ولي الله ، الله يقرئك السلام ، ثم نزع بهذه الآية "الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم "[٣] وذكره ابن المبارك ،وقال الضحاك وقتادة كذلك :هي أن يعلم أين هو من قبل أن يموت ، وقال الحسن هي ما يبشرهم الله تعالى في كتابه من جنته وكريم ثوابه ، لقوله تعالى "يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان " وقوله تعالى :" وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات " وقوله عز وجل "وابشروا

---

١ سورة يونس الايات ٦٢ : ٦٤
٢ رواه الترمذي
٣ سورة النحل اية ٣٢
٤ سورة التوبة أية ٢١
٥ سورة البقرة اية ٢٥

بالجنة التي كنتم توعدون "ولهذا قال: " لا تبديل لكلمات الله "أي لا خلف لمواعيده ، وذلك لأن مواعيده بكلماته ،وقوله "في الآخرة "قيل الجنة إذا خرجوا من قبورهم ،وقيل إذا خرجت الروح بشرت برضوان تعالى ..." ذلك الفوز العظيم " أي ما يصير إليه أولياؤه فهو الفوز العظيم) وبعد أن ذكر ابن كثير بشرى المؤمن في الدنيا ، دلل عليها بكثير من روايات الحديث السابق ، وبعد أن ذكرجمعا من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم أنهم جميعا فسروا البشرى في الحياة الدنيا للمؤمن بالرؤيا الصالحة ، قال (وقيل المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم " [1] وفي حديث البراء رضي الله عنه " أن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب ، فقالوا : أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان ، فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء " وأما بشراهم في الآخرة[2] فكلما قال تعالى " لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون " [3] وقال تعالى " يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى

---

١ سورة فصلت الايات ٣٠ :٣٢ .
٢ سورة الحديد الآية ١٢ .
٣ تفسير القران العظيم ٢/٤٢٢، ٢٣
٤ أخرجه بالبخاري في التغير ،باب :المبشرات ٣١٦/١٢
٥ أخرجهما البخاري في التغير ،باب :الرؤيا من الصالحة ١٢/ ٣١٥
٦ أخرجه البخاري في كتاب التغير ،باب الرؤيا من الله ٣١١/١٢ .
٧ سورة الانبياء الآيه ١٠٣

نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هـــــو الفوز العظيم " [١] وقوله " لا تبديل لكلمات الله " أي هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير ، بل هو مقرر ثابت لا محالة) [٢] وجاء في صحيح البخاري "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله علية وسلم يقول : لم يبق بعد النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة "[٣] وكانت الرؤيا الصالحة من المبشرات لأنها من الله تعالى ، وهي أيضا جزء من أجزاء النبوة ، وقد ورد في هذا وذلك أحاديث صحيحة منها " عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " [٤] وفي رواية " عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزاء من النبوة ""وعن أبي سعيد ألخدرى أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأي أحدكم رؤيا فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأي غير ذلك مما يكره ، فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها فإنها لاتضره "[٥]

---

١ سورة الحديد الايه ١٢
٢ تفسير القران العظيم ٤٢٢/٢، ٢٣
٣ أخرجة البخاري في التعبير ، باب المبشرات ٣١٦/١٢
٤ اخرجه البجاري في التعبير ، باب الرؤيا الصالحة ٣١٥/١٢
٥ اخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب : الرؤيا من الله ٣١١/١٢

آداب الرؤيا الصالحة :

وإذا كانت الرؤيا الصالحة للمؤمن ، وهي من الله تعالى ،كما أنها من المبشرات ، فإن رأي رؤيا صالحة فله معها جملة من الآداب التى ذكرها ابن حجر ، ألخصها فيما يلي :

أ- أن يحمد الله تبارك وتعالى على تلك الرؤيا فهي نعمة بل من أجل النعم إذ هي بشارة له بحسن الخاتمة عند الله تعالى .

ب)-أن يستبشر بها خيرا ، ويجتهد في طاعة الله تعالى فإنه ماضي على الطريق المستقيم

ج)-أن يتحدث بها لحبيب ،فإنها نعمة والله تعالى يقول "وأما بنعمة ربك فحدث " [١] أما إذا رأي المؤمن رؤيا غير صالحة أو مكروهه فللمسلم معها جملة من الآداب أيضا ذكرها ابن حجر ملخصها ما يلي :

أ- أن يتعوذ بالله تعالى من شرها

ب- أن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثا

ج- أن لا يذكرها لأحد .

ء- أن يتحول عن جنبه .

هـ- أن ينهضن فيصلى ركعتين

و- أن يقرأ آية الكرسي .

وقد ذكر ابن حجر لكل ذلك آثارا تدلل على كل واحدة منها [٢] هذه الرؤيا الصالحة إحدى مبشرات المؤمن بحسن الخاتمة

---

١ سورة الضحى الاية

٢ انظر :فتح الباري ،ابن حجر ١٢/ ٣١٢ .

٣ رواه أبو داود والحاكم :

٤ انظر : فتح الباري ، ابن حجر ٣١٢/١٢

مبشرات بحسن الخاتمة :

وقد ذكر السادة العلماء جملة من الدلائل المبشرات بحسن الخاتمة **أذكر منها :**

- من كان آخر كلامه كلمة التوحيد ، وهي لا إله إلا الله ،وقد جاء في ذلك حديث شريف " فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " [١]
- من مات شهيدا في سبيل الله فالشهيد هو الآخر مبشر بحسن الخاتمة يقول الله تبارك وتعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين " [٢] ولكن القتل أو الموت في سبيل الله تعالى في الأمة المرحومة ،أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس مقصورا على جهاد أعداء الإسلام ومجابهتهم والتصدي لهم ، وصدهم عن أرض الإسلام ،كلا بل إن الإسلام وسع تلك الدائرة ،دائرة الشهادة في سبيل الله تعالى ،وجعلها تتعدى هذه الفئة ،وتنتقل إلى فئات متعددة ،لتحظي هي الأخرى بحسن الخاتمة ،ورحمة ربي وسعتهم وزيادة .نذكر منها:

---

[١] رواه ابو داوود والحاكم
[٢] سورة آل عمران الايات ١٦٩ : ١٧١

- " قال صلى الله علية وسلم : من قتل في سبيل الله فهو شهيد ،ومن مات في سبيل الله فهو شهيد " [١]
- من مات وهو يدافع عن الكليات الخمس ،المعروفة في الإسلام وهي : الدين ، والنفس ، والمال ، والعرض ، والعقل " فعن سيعد بن زيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من مات دون ماله فهو شهيد ،ومن قتل دون أهله فهو شهيد ،ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد [٢]
- من مات بمرض الطاعون فقد " روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :الطاعون شهادة لكل مسلم "[٣]
- من مات بمرض السل . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " السل شهادة "
- من مات بداء البطن: فقد " روىَ أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات في البطن فهو شهيد "

ويقاس على ما سبق جميع الأمراض المزمنة والتي يموت بها صاحبها وهذا القياس منى وأجو أن يكون صوابا

---

١ رواه مسلم وأحمد
٢ رواه أبو داوود والترمذي
٣ أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد باب : الشهادة سبع سوي القتل ٦/٣٤

- موت المرأة وهي تلد مولودها : أو تموت وهو في بطنها أو حتى وهي نفساء : فقد قال صلى الله علية وسلم : والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة ،يجرها ولدها بسرره إلى الجنة " [١]
- ثم جاءت أحاديث آخري تعدد نوعيات وتضيف فئات أخرى من الشهداء وهم الذين يكتب لهم حسن الخاتمة ، وهي من المبشرات بها فقد " روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : الشهداء خمسة : المطعون ، والمبطون ، والغرق ، وصاحب الهـــدم ، والشهيد في سبيل الله " [٢]
- وحديث آخر يضيف جديدا " فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء سبع سوى القتل في سبيل الله : المطعون شهيد ، والغرق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، والحرق شهيد ،والذين يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة [٣] " وقوله " ذات الجنب [٤] معناه كما قال ابن حجر (هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع ،وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من ريح غليظة تحتقن بين الصافقات والعضل التي في الصدر والأضلاع فتحدث وجعا ...قالوا :ويحدث بسببه خمسة أعراض :الحمي والسعال والنخس وضيق النفس والنبض

---

١ أحمد وجمعا وفيم الجيم وسكون الميم وقد تفتح الجيم وتكسر فتح ٣٣/٦
٢ مسلم والترمذي
٣ أبو داود والنسائي والحاكم وأحمد
٤ بفتح الجيم وسكون النون

المنشاري ، ويقال لذات الجنب أيضا وجع الخاصرة وهي من الأمراض المخوفة لأنها تحدث بين القلب والكبد وهي من سيء الأسقام) [١] وهكذا اتسع نطاق الشهداء في أمة الإسلام وفي البخاري باب (الشهادة سبع سوى القتل) [٢] وفيه أيضا (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :الشهداء خمسة :المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله "[٣]

- من مات غريبا : أي مات في بلد غير موطنه أو غير مولده فقد مات شهيدا وقد جاء ذلك في أحاديث أذكر منها "عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال :مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ياليته مات بغير مولده أي مات غريبا – قالوا : لم ذاك يا رسول الله : قال : إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس بين مولده إلى منقطع أثره في الجنة [٤] " " وفي حديث آخر "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :موت غربة شهادة " وفي حديث ثالث " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قلنا يا رسول الله من قتل في سبيل الله ، قال : إن شهداء أمتي إذا لقليل ،من قتل في سبيل الله فهو شيد والمتردى – أي الساقط من

---

١ فتح الباري ١٠ /١٤٠ .
٢ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٢/٦
٣ أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ،باب :الشهادة سبع سوى القتل ٣٤/٦
٤ النسائي وابن ماجه وابن صبابة

مكان مرتفع –شهيد ، والنفساء شهيد ، والغرق شهيد،والسل شهيد ، والحرق شهيد ،والغريب شهيد " إلى غير ذلك من شهداء الأمة المرحومة أمة خاتم الأنبياء والمرسلين ولنذكر بعض ما جاء في الفتح لنعرف أن شهداء هذه الأمة أكثر مما سبق قال ابن حجر (الشهادة لا تنحصر في القتل ،بل لها أسباب أخر ، وتلك الأسباب اختلفت الأحاديث في عددها ، ففي بعضها خمسة ،وفي بعضها سبعه ... والعدد الوارد ليس على معني التحديد ...والذي يظهر أنه صلى الله علية وسلم أعلم بالأقل ثم أعلم بالزيادة على ذلك وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة ،فإن مجموع ما قدمته مما اشتملت عليه الأحاديث التي ذكرتها أربع عشرة خصلة ...وفي حديث مرفوع "من وقصته فرسه ،أو بعيره أولدغته هامة ،أو مات على فراشه على أي حتف شاء الله تعالى فهو شهيد ...وللطبراني من حديث ابن عباس مرفوعا "المرء يموت على فراشه في سبيل الله شهيد ،وقال ذلك أيضا في المبطون واللديغ والغريق والشريق والذي يفترسه السبع والخار عن دابته ... وفي حديث أم حرام في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد ... ومن يتردى من رؤس الجبال ،وتأكله السباع ،ويغرق في البحار لشهيد عند الله تعالى .ووردت أحاديث أخرى في أمور أخرى لم أعرج عليها لضعفها)[1]

[1] فتح الباري ،(ابن حجر ٣٣/٦ ،٣٤ (بتصرف)وهذا يكتب حديث ما معنا ه (يجد ثوب المجاهد فيقول يارب ما جاهدت سبيل فيقال النية إنما الأعمال بالثياب

لماذا أجر الشهيد لهؤلاء:

إن الله تبارك وتعالى من فيض عطائه ورحمته جعل لمن مات بإحدى هذه الميتات أجر شهيد ،لكن لماذا ؟ قال ابن التين : (لأن هذه الميتات كلها ميتات فيها شدة ،فتفضل الله تعالى على أمة محمد صلى الله علية وسلم بأن جعلها تمحيصا لذنونهم ،وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء)[١]

لماذا سمي الشهيد شهيدا :

ذكر السادة العلماء عدة أسباب في تسمية الشهيد شهيدا ، وإن كان كل واحد منهم ذهب لتعليل ذلك مذهبا ، إلا أنها جميعا تصب في دلالة وإمارة على حسن الخاتمة فقد قال (النضر بن شميل – سمي الشهيد شهيدا– لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة ،وقال ابن الأنباري :لأنه الله وملائكته يشهدون له بالجنة ، وقيل : لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة ، وقيل : لأنه يشهد له بالأمان من النار ،وقيل : لأن عليه شاهدا بكونه شهيدا ،وقيل :لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة ،وقيل :لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل ، وقيل :لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة ، وقيل : لأن الأنبياء تشهد له بحسن الإتباع له ، وقيل : لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه ، وقيل : لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره ، وقيل : لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة ، وقيل لأنه مشهود له بالأمان من النار ، وقيل لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا . و بعض

---

[١] - المرجع السابق ٣٤/٦ .

هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره ، وبعضها قد ينازع فيه)[١]

أجر الشهيد :

وإذا كان هؤلاء شهداء -كما سبق -وينالون مراتب من قاتل الكفار مقبلا غير مدبر وبنية صادقة ، وإن تفاوتت المراتب والدرجات بين هؤلاء وهؤلاء فإنه لا بأس هنا بذكر طرف بسيط لما أعده الله تعالى للشهداء .سواء من القرأن الكريم أومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا في رحاب الذكر الحكيم :

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تظهر ثواب الشهداء ، منها

- قوله عز وجل " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم "[٢]
- قوله جل ذكره " يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار

---

١ فتح الباري ابن حجر ٣٣/٦

٢ سورة التوبه الأيه ١١١

ومساكين طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين "[1]

- وقوله عز من قائل " يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون "[2]
- آيات سورة آل عمران[3] ولقد سبق ذكرها ...والآيات في فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى كثيرة كما ذكرنا .

ثانيا في رحاب السنة المطهرة :

جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفاضت في ذكر فضل الشهادة نذكر منها :

- "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد قال : لا أجده ، قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقول ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ، قال ومن يستطيع ذلك ، قال أبو هريرة -راوي الحديث إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات "[4]
- "وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في

---

[1] سورة الصف الايات ١٠ : ١٣
[2] سورة البقره الايتان ١٥٣ ، ١٥٤
[3] الايات ١٦٩ /١٧١
[4] اخرجه البخاري فى كتاب الجهاد ،باب فضل الجهاد ٣/٦ ،ومعنى ليستن أي يمرح بنشاط

سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أويرجعه سالما مع أجر وغنيمة "[1]

- " وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل مرة أخرى قال وسمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ،ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ،ولنصيفها –أي خمارها – على رأسها خير من الدنيا وما فيها "[2] قال المهلب (إنما أورد حديث أنس هذا ليبين المعنى الذي من أجله يتمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى في سبيل الله لكونه يرى من الكرامة بالشهادة فوق ما في نفسه ، إذ كل واحدة يعطاها من الحور العين لو اطلعت على الدنيا لإضاءة كلها ... وروى ابن ماجه عن أبي هريرة قال :ذكر الشهيد عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ::لاتجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجاته من الحور العين وفي يد كل واحدة منها حلة خير من الدنيا وما فيها)[3] وفي حديث :عن أنس بن مالك رضي الله

---

[1] أخرجه البخاري في الجهاد ،باب :أفضل الناس ٦/٥

[2] أخرجه البخاري في الجهاد ،باب الغدوة والروحة في سبيل الله ٦/ ١٣

[3] فتح الباري :ابن حجر ٦/١٦

عنه عن النبي صلى الله علية وسلم قال :ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شي إلا الشهيد ،يتمني أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة "[1] وأختم هذا الجملة من الأحاديث الشريفة بهذا الحديث "عن المقدام بن معد يكرب قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للشهيد عند الله سبع خصال:يغفر له في أول دفعه ، ويرى مقعده من الجنة ،ويجار من عذاب القبر ، و يأمن الفزع الأكبر،ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوته منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج أثنيتن وسبعين زوجة من الحور ، ويشفع في سبعين من أقاربه "[2] .

هذه درجات الشهداء عند ربهم ، ولا شك أنها تقدر بقدر الإخلاص وصدق النية ، ومعلوم أن العلماء قسموا الشهداء إلي نوعين شهداء الدنيا وشهداء الآخرة ، وكما تتفاوت الدرجات بين شهداء الآخرة ، وشهداء الدنيا ، فإن شهداء الدنيا تتفاوت درجاتهم فيما بينهم كذلك نظرا للصبر والرضا والنية والصدق والإخلاص ..الخ مثلهم في ذلك مثل شهداء الآخرة والله تعالي أعلم .

همسة :

تعالوا معي أيها القراء الأعزاء واضحكوا سخرية من هذا الجهل الفاضح ، وهذه الإنتكاسة المفزعة في فكر هؤلاء الذين أرادوا تلوث

---

[1] -أخرجه البخاري في الجهاد ،باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا ٢٥/٦

[2] - رواه الترمذي في كتاب :فضائل الجهاد ،باب :ثواب الشهيد ٤/ ١٨٧ ،وقال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح غريب دار التراث العربي والحديث ذكر سبع خصال ،وإن كانت الرواية قالت ست خصال ،فأثبت السبع وقد قال بذلك ابن حجر والله أعلم

البيئة الإسلامية ، وإطلاق المواد الكيماوية السامة القاتلة ، وقلب الحقائق أو التشويش عليها ، وطمس معالمها ، فقالوا ضمن ما قالوا : شهيد الملاعب ، وشهيد الغناء والمراقص ، وشهيدة أو شهيد أو شهداء المسرح .. الخ . أليس هؤلاء ومن علي شاكلتهم يرغبون بل يحبون ويستمرؤون تلويث هذا البستان الذي يعيش في ظلاله الوارفة المسلمون الموحدون المخلصون والذين يتصدون لمثل هذه الحماقات الدنيئة والمغرضة..

*** من مات والله يحبه:**

كذلك يبشر بحسن الخاتمة من مات وكان الله تبارك وتعالى يحبه وهو في الدنيا ،وعلامة ذلك ما جاء في حديث صحيح : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال :إذا أحب الله العبد نادي جبريل : إن الله يجب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض "[1] قال ابن حجر (وقع في حديث ثوبان فيقول جبريل :رحمة الله على فلان وتقوله حملة العرش ... وفي حديث ثوبان : أهل السماوات السبع ...ثم يهبط إلى الأرض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا "[2].. وزاد مسلم فيه " وإذا أبغض الله عبدا دعا جبريل " فساقه على منوال الحب ، وقال في آخرة " ثم يوضع له البغضاء في الأرض "وقوله "يوضع له القبول ،هو من قوله

---

[1] أخرجه البخاري في :كتاب :الأدب ،باب المقة من الله تعالى ٣٧٩/١٠ ،والمقة :بكسر الميم وتخفيف القاف ومعناها :المحبة

[2] سورة مريم الاية ٩٦

تعالى " فتقبلها ربها بقبول حسن "[1] أي رضيها -وهو كذلك الذكر الجميل – وهو المحبة والرضا... والقبول أن يقبل العفو والعافية .... ويقال فلان عليه قبول إذا قبلته النفس . والمراد بالقبول في الحديث : قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه ... وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد ، وإنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ، والحب على ثلاثة أقسام : إلهي ، وروحاني ، وطبيعي .. فحب الله العبد حب إلهي ، وحب جبريل والملائكة لـــه حب روحاني ، وحب العباد له حب طبيعي)[2] وجاء كذلك (المراد بالقبول في حديث الباب : قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه ، والرضاء عنه ، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله ،ويؤيده حديث " أنتم شهداء الله في الأرض "[3] والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له ، ومحبة الملائكة ، استغفارهم له وارادتهم خير الدارين له ، وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعا لله ، محبا له ، ومحبة العباد له : اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن ... ومن استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله أكد عليه من حق أبيه وأمة وولده وزوجة -وماله وجميع الناس ،لأن الهدى من الضلال ، والخلاص من النار ، إنما كان بالله على لسان رسوله ومـــن علامات محبته : نصر دينه بالقول والفعل ، والذب عن شريعته ،والتخلق بأخلاق)[4] وجاء في الأحياء

---

[1] - سورة ال عمران آية
[2] - فتح الباري ،ابن حجر ١٠ /٣٨٠
[3] - أخرجه البخاري في الجنائز ،باب :
[4] - فتح الباري ،ابن حجر ١٠ ٣٨٠ (بتصرف)

(وأما الفعل الدال على كون العبد محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره ، فيكون هو المشير علية ،والمدبر لأمره ، والمزين لأخلاقه ، والمستعمل لجوارحه ،والمسدد لظاهره وباطنه ، والجاعل همومه هما واحدا ، والمبغض للدنيا في قلبه ، والموحس له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة ، في خلواته ، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته) [١]

*** أسباب هذه المحبة ، وهذا القبول :**

إن محبة الله تبارك وتعالى لعبده لها أسبابها الحقيقة وليس محبة مجاملة فالله عز وجل لا يظلم أحدا ،" لا و يظلم ربك أحدا " ودواعي المحبة السابقة سواء من الله عز وجل أومن أهل السماوات السبع وحملة العرش ، وأهل الأرض ، أسبابها كثيرة منها :

الأية السابقة وهي قوله تبارك وتعالى " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحة سيجعل لهم الرحمن ودا " [٢] فهنا الإيمان ، والأعمال الصالحة وهذا هو الأساس المتين

- **حب لقاء الله تبارك وتعالى :**

فقد جاء في الصحيح "عن عبارة بن الصامت عن النبي صلى الله علية وسلم قال :من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ،ون كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا نكره الموت قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله ،

---

[١] -إحياء علوم الدين ،الغزالي ٢٨٢/٤ ،عالم الكتب

[٢] - اخرجه البخاري في كتاب :الرقاق ،باب :من أحب لقاء الله ٣٠٠/١١

وأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاءه الله وكره الله لقاءه "[١]

- **التقرب إلى الله تعالى :**

من الأمور التي ببشر بحسن الخاتمة كذلك التقرب إلى الله تعالى بما افترضه على المؤمن : وكذا المواظبه على النوافل ، وبهذا يصير وليا من أولياء الله تعالى ويبشر بحسن الخاتمة " فعن أبى هريرة رضي الله عنه قـــال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلى مما أفترضه عليه ومازال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحببته فكنت سمعه الذي يسمع ،وبصره الذي يبصر به ،ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لا عطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ،يكره الموت وأنا اكره مساءته "[٢] ولابن حجر كلام غال ونفيس للغاية في شرحه هذا الحديث .[٣]

- **حسن الظن بالله تبارك وتعالى**

ومن دواعي حسن الخاتمة أن يحسن الظن بالله عز وجل ففي البخاري "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ،وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعا ،

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله ١١/٣٠٠

[٢]- أخرجه البخاري في كتاب :الرقاق ..باب :التواضع ١١ ٢٨٧ .

[٣] -انظر :فتح الباري ١١ ٢٨٧ وما بعدها .

وإن تقرب إليّ ذراعا تقرب إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " [1] وفي الفتح (وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف ...وهو كما قال أهل التحقيق هو مقيد بالمحتضر ، ويؤيد ذلك حديث " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله .... وقال القرطبي : معني ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء ،وظن القبول عند التوبة ، وظن المغفرة عند الاستغفار ، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها ، تمسكا بصادق وعده ، قال ويؤيده قوله في الحديث الآخر" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة " قال : ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له ، لأنه وعد بذلك ،وهو لايخلف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ،ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور " فليظن بي عبدي ما شاء " قال وأما ظن المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك محض الجهل والغرة) [2] هذا وهنا عدة أقسام أو أوصناف من الناس ورد ذكرهم في القرآن المجيد بأن الله تبارك وتعالى يحبهم ،وكان ذلك بشارة لهم بحسن الخاتمة من هؤلاء مثلا قوله تبارك وتعالى " بلى من أوفى بعهده واتقي فإن الله يحب المتقين "[3] وقوله جل شأنه " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "[4] وقوله

---

[1] -أجرحه البخاري في كتاب :التوحيد ،باب ما يذكر في الذات والنعوت ١٣/ ٣٢٩ .
[2] -فتح الباري ،أبن حجر ١٣ /٣٢٩ .
[3] -سورة آل عمران اية ٧٦ .
[4] -سورة آل عمران اية ١٣٤

سبحانه " والله يحب الصابرين "[١] وقوله جل ثناؤه " إن الله يحب المتوكلين "[٢] وقوله جلت قدرته " وإن حكمت فأحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين "[٣] وقوله ن سبحانه "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين "[٤] "وقوله تبارك وتعالى " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص "[٥] فأصحاب هذه الصفات يحبهم الله تبارك وتعالى ،وهم أحباب الله ومن أحبه الله كان ذلك بشارة له بحسن الخاتمة ، وللإيجاز أذكر قسمين فقط من هؤلاء : المتوكلين والمتقين :

- التوكل علي الله عز وجل : ومن دواعي حب الله تبارك وتعالي ، والتي تبشر بحسن الخاتمة ماجاء في هذا الحديث " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : عرضت عليَّ الأمم فأجد النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشر ، والنبي يمر الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم ، لا حساب عليم ، ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ قال كانوا : لا يكتون ،ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني ، منهم قال :

---

[١] سورة آل عمران آية ١٤٦
[٢] سورة آل عمران آية ١٥٩
[٣] سورة المائده الايه ٤٢
[٤] سورة البقره ى لايه ٢٢٢
[٥] سورة الصف الايه ٤

اللهم اجعله منهم ، ثم قام إليه رجل آخر قال : أدع الله أن يجعلني منهم ، قال : سبقك بها عكاشة "[1] وقد نقل ابن حجر قول الكرماني في معني الصفات الأربع فقال بعد أن شرحها هو (وسلك الكرماني في الصفات المذكورة مسلك التأويل فقال :قوله لا يكتوون معناه إلا عند الضرورة ،مع اعتقاد أن الشفاء من الله تعالى ، لا من مجرد الكي ، وقوله : ولا يسترقون معناه : بالرقي التي ليست في القرآن والحديث الصحيح كرقي الجاهلية ، ومالا يؤمن أن يكون فيه شرك ،وقوله ولا يتطيرون أي لا يتشاءمون بشيء ، فكأن المراد :أنهم الذين يتركون أعمال الجاهلية في عقائدهم قال : فإن قيل إن المتصف بهذا أكثر من العد المذكور ، فما وجه الحصر فيه ؟ وأجاب بإحتمال أن يكون المراد به التكثير لا خصوص لعدد ... وأخرج الترمذي وحسنه والطبراني ، وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامه رفعه "وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا لا حساب عليهم ،ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي " وفي صحيح بن حبان والطبراني بسند جيد " ثم يشفع كل ألف في سبعين الفا ثم يحثي ربي ثرث حثيات بكفيه ، وفيه فكبر عمر "[2]

معني التوكل : من أسماء الله تبارك وتعالى الوكيل وهو : المقيم الكفيل بأرزاق العباد ، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه ، وفي

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ،باب :يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ٣٤٢/١١

[2] فتح الباري ١١/ ٣٤٥

القرآن الكريم " ألا تتخذوا مـــــــن دوني وكيلا "[١] وقيل الوكيل : الحافظ ، والوكيل في صفة الله تعالى الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق ، والوكيل : الكفيل ، وقولهم "حسبنا الله ونعم الوكيل " [٢] أي : كافينا الله ونعم الكافي ... أما المتوكل على الله فهو الذي يعلم أن الله كافل رزقه ، وأمره ، فيركن إليه وحده ،ولا يتوكل على غيره ،وكذا معناه :الاستسلام إليه سبحانه ، والتوكل إظهار العجز والاعتماد علي الله تعالى [٣] وفي الفتح أصل التوكل الوكول ، يقال وكلت أمري إلى فلان أي الجأته إليه واعتمدت فيه عليه ، ووكل فلانٌ فلانا : استكفاه أمره ثقة بكفايته ، والمرادَ بالتوكل : اعتقاد مادلت عليه هذه الآية " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها " وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين ، لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل ، وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال : لا أعمل شيئا لأن يأتيني رزقي ، فقال : هذا رجل جهل العلم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وقال : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزقه الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ، فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق ، قال : وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم) [٤] وعند الغزالي (التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده) [٥] وتحدث عن التوكل بكلام نفيس في

---

[١] سورة الإسراء اية ٢
[٢] سورة آل عمران اية ١٧٣.
[٣] انظر لسان العرب بن منظور ٤٩٠٩/٦
[٤] فتح الباري ٢٥٦/١١
[٥] أحياء علوم الدين ،الغزالي ص٢٢٣

الإحياء فليرجع إليه من أراد الزيادة [١] والمقصود هنا هو أن المتوكل على الله تعالى والمصدق بالقرآن والسنة ، والسالك سبل الصالحين ، إن هذا يحبه الله تبارك وتعالى ، وإذا أحبه الله تعالى فتلك بشارة بحسن الخاتمة ، ولقد ورد في الذكر الحكيم في حب الله تعالى للمتوكلين قوله تبارك وتعالى "فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين [٢] قال القرطبي (التوكل : إظهار العجز والاعتماد على الغير ، هذا في اللغة ، واختلف العلماء في حقيقة التوكل فقالت فرقة : الرضا بالضمان ، وقطع الطمع من المخلوقين وقال قوم : التوكل : ترك الأسباب والركون إلى مسبب الأسباب ، فإذا شغله السبب عن المسبب زال عنه اسم التوكل ، قال سهل : من قال التوكل يكون بترك السبب فقد طعن في سنة رسول الله صلى الله علية وسلم ... وأن التوكل على الله هو الثقة بالله تعالى ، والإيقان بأن قضاءه ماض ، واتباع سنة نبيه صلى الله علية وسلم في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب وتحرز من عدو ، وإعداد الأسلحة ، واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة ، وإلى هذا ذهب محققو الصوفية ، لكنه لا يستحقه اسم التوكل عندهم مع الطمأنينة إلى تلك الأسباب ، والإلتفات إليها بالقلوب ... ثم المتوكلون على حالين :

الأول : حال المتمكن في التوكل ، فلا يلتفت إلى شيء من تلك الأسباب بقلبه ، ولا يتعاطاه إلا بحكم الأمر .

الثاني : حال غير المتمكن وهو الذي يقع إليه الإلتفات إلى تلك الأسباب أحيانا غير أنه يدفعها عن نفسه بالطرق العلمية ، والبراهين القطعية ، والأذواق الحالية ، فلا يزال كذلك إلى أن يرقيه الله بجوده إلى مقام المتوكلين المتمكنين ويلحقه بدرجات العارفين) [٣] والمقصود هنا أن الله عز وجل يحب المتوكلين ، وكفى بهذا درجة ، وإذا أحب الله تعالى عبده كان ذلك بشارة بحسن الخاتمة

---

[١] انظر :المرجع السابق من ص ٢١٠ وما بعدها

[٢] سورة آل عمران اية ١٥٩

[٣] الجامع لأحكام القران القرطبي ٢/ ١٥٣٥، ٣٦

- **تقوى الله عز وجل :**

إن الذي يتقي الله تبارك وتعالى ،فإن الله عز وجل يحبه ،وإذا أحبه الله تبارك وتعالى كان ذلك من بشائر حسن الخاتمة مثله ومثل المتوكل على الله تعالى ،ولقد ورد في الذكر الحكيم آيات كثيرة تقرر حب الله تعالى للمتقين منها :قوله تبارك وتعالى :بلى من أوفي بعهده واتقي فإن الله يحب المتقين "[١] وقوله جل جلاله " فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين "[٢] وقوله تباركت أسماؤه " فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين "[٣] وإذا كان كل موضع من مواضع الآيات السابقة جاء في سياق وأسلوب خاص ، ومناسبة خاصة ، إلا أن كل ذلك في النهاية يصب في وعاء التقوى ،ولقد وردت مادة وقي في القرآن المجيد عشرات بل مئات المرات ،[٤] وذلك في أساليب متنوعة وفي موضوعان شتي ، وفي مناسبات مختلفة ، وفي سور وآيات عديدة ،بل ربما لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من ذكر التقوى سواء مفردة أم جمعا . أمرا أم نهيا والمقصد الذي نهـدف إليه هنا ليس الإستقصاء للمادة ، وتوابعها ،وموضوعاتها ، ومناسباتها ، وأسلوبها ، بل المقصد بيان أن المتقي يحبه الله تعالى ، فما معناها أجمالا ،

معني التقوى لغة : لو ذهبت إلى كتب اللغة وهى تتعرض لمادة وقى نجدها تقول : دون التعرض لأصل المادة – وقاه الله وقيا ووقاية وواقية : صانه ... ووقيت الشيء أقيه :إذا صننته ،وسترته عن الأذى وتوقى واتقى بمعني ... والوقاء كل ما وقيت به شيئا.. ووقاه الله وقاية : حفظه .. والاسم التقوى ،والتقي المتقى [٥] وفي المعجم الوجيز : وقي الشيء يقيه وقيا ووقاية : صانه عن الأذى وحماه ،ووقاه توقية : حفظه وصانه .. واتقى

---

[١] سورة ال عمران اية ٧٦
[٢] سورة التوبة اية ٤
[٣] سورة التوبة اية ٧
[٤] انظر :المعجم الفهرس لألفاظ القران الكريم ،محمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٥٨ وما بعدها ماده وقي
[٥] انظر :لسان العرب ابن منظور ٩٠٢/٦؛

الله : خاف عقابه فتجنب ما يكره ... وتقوى الله : خشيته ، وامتثال أو أمره واجتناب نواهيه [١] فالكلمة تدور في معناها اللغوي حول الحفظ والحماية والصيانة وكذا الخشية والخوف من الجليل

والتقوى في الشريعة : جاء معني التقوى عند علماء الشريعة بمعاني متنوعة ، لكن كلها متقاربه من حيث العوامل المساعدة على تقوى الله تعالى ، وكذلك من حيث ثمار التقوى لله عز وجل ، وعند تفسير قوله تعالى في أول سورة البقرة " ألم . ذلك الكتاب لأريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون " [٢] وهذا بيان كاف وشاف للتقوى وللمتقين الذين صفتهم الأوصاف المذكورة ، وكذا جزاؤهم عند ربهم . ومع هذه الأوصاف للمتقين والتعريف بهم فهناك آية أضافت أوصافا أخرى تضاف إلى ما جاء في أول سورة البقرة ، قال عز وجل " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكر والله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " [٣]

خصال المتقين : ولنعدد هنا الوسائل التي تؤهل الإنسان إلى درجة المتقين الذين يحبهم الله تعالى وذلك من خلال الموضعين السابقين ، وذلك جملة دون تفصيل :

فهم يؤمنـــــون بالغيب ..... يقيمــــــــــــون الصلاة

ينفقون مما رزقهــم الله ..... يؤمنون بما أنزل على الرسول

---

[١] انظر المعجم الوجيز ص٦٧٩

[٢] سورة البقرة الايات ١/٥

[٣] سورة ال عمران الايات ١٣٣/ ١٣٥

وبما أنزل على من قبله من الرسل .... يوقنون بالآخرة ... يسارعون إلى الأسباب الموصله إلى مغفرة الله ومرضاته ، ينفقون في السراء والضراء ، كاظمين لغيظهم ، عافين عن الناس ، ذاكرين لله تعالى مستغفرين لربهم ، لا يصرون على الذنب ولو كان صغيرا هذا جملة من خصال المتقين ، وهي في الوقت ذاته وسائل لنيل درجتهم لمن يريد الوصول لحسن الخاتمة . ومع هذا للنتتبع خطى السادة المفسرين ولتأخذ منهم عالمين جليلين في بيانهما معنى المتقين قال ابن كثير (عن ابن عباس قال : هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بالله ويعملون بطاعته . وقال كذلك هم :الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفــون من الهدى ، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به .... وقال الكلبي :هم الذين يجتنبون كبائر الإثم .... وقال قتادة : هم الذين نعتهم الله بقوله " الذين يؤمنـــــون بالغيب ويقيمون الصلاة " الآية والتي بعدها .. وقد روى الترمذي وابن ماجه ..عن عطية السعدي قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس " وعن ميمون أبي حمزة قال : كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ فقال له شقيق ابن سلمه : يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ ابن جبل قال : بلى سمعته يقول : يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد فينادى مناد أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله عنهم ولا يستتر ، قلت من المتقون : قال : قوم اتقوا الشرك ، عبادة الأوثان ، واخلصوا لله العبادة ... وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقا ذا شوك ؟ قـــال : بلى ، قـــال فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت قال : فذلك التقوى ...)[1] وقال الإمام علي بن أبي طالب (التقوى : هي الخوف مــن الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل)[2].

---

[1] تفسير القرآن العظيم ٣٩:١ ، ٤٠، وانظر :فتح القدير ،الشوكاني ١ :٣١، ٣٢

[2] - الدرة البهية في الأخلاق الدينية ،الشيخ :علي محفوظ ص :٣ المطبعة الحسينية ١٣٣١

قطوف من ثمار التقوى : إن ثمار التقوى لذيذه ما بعدها لذة وما أطيبها من ثمار ، وأجملها وأنفعها إن قطفت من ثمارها واحدة ، لفزت ورب الكعبة ، فما بالك لو قطفت منها عدة ثمار ،إن فوائدها لا تنتهي ويكفي في هذه العجالة أنك قرأت في أول سورة البقرة قوله تعالى " هدى للمتقين " وقد فسر الهدى بالنور ، فأنت تعيش في الدنيا والآخرة ومابينهما في الحياة البرزخية في نور الله تعالى كذلك قوله " أولئك على هدى من ربهم " وكذلك قوله " ألئك هم المفلحون "

[١] أيضا من الأزاهير اليانعة في التقوى قوله تعالى " وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا " [٢] كذلك قوله تبارك وتعالى " إن الله مع المتقين " [٣] فالمعية الربانية والإلهية تصاحب التقي كذلك أيضا تفريج الكروب وإزاحة الغمة ، " ومن يتق الله يجعل له مخرجا " [٤] كذلك تهيئة أسباب الرزق وتوسعته من حيث لا يدرى "ويرزقه من حيث لا يحتسب " [٥]

كذلك ييسر الله تعالى كل حاجياته ، ويسهل له كل أموره ويحقق له مرغوبة " ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا "[٦] كذلك من ثمار التقوى تكفير الذنوب ،وتعظيم الأجور " ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا " [٧] كذلك قوله عز وجل " يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " [٨] فإصلاح الأعمال ، وغفران الذنوب من ثمار التقوى .كذلك قوله تبارك وتعالى : " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " [٩] فأكرم الناس عند الله عز وجل أتقاهم لله تعالى وكفى بذلك منزله أن يكون التقى مكرما عند مولاه والكريم : من صفات الله وأسمائه ،

---

[١] سورة النساء الاية ٩
[٢] سورة الطلاق اية ٢
[٣] سورة الطلاق اية ٣
[٤] سورة الطلاق اية ٢
[٥] سورة الطلاق الاية ٣
[٦] سورة الطلاق ٤
[٧] سورة الطلاق ايه ٥
[٨] سورة الاحزاب الايتان ٧٠ ، ٧١
[٩] سورة الحجرات الايه ١٣

وهو : الكثير الخير ،الجواد المعطى الذي لا ينفد عطاؤه ، وهو الكريم المطلق . الكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل ، والكريم : اسم جامع لكل ما يحمـــد والمكرم : الرجـل الكريم على كل أحد وقوله [١] تعالى " إنه لقرآن كريم " [٢] أي قرآن يحمد ما فيه الهدى والبيان والعلم والحكمة . وقوله تبارك وتعالى " وقل لهما قولا كريما " أي سهلا لينا وقوله تبارك وتعالى " واعتدن لها رزقا كريما" [٣] أي كثيرا وقوله عز وجل " وندخلكم مد خلا كريما " [٤] قالوا : حسنا وهو الجنة وقوله " هذا الذي كرمت على " أي : فضلت وقوله جل شأنه "رب العرش الكريم " أي العظيم [٥] فمادة الكرم يدور معناها في أشرف الصفات ، وأجل الخلال ، فمن منا لا يحب أن يكون مكرما عند مولاه الكريم . وكل هذا للتقي كذلك قوله عــز وجل : إنْ أولياؤه إلا المتقون"[٦] كذلك قوله سبحانه " ألا إن أولياء الله لا خـــوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون " [٧] كذلك قوله تعالى في شأن المتقين في الآخرة " تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا " [٨] كذلك قوله جل ثناؤه " هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب . متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب . وعنهم قاصرات الطرف أتراب . هذا ما توعدون ليوم الحساب " [٩] . هذه بعض ثمار التقوى . ولو أخذت في ذكر ما للمتقين سواء في دنياهم أم في أخراهم لخرجت عما نحن بصدده وهو حب الله تعالي للمتقين وبشاراتهم بحسن الخاتمة . وبخاصة لو أضيف إلي الآيات القرآنية الأحاديث النبوية التي أوردت المتقين . وهناك أنواع أخري يحبها الله تبارك وتعالي غير ما سبق وكلها ولا ريب مبشرة بحسن الخاتمة سواء في القرآن الكريم أم في الأحاديث الشريفة ،

---

[١] انظر :لسان العرب ابن منظور ٥ :٣٨٦١
[٢] سورة الأنفال اية ٣٤ .
[٣] سورة يونس أيتان ٦٢ "٦٣"
[٤] سورة مريم الاية ٦٣
[٥] انظر : لسان الرب بن منظور ٣٨٦١/٥
[٦] سورة الانفال يه ٣٤
[٧] سورة يونس الايتان ٦٢ ، ٦٣
[٨] سورة مريم الايه ٦٣
[٩] سورة ص الايات ٣٩ : ٥٣

ولا بأس بذكر طرف من الأحاديث وهي تعدد الذين يحبهم الله تبارك وتعالي أو تذكر الأعمال التي يحبها الله تعالي وبالتالي فإنه سبحانه يحب صاحب هذه الأعمال

مع بعض أحباب الله في رحاب السنة

هيا بنا نعيش في ظلال السنة ولنتعرف من خلالها عن بعض الناس أو بعض الأعمال التي يعملها الناس فيحبهم الله تبارك وتعالي أو أن يتصف إنسان ما بصفة ما يحبها الله تعالي ، أو حب انسان ما يحبه الله عز وج لأو قسم من الناس يحبهم الله جل شأنه وعلي رأس كل هؤلاء وهؤلاء حب الله جل شأنه وحب رسول الله صلي الله عليه وسلم

نماذج من المحبوبين :

" عن عبد الله قال : سألت النبي صلي الله عليه وسلم أي العمل أحب إلي الله ؟ قال : الصلاة علي وقتها قال : ثم أي قال : بر الوالدين ، قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قال : حدثني بهن ، ولو استزدته لزاد ني " [١]

جاء في الفتح " هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال : إن الجـواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين ، بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه ، أو بما لهم فيه رغبة ، أو بما هو لائق بهم . أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات ، بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه فى غيره ، فقد كان الجهاد فى ابتداء الإسلام أفضل الأعمال لأنة الوسيلة إلى القيام بها،والتمكن من أدائها . وقد تضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة ،ومع ذلك ففى وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل. أو أن افضل ليست على بابها ، بل المـراد بها الفضل المطلق ، أو المراد :من أفضل الأعمال ... قال ابن بزيزة : الذى يقتضية النظر : تقديم الجهاد على جميع أعمال البدن ،لأن فيه بذل النفس ،الا أن الصـبر على المحافظـة على الصلوات وأدائها فى أوقاتها ،والمحافظة على بر الوالدين لازم متكرر دائم ، لا يصبر على مراقبة أمر

[١] اخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها ٢/٧ ،٨

الله فيه إلا الصد يقون) ٢. وعلى هذا فاذا ورد حديث يذكر فيه أحب الأعمال أو أحب الناس غير ما فى هذا الحديث أو غيره فلاتعارض ، وسيأتى هذا كثيرا ، فوجب التنبيه. والمقصود هنا أن هذا الحديث ذكر ثلاثة أعمال يحبها الله تبارك وتعالى ، ومن ثم يحب القائم بها وهى :

أداء الصلوات فى أوقاتها ،

بر الوالدين و الإحسان إليهما أحياءا أو أمواتا ،

الجهاد في سبيل الله عز وجل .

حب الله عز وجل ، وحب الرسول (صلي الله عليه وسلم) :

. "فعن أنس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه الالله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " [1] هذا الحديث أصل من أصول الدين ، ومعني حلاوة الإيمان اسلتذاذ الطاعات ، وتحمل المشاق في الدين ، وإيثار ذلك علي أعراض الدنيا .. إنما عبر بالحلاوة لأن الله تعالي شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالي : " مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة[2] " فالكلمة هي الإخلاص ، والشجرة أصل الإيمان وأغصانها اتباع الأمر ، واجتناب النهي ، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير ، وثمارها : عمل الطاعات ، وحلاوة الثمر جني الثمار ، وغايته كماله : تناهي نضج الثمرة ، وبه تظهر حلاوتها ... قال البيضاوي : والمراد بالحب هنا : الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رحجانه ، وإن كان علي خلاف هوي النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ، ويميل إليه بمقتضي عقله فيهوي تناوله . فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح عاجل ، أو خلاص آجل ، والعقل يقتضي رحجان جانب ذلك ، تمرن علي الإنتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا ، إذ الإلتذاذ العقلي ' إدراك

---

[1] اخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ١/٥١

[2] سورة ابراهيم اية ٢٤

ما ، وكماً وفيراً من حيثُ هو كذلك . وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة ، لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة ، قال : وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان لأن المراد : إذا تأمل أن المنعم هو الله تعالي ، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه ، وان ما عداه وسايط ، وأن الرسول هو الذي يبين له مراد ربه ، اقتضي ذلك أن يتوجه بكليته نحوه ، فلا يحب إلا ما يحب ، ولا يحب من يحب إلا من أجله ، وأن يتيقن أن جملة ما وعد ، وأوعد حق يقينا ، ويخيل إليه الموعود كالواقع ، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة ، وأن العود إلي الكفر القاء في النار .. وشاهد الحديث من القرآن قوله تبارك وتعالي " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " [1] ومحبة الله تعالي علي قسمين : فرض وندب ،

بالفرض المحبة التي تبعث علي امتثال أوامره والإنتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره ، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصير في محبة الله حيث قدم هوي نفسه ، والتقصير تارة يكون مع الإسترسال في المباحات والإستكثار منها فيورث الغفلة المقضية للتوسع في الرجاء فيقدم علي المعصية ، أو تستمر الغفلة فيقع ، وهذا الثاني يسرع إلي الإقلاع مع الندم ، وإلي الثاني يشير حديث لا يزني الزاني وهو مؤمن .

القسم الثاني : الندب وهو أن يواظب علي النوافل ، ويتجنب الوقوع في الشبهات والمتصف عموما بذلك نادر . وكذلك محبة الرسول صلي الله عليه وسلم علي القسمين السابقين اللذين هما لله تعالي ، ويزاد أن لا يتلقي شيئا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته ، ولا يسلك إلا طريقته ، ويرضي بما شرعه ، حتي لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه ، ويتخلق بأخلاقه في الجود

---

[1] سرورة التوبه الاية ٢٤

والإيثار والحلم والتواضع وغيرها ، فمن جاهد نفسه علي ذلك وجد حلاوة الإيمان وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك)[١]

لمقصد هنا دون الدخول في تربية النفس وترويضها علي حب الله تعالي وحب شرعه والتلذذ في تنفيذه ، والفرحة والسرور في تطبيقه ، وكذا تربيتها وتدريبها وترويضها علي حب الرسول محمد صلي الله علية وسلم وترجمة هذا الحب إلي واقع محسوس ، إن من يكون هذا حاله مع ربه ، ومع رسوله يكتب له حسن الخاتمة وتقدم له المبشرات قبل مفارقة دنياه من قبل مولاه.

ب فريد وهو حب الرسول محمد :

أن يحب الإنسان نفسه هنا أمر لا جدال فيه ، وأن يحب ولده فهذا أمر فطري لا مناقشة في ذلك ، وأن يحب والديه فهذا هو الآخر أمر جبل الإنسان عليه ، وهما أعز الناس عند العقلاء ، وأن يحب الإنسان ماله فهذا هو أيضا حب جبل كل إنسان عليه ، لكن فوق حب النفس والوالدين ، والولد والمال ، بل وكل الناس ، وكل المخلوقات هو حب الرسول محمد صلي الله علية وسلم ، لكن هذا الحب القلبي لا يكفي إلا إذا ترجم هذا الحب الفريد من نوعه إلي سلوك واقعي ، وتطبيق عملي كما سنه الحبيب سيدنا محمد صلي الله علية وسلم ، وكان قدوته في كل أحواله وأقواله وسلوكه ، بل والذب عن شريعته ، ونصرة سنته ، والعمل علي نشرها والإعلان عنها ، والدعوة إليها ، ومجابهة بل محاربة مخالفيها وقمعهم ، لأن كل خير أصبناه ، وكل نفع حصلنا عليه ، وكل نور نعيش فيه ، وكل معروف عملناه ، وكل مكروه ابتعدنا عنه ، وكل خبيث اجتنبناه ، وكل نصر حققناه ، وكل فوز في الدنيا والآخرة نجنيه – إن شاء الله تعالي – فهو بسبب الحبيب المصطفي صلي الله علية وسلم ، ولولاه ، ما كان هذا الإيمان فمن هنا وجب حب الرسول صلي الله عليه وسلم حبا يرقي درجات ويتسامي مراتب ومراتب فوق حب النفس والوالدين والولد والمال والناس أجمعين . ولقد ورد في كل هذه المعاني أحاديث صحيحة منها :

---

[١] انظر فتح الباري بن حجر ٥١/١ ، ٥٢ بتقديم وتأخير

- " عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلي الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " [1]

" وعن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم علية وسلم : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي .فقال النبي صلى الله علية وسلم : الآن ياعمر "[2] هذا وقد أحب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ،الرسول صلى الله علية وسلم حبا تساموا به على حب أنفسهم وأولادهم وآبائهم وأموالهم والناس أجمعين بل والدنيا بما فيها ، وهذا الحب ثابت في كل تصرفا تهم وحركاتهم وسلوكهم وأقوالهم ولولا خوف الإطالة لذكرت من ذلك طرفا مما سجلته كتب السنة والسير والتراجم والتواريخ ....

والمقصد هنا أن من يحب الله تعالى ، ويحب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، بما سبق بيانه فإن الله تبارك وتعالى يحبه ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وإذا نال العبد حب الله تعالي وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ساق الله عز وجل إليه الخير ، و اعطاه عطاءاً كثيرا لا حدود له ، من هذا يسوق إليه المبشرات بحسن الخاتمة وهناك حديث يجمع بينك وبين الله ورسوله ، " فعن أنس بن مالك أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ،متى الساعة يا رسول الله ؟قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت " [3] وستأتي الإشارة إلى المحبين مع المحبوبين قريبا

حب أصحاب الرسول محمد صلي الله عليه وسلم :

وأيضا ممن يحبهم الله تبارك وتعالى ، وبالتالي يحبهم أهل السماوات السبع ، ويوضع له القبول في الأرض ، ويعطي الخير الكثير ، ومنه المبشرات

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : حب الرسول ٤٩/١

[2] -أخرجه البخاري في :الأيمان والنذور ،باب :كيف كانت عين النبي صلى الله عليه وسلم ١١ ص ٤٤٥

[3] -أخرجه البخاري في الأدب ،باب :علامة الجب في الله ١٠ / ٤٦١

بحسن الخاتمة . الذين يحبون أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم سواء المهاجرين منهم والأنصار . وقد زكى الله عز وجل هذا الجيل ، وأثني عليهم أعظم الثناء وجعلهم أفضل الأمة على وجه الإطلاق لما بذلوه من أجل نصره الإسلام ، ورسول الإسلام ، ونشر الإسلام . والقرآن الكريم فيه مجموعة كثيرة من الآيات الكريمات التي أفاضت في بذلهم وعطائهم وجهادهم وثوابهم الجزيل ولا بأس بذكر موضع أو موضعين أو أكثر من الآيات التي تذكرهم بكل خير ، سواء أكانوا جمعا أم فرادى . وكم نزل في شأنهم من آيات الذكر الحكيم . يقول الله تبارك وتعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم " ١ ويقول جل شأنه "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أوليك هم الصادقون . والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأؤلئك هم المفلحون . والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم " 2 ومعني الخصاصة : الفاقة ، والمعني العام لها :أنهم يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك ٣ وفي سبب نزول هذه الآيات أو الآية جاء في البخاري " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :أتي رجل إلى رسول الله صلى الله فقال :يا رسول الله أصابني الجهد –الجوع – فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نسائه فلـم يجد عندهن شيئا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله ، فقام رجل من الأنصار – أبو طلحة – فقال : أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله ، فقال لأمرأته – أم سليم :

---

١ سورة التوبة الاية ١٠٠
٢ سورة الحشر الايات ٨: ١٠
٣ -انظر :صحيح البخاري ٥١٢/٨ ،وتفسير القران العظيم ،ابن كثير ٣٣٨/٤

ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا ، قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية ، قال : فإذا أراد الصبية العشا ء فنوميهم ، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة ، فأنزل الله عز وجل " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " الآية [١] هذا وقد قال ابن حجر في الفتح (هذا هو الأصح في سبب نزول هذه الآية ومع هذا فقد ذكر عن ابن عمر رضي الله عنها قال : أُهدى لرجل رأس شاة ، فقال : إن أخي – فلان وعياله أحوج منا إلى هذا فبعث إليه فلم يزل يبعث به واحد إلي الآخر حتي رجعت إلي الأول بعد سبعة – فنزلت ، وقال ابن حجر : ويحتمل أن تكـــون نزلت بسبب ذلك كله [٢] وقال ابن كثير : لقد حدث هذا كثيرا من أصحاب رسول الله صلى الله علية وسلم ، من ذلك : الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء ، فرده الآخر إلى الثالث ، فما وصل الماء إلى الثالث حتى ما توا عن أخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم [3] وقال ابن كثير أيضا (وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله تعالى بقوله تعالى " ويطعمـــون الطعام على حبه " الآية [٤] وقوله تعالى " وأتى المال على حبه " الآية [٥] فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة ، وهؤلاء أثروا على أنفسهم مع خصاصتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا أيضا تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله)[٦] هذا جانب واحد من جوانب عظمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **أما السنة** :

---

[١] -أخرجه البخاري في التفسير ،باب ويؤثرون على أنفسهم ٨/١٢/٥

[٢] -انظر :فتح الباري ابن حجر ٧/٩٥ ،وانظر أسباب النزول للسيوطي ص ٢٦٩ ،مكتبة نصير ،بدون

[٣] -تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير ٤/٣٣٨ .

[٤] -سورة الإنسان الاية ٨

[٥] -سورة البقرة الاية ١٧٧

[٦] -تفسير القرآن العظيم ٤/٣٣٨

فقد جاء فيها جملة من الأحاديث الشريفة وهي تزكي وتثني كذلك على هؤلاء الصحبة الكرام البررة الذين ليس لهم في دنيا الأصحاب نظير أو شبيه ، وهاك بعضها : " عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي على الناس زمان فيغزو فئام – جماعة – من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون لهم : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : نعم فيفتح لهم ثم يأتي علي الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فيقولون نعم ، فيفتح لهم "[١] وعن عمران بن حصـــين رضي الله عنهما يقـــول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونم قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ، ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمون ، وينذرن ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن "[٢] ففضائل الصحابة بل والتابعين وتابعي التابعين بيّن ظاهر في الآيات وكذلك الأحاديث السابقة .. " وعن أبي بردة عن أبيه قال : صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء قال : فجلسنا فخرج علينا ، فقال : مازلتم هاهنا ؟ قلنا نعم يا رسول الله ، صلينا معك المغرب ، ثم قلنا : نجلس حتى نصلى معك العشاء ، قال : أحسنتم أو أصبتم ، قال فرفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال : النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما توعدون ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتي أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتي أمتي ما يوعدون[٣] هذا والأحاديث في شأن عظمة ومنزلة أصحاب رسول الله صلى الله

---

[١] -أخرجها البخاري في حديث الأنبياء ،باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله علية وسلم ٢/٧ ،٣ .وأخرجهما مسلم في فضائل الصحابة ١٦ /٨٣ ،٨٤ ،

[٢] أخرجها البخاري في حديث الأنبياء ، باب : فضائل أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ٢،٣/٧ . وأخرجها مسلم في فضائل الصحابة ٨٣/١٦ ،٨٤

[٣] -أخرجه مسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم ١٦ /٨٢

عليه وسلم من الكثيره بحيث يصعب ذكرها هنا ، وبخاصة لو أضيف إليها ما جاء عن آحادهم وفضله من أحاديث خاصة بكل واحد منهم . والمقصود هنا –في هذه العجالة أن نبين بكل يقين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الفضل والمنزلة والتكريم ما لا نستطيع الوفاء به نحوهم ، وليس أقل من حبهم ،وحب من يحبهم ، والإقتداء بهم ، والترضي عليهم ، وهذا الحب من مستلزمات الإيمان ، وإحدى ركائزه الأساسية . ومما يذكر ويستشهد به هنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار "[1] وإذا كان هذا في أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن باب أولى في المهاجرين ، ولا يقتضى هذا قصر الحب على ألأنصار .. وخلاصة ما أهدف إليه هنا : أن حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، هذا الحب من المبشرات بحسن الخاتمة ... ولكن في المقابل ، يجب بغض من يبغضهم أو يسبهم أو يلعنهم ، أو يقلل من شأنهم ومكانتهم أو يطعن فيهم ... إن كل من يفعل هذا يجب بغضه ، والوقوف في وجهه وقمعه ، لأن هؤلاء الصفوة هم الذين شاهدوا النور ، سواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلـــم أم نزول القرآن الكريم ، وهم الذين حملوا إلى الدنيا كلها هذا النور ونشروه ، وبسببهم انتشلت الإنسانية من براثن الجهل والتخلف والفقر والظلمات إلى نور العلم والإيمان والمعارف والخير والنماء والعمران ... من هنا كان حبهم واجب ... هذا وقد سبق أن أشرت إلى بعض الفروق الجوهرية بين أصحاب موسي عليه الصلاة والسلام وأصحاب محمد عليه الصلأة والسلام ...

حب القرآن الكريم :

إن القرآن المجيد كلام رب العالمين ، والقرآن هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو فوق هذا يتعبد بتلاوته ، وفيه من العجائب مالا تنتهي عند عد أو حصر ، وفيه المناهج التربوية والإقتصادية والأسرية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والإعلامية والمعاملات مالا ينتهي

---

[1] -أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ،باب علاقة الإيمان حب الأنصار ٥٣/١

أو يصل إليها عقول البشر مجتمعين ،ونتائج هذه المناهج مضمونه النتائج والفوائد مائة في المائة ، ولو أخذ بها الناس كل الناس وبخاصة المسلمين لسادوا الدنيا وعمرت البلاد ، وساد الحب والإخاء ، وعم السلام ، وفضلا عن هذا فإن في قراءة القرآن العظيم ما يرقق القلوب ويصلح البال ، ويطمئن النفوس ، ويقر العيون ، ويفرج الكروب . ويهدى الحيارى ، وينير الطريق ، وهو شفاء لما في الصدور ، ومع كل هذا فإن في قراءته ، وتدبر معانيه ، والعمل بما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، ومن هنا وجب حب كلام الله عز وجل ومن أحبه وشغف ، به ، وهام بحبه فإنه يبشر بحسن الخاتمة ففي الحديث :" من أحب القرآن فليبشر " ١ ولكل آية ولكل سورة من القرآن الكريم مذاق خاص ، وحب خاص والقرآن المجيد ككل له محبة خاصة لا تتساوى بأي حب سواه " عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك ، للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :سلوه لأي شيء يصنع ذلك ، فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : اخبروه أن الله يحبه " ٢

المبتلى يحبه الله :

إن الإنسان المسلم ما وجد في هذه الدنيا إلا للابتلاء وذلك تمحيصا له ، وتصفية الأدران والشوائب التي تعلق به ، ليذهب إلى الآخرة وهو نقي صاف فيلقي من الثواب ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وما كان ذلك إلا لأمرين أساسيين

- الأول قوله عز وجل " الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " ٣

---

[١] رواه الدارمي في سننه في كتاب :فضائل القران ،باب فضل قرأ القران ٥٢٥ ،رقم الحديث ٣٣٢٤ ،تحقيقة الأستاذين :فواز احمد زمرلي ،خالد السبع العلمي ط دار الريان أولى ١٤٠٧ /١٩٨٧ .

[٢] اخرجه البخاري في التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلي توحيد الله تبارك وتعالي ٣٠٤/١٣

[٣] سورة الملك الاية

● الأمر الثاني : وهو المقصود بعينه هنا هو حب الله تبارك وتعالى لمن يبتليهم ، وإذا أحبهم الله تعالى فإنهم يبشرون بحسن الخاتمة

وقد جاء في ذلك حديث فقد قال صلى الله عليه وسلم " إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط "[١] وعلى ذلك فشرط البشارة بحب الله تعالى ، وبالتالي حسن الخاتمة هو الرضا بما قدر الإله جل شأنه ، وقد مضى هذا كثيرا في الإحتساب فليرجع إليه من أراد

وابتداءً من هنا سوف أذكر الأحاديث التي ورد فيها حب الله جل شأنه دون ما تعليق ، وأترك للقارئ الكرام حرية البحث والتدبر فيها ، وكان ذلك كذلك مني خوفا من الإطالة .

أبو العيال :

وعن موسى بن عبيد أخبرني القاسم بن مهران عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال "[٢]

مصابيح الهدى :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة "[٣]

هل ترغب في حب الناس لك ؟

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك "[٤]

---

[١] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي في كتاب الزهد ،باب :ما جاء في الصبر على البلاء ١٠٣/٧ ،ورقم الحديث ٢٣٩٦ ،ط دار الفكر ،بيروت ،١٤١٥ /١٩٩٥م

[٢] رواه ابن ماجة في سننه في كتاب :الزهد ،باب :فضل الفقراء ١٣٨٠/٢ ،والحديث رقم ٤١٢١ ،تحقيقه محمد فؤاد عبد الباقي ،ط الريان ،وهو ضعيف .

[٣] رواه ابن ماجه في سننه في كتاب :الفتن ،باب :من ترجى له السلامة من الفتن ١٣٢١/٢ ،والحديث رقم ٣٩٨٩ ،وفي اسناده ابن لهيعة وهو ضعيف .

[٤] المرجع السابق كتاب الزهد ،باب :الزهد في الدنيا ١٣٧٣/٢ ،٧٤٠ ،ورقم الحديث ٤١٠٢ .

اختبر نفسك في حبها للرسول صلى الله عليه وسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أشد أمتي إليَّ حبا ناس يكونون بعدى ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله "[١]

أحب الأعمال إلى الله تعالى وأبغضها :

قال رسول الله صلى الله علية وسلم "أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله " [٢]

كن حييا يحبك الله تعالى :

قال رسول الله صلى الله علية وسلم : إن الله حييٌ ستير يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر "[٣]

اشتغل بأمور نفسك ،ولا تشغل نفسك بغيرك :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي "[٤] وجاء في الشرح : المراد بالغني غني النفس هذا هو الغني المحبوب ... وأما الخفي فمعناه : الخامل المنقطع إلى العبادة ، والاشتغال بأمور نفسه [٥]

متي تغار؟:

"عن جابر بن عتيك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :من الغيرة ما يحب الله ،ومنها ما يبغض الله فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة "[٦]

---

[١] -أخرجه مسلم بشرح النودي في كتاب :الجنة وصفة نعيمها ١٨/١٧٠

[٢] -رواه أبو داود في كتاب السنة ،باب :مجانبة أهل الأهواء وبغضهم ٤/١٩٨ ورقم الحديث ٤٥٩٩ ،ط دار الريان

[٣] -رواه أبو داور في كتاب الحمام ،باب النهي عن التعري ٤/٣٨ ، ورقم الحديث ٤٠١٢ .

[٤] -أخرجه مسلم في كتاب :الزهد ١٨/ ١٠٠ المطبعة المصرية ومكتبتها ،بدون

[٥] *شرح النووي الموضع السابق نفسه .

[٦] -حديث واحد ،رواه أبو داور في كتاب :الجهاد باب الخيلاء في الحرب ٣/٥١ ،ورقم الحديث ٢٦٥٩ ط دار الحديث ١٤٠٨/ ١٩٨٨

هل تحب الفخر ؟ :

وبقية الحديث السابق "وإن من الخيلاء ما يبغضه الله ، ومنها ما يحبه الله . فأما الخيلاء التي يحب الله ، فاختيال الرجل نفسه عند القتال – قتال أعداء الإسلام – واختياله عند الصدقة – إذا كان ذلك ليقتدي به غيره – وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي " [1]

ما شأنك في البيع والشراء والإقتضاء؟

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الله عبدا سمحا إن باع ، سمحا إن ابتاع – اشترى – سمحا إن قضى ، سمحا إن اقتضى "

كن رفيقا بخلق الله يحبك الله :

"عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم – الموت – قالت عائشة : ففهمتها ، فقلت : وعليكم السام واللعنة قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله ، فقلت : يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قلت وعليكم "[2]

المحبون مع المحبوبين :

" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :المرء مع من أحب " [3] ومعني ولم يلحق بهم : أي لا يستطيع أن يعمل بمثل عملهم الصالح ، لكنه يحبهم " [4] وعلى هذا فحب الله جل شأنه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وحب آل بيته الكرام ، وحب أصحابه الأجلاء ، وحب التابعين والصالحين والمتقين والصابرين

---

[1] رواه مالك في الموطأ في كتاب البيوع ،باب :جامع البيوع ص ٤٢٥ تحقيقه محمد فؤاد عبد الباقي ط كتاب الشعب بدون
[2] أخرجه البخاري في كتاب الأدب ،باب الرفعة في الأمر كلة ١٠/٣٦٨/ ٦٩
[3] أخرجه البخاري في الأدب ،باب :علامة الحب في الله ١٠ ٤٦٠
[4] انظر :فتح الباري ١٠ /٤٦١

والمتوكلين والمحسنين والمتطهرين والشهداء ، والدعاة العاملين إلى آخر أصحاب الأعمال التي أمر الشرع بها وندبنا إليها.. ولقد صدق الشاعر حين قال :

أحب الصالحين ولست منهم ... عسى أن أنال بهم شفاعة .

والعكس هو الصحيح . فحب الكفرة والنصارى واليهود والبوذيين وعباد الأصنام والأبقار ، وكذا الفسقة والفجرة والعصاة ، وكل الخارجين عن شرع الله تعالي ، فهؤلاء مع هؤلاء !!! وأولئك مع أولئك ... أجعل حبك كله لله " فعن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي [1] ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " [2] ومن ذلك أيضا "عن أبي إدريس الخولاني أنه قال : دخلت مسجد دمشق ، فإذا فتي شاب براق الثنايا ، وإذا الناس معه ، إذا اختلفوا في شيء أسندوا إليه ، وصدروا عن قوله ، فسالت عنه ، فقيل : هذا معاذ بن جبل ، فلما كان الغد ، هجَّرت ، فوجدته قد سبقني بالتهجير – أي التبكير إلى كل صلاة – ووجدته يصلى . قال : فانتظرته حتى قضي صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إني لأحبك لله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله فقال : آلله ، فأخذ بحبوه ردائي فجبذني إليه ، وقال : أبشر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ والمتزاورين في ، والمتباذلين في " [3]

كن من المحبوبين ولا تكن من المبغوضين:

" عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة يحبهم الله عز وجل وثلاثة يبغضهم الله عز وجل . أما الذين يحبهم الله عز وجل : فرجل أتي قوما فسألهم بالله عز وجل ، ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه ، فتخلفه رجل

---

[1] ومعني لجلالي :أي لأجل تعظيم حقي وطاعتي ،وليس لغرض دنيوي

[2] رواه مالك في الموطأ ،كتاب :الشعر ،باب :ما جاء في المتحابين في الله ص ٥٩٠ /٥٩١، ٥٩٢ قال المحقق في الهامش (الله :همزة الإستفهام وقعت بدلا عن حرف القسم ..ومعني المتباذلين قال الباجي الذين يبذلون أنفسهم في مرضاته من الإنفاق على جهاد عدوه وغير ذلك مما أمروا به وقال غيره :أي يبذل كل واحد منهم لصاحبه نفسه وماله في مهماته ،جميع حالاته في الله ،كما فعل الصديق ببذل نفسه ليلة الغار ،وبذل ماله انظر ص ٥٩٢

[3] أنظر الهامش السابق الصفحات نفسها

بأعقابهم فأعطاه سرا ، لا يعلم بعطيته إلا الله عز وجل والذي أعطاه . وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم فما يعدل به نزلوا فوضعوا رؤسهم ، فقام يتملقني ويتلو آياتي . ورجل كان في سرية فلقوا العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح الله له .والذين الذين يبغضهم الله عز وجل : الشيخ الزاني ، والفقير المختال ، والغني الظلوم " [١] وشبيه بهذا ما جاء في هذا الحديث " عن زيد بن ثابت عن أنس رضي الله عنهما قال : مر على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة ، فأثنوا عليها خيرا ، فقال : وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا أو قال غير ذلك ، فقال وجبت . فقال : يا رسول الله ، قلت لهذا وجبت ، ولهذا وجبت ، قال : شهادة القوم ، المؤمنون شهداء الله في الأرض " [٢]

أوتر يحبك الله :

" لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدة من حفظها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر " [٣] وفي فتح الباري رواية أخرى نصها " أوتروا يا أهل القرآن " [٤] وفيه كذلك " من أحصاها " بدلا من " من حفظها [٥] ويوجد كلام نفيس في الفتح لكل من معاني هذا الروايات ولكن نقتصر على الوتر الذي يحبه الله عز وجل وهو المقصود لنا هنا .ونجول ونصول قليلا مع ابن حجر حول ذلك (الوتر : الفرد ، معناه في حق الله : أنه الواحد الذي لا نظير له في ذاته ، ولا إنقسام . وقوله "يحب الوتر " قال عياض : معناه أن الوتر في العدد فضلا على الشفع في أسمائه لكونه دال على الوحداينة وتعقب بأنه لو كان المراد به الدلاله علي الوحدانية لما تعددت الأسماء ، بل المراد أن الله يحب الوتر من كل شيء ، وإن تعدد ما فيه الوتر ، وقيل هو منصرف إلى من يعبد الله بالوحداينة والتفرد علي سبيل الإخلاص ، وقيل لأنه أمر بالوتر فى كثير من

---

[١] رواه النسائي في كتاب الزكاة ،باب :رد السائل ٨٤/٣ دار القلم ومعني يتملقني :الزيادة في التودد والدعاء والتفرع بأحسن ما يكون

[٢] أخرجه البخاري في كتاب :الشهادات باب :تعديل كم يجوز ٥ /١٩٢

[٣] أخرجه عن أبي هريرة في كتاب :الدعوات ،باب لله مائة اسم غير واحد ١٧٨/١١ وما بعدها

[٤] فتح الباري ابن حجر ١٨٨/١١

[٥] انظر المرجع السابق ١١/ ١٨٨

الأعمال والطاعات كما في الصلوات الخمس ، ووتر الليل ، وأعداد الطهارة ، وتكفين الميت ، وفي كثير من المخلوقات كالسماوات والأرض .... وقال القرطبي : الظاهر أن الوتر هنا للجنس إذ لا معهود جري ذكره حتي يحمل عليه ، فيكون معناه : أنه وتر يحب كل وتر شرعه . ومعني محبته له : أنه أمر به ، وأثاب عليه ، ويصلح ذلك العموم ما خلقه وترا من مخلوقاته ، أو معني محبته له : انه خصصه بذلك لحكمة يعلمها ، ويحتمل أن يريد بذلك وترا بعينه وإن لم يجر له ذكر . ثم اختلف فقيل المراد صلاة الوتر ، وقيل صلاة الجمعة ، وقيل يوم الجمعة ، وقيل يوم عرفة ، وقيل آدم ، وقيل غير ذلك ، قال : والأشبه ما تقدم من حمله علي العموم ، قال : ويظهر لي وجه آخر وهو : أن الوتر يراد به التوحيد ، فيكون المعني : أن الله في ذاته وكماله وافعاله واحد ، ويحب التوحيد ، أي أن يوحد ويعتقد انفرده بالألوهية دون خلقه [1]

أذكر ربك يحبك :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلي الله عليه وسلم : كلمتان حبيبتان إلي الرحمن ، خفيفتان علي اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " [2]

حب لإخوانك ثلاث يحبك الله :

" قال بن عون [3] " ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني : هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها ، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه ، ويدعوا الناس إلا من خير " [4]

أتحب أن يغفر الله لك ذنبك :

أعف عمن ظلمك يحبك الله تعالي ، ويغفر لك ذنوبك كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما اتهمت ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها ، وزوج

---

[1] فتح الباري ١٨٩/١١ ، ١٩٠
[2] اخرجه البخاري في التوحيد ، باب قوله تعالي " ونضع الموازين القسط " ٤٦٣/١٣
[3] هو عبد الله البصري من صغار التابعين ، انظر فتح الباري ٢١١/١٣
[4] اخرجه البخاري في الإعتصام ، باب : الإقتداء بسنن رسول الله صلي الله عليه وسلم ٢١١/١٣

سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، وأم المؤمنين ، وذلك كما هو مشهور في حادث الإفك ، وكان ممن وقع في هذا الحدث الجلل قريب لسيدنا أبي بكر ، وكان رضي الله عنه ينفق عليه ، وهو مسطح بن أثاثة وعندما لاك مع الأفاكين في السيدة عائشة حلف الصديق ألا ينفق عليه بعد ذلك فأنزل الله تعالي " ولا يأتل ألوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " فقال ابو بكر : بلي والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلي مسطح الذي كان يجري عليه [١]

اصدق النية :

اصدق النية ، وأخلص فيها تحظي بخير كثير عند الله تعالي ، حتي علي أعمال لم تقدمها في دنياك ، لكن علم الله عز وجل صدق نيتك ، وإخلاصك ، فكتب لك أجر ما نويته " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : لا تحاسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، فهو يقول : لو أتيت مثل ما أتي هذا لفعلت كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه ، فيقول لو أتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثل ما يعمل " [٢] ويقاس علي هذا النيات علي كل أعمال الخير ، ولقد عمم كل هذا حديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولقد نهج السادة أصحاب الأحاديث وجعلوه في بداية كتبهم لأهمية صدق النية ، وابتغاء وجه الله عز وجل " فعن علقمة بن وقاص الليثي يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي المنبر قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امريء مانوي ، فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلي ما هاجر إليه " [٣] ...

---

١ في حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب : الشهادات ، باب ، تعديل النساء بعضهن بعضا ٢٠٩/٥ ، والاية من سورة النور الايه ٢٢

٢ أخرجه البخاري في التوحيد ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم : رجل اتاه الله القران ..٤٣٠/١٣

٣ اخرجه البخاري في الإيمان ، باب : ما جاء ان الأعمال بالنية والحسبة ١١١/١

هذا ولو ذهبت لاستقصاء الآيات والأحاديث التي أوردت الأعمال التي يحب الله تعالي فاعلها لطال بنا المقام ، وما مضي كاف عما سواه كنماذج فحسب ، ويطول المقام أكثر لو أضيف إلي هذا الموضوع الآيات والأحاديث التي ذكرت مجموعات اخري أ وأنواعا أخري من الناس مثل من رضي الله ورسوله عنهم وكذلك ما جاء من وعد عن ثواب بأنواعه المتنوعة لمن عمل عملا أو قال قولا رغب الإسلام فيه ، كل هؤلاء يبشرون بحسن الخاتمة . ورحمة ربي واسعة ، شملت هؤلاء وغيرهم كثير ، وهذا من فضل الله تعالي علي الأمة المرحومة أمة القرآن أمة سيد الأنام سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم . ونسأل الله عز وجل بفضله وكرمه وعفوه أن يحسن لنا الختام ....

سابعا : أم الصهباء وحسن الخاتمة :

رحم الله نعالي أم الصهباء ، معاذة العدوية ، زوجة أبي الصهباء صلة بن أشيم ، وجزاها الله تعالي خيرا ، فقد فتحت سيرتها الذكية لي هذا الموضوع – حسن الخاتمة – وما كان عندي إحاطة به من قبل ، وكل الذي كان عندي شذرات قليلة ومبعثرة ، لم تنظم في عقد واحد ، عاشت أم الصهباء كل عمرها ، وكل لحظة في حياتها عابدة مجاهدة ، صابرة ، تقية نقية ورعة ، زاهدة ، متعلمة ومعلمه ، داعية من الطراز الفريد ، محتسبة راضية بما قدر الله تعالي لها ، شغوفة بحب مولاها ، الفقيهة ، الموثقة من كل رجال السنة ، المأخوذ بأحاديثها التي روتها عند علماء الحديث ، المجاهدة في كل ضروب الحياة ومناحيها المختلفة ، الوفية لربها ثم لزوجها حتي بعد وفاته .

أما عن حسن خاتمتها فتقول كتب التراجم والسير أنها قالت (والله ما أحب البقاء – في الدنيا – إلا لأقترب إلي ربي عز وجل بالوسائل ، لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة ، فلما احتضرت بكت ثم ضحكت ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : وأما البكاء فإني ذكرت مفارقة الصيام

والصـــــــــلاة والذكر . ١ وأما الضحك : فإني نظرت إلي أبي الصهباء وقد أقبل في صحن الدار ، وعليه حلتان خضروان ، وهو في نفر ما رأيت لهم في الدنيا شبها ، فضحكت إليه ، ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضا . فماتت قبل دخول وقت الصلاة) ٢

وهنا استدل الستار ، وانتهي الأجل ، وقضي الأمر .. ولحقت هذه السيدة بربها راضية مرضية ، بعد أن بشرت من قبل مولاها بحسن الخاتمة ، بعد أن عاشت حياتها بكـــل جزئياتها شغوفة بالتقرب إلي ربها ، وذلك بما فرض الله تعالي عليها ، وبما سنه الرسول الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم من الوسائل الشرعية ، بعيدة كل البعد عن البدع والأهواء .... وكان شغلها الشاغل أن تجعل دنياها معبرا أو مركبا للوصول إلي محبة الله تبارك وتعالي ، ولقاء الأحبة في جنة مولاها .... ثم كان لها شأن مع الله تعالي في تلك اللحظات الأخيرة ، وهي تفارق دنياها ، فكانت تلك المبشرات الربانية في هذا الوقت الصعب والحرج . فكانت مطمئنة القلب ، مستريحة النفس ، هادئة البال ، بما لها عند الله تعالي من فضل ومنزلة وكرامة وحب ....

هذا وقد أرخ المؤرخون لوفاتها ، بأنها رحمها الله تعالي توفيت سنة ثلاث وثمانين من الهجرة ٣ رحم الله أم الصهباء ، ورحم الله أبا الصهباء ، ورحم الله والدهما

---

[١] وقد جاء في هذا المعني حديث شريف ، وهو عبرة لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد ، فيجب علي الإنسان المسلم أن يقدم في كل يوم من أيام عمره خيرا ، ليضاف إلي رصيده المدخر عند مولاه ليثقل الميزان " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رجلان من بلي حي من قضاعة ، أسلما مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستشهد أحدهما ، وأخر الأخر سنة ، قال طلحة بن عبيد الله : فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد ، فتعجب لذلك ، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم ، أو أذكر لرسول الله صلي الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم . أليس قد صام بعده رمضان ، وصلي ستة ألف ركعة ، وكذا وكذا ركعة صلاة سنة " ومن ذلك كذلك حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم : : فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ، أن رجلا قال : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله . قال : وأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله "

الترمذي ، كتاب الزهد باب : ما جاء في طول العمر للمؤمن ٥٦٦/٤ ، ورقم الحديث ٢٣٣٠ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

[١] المنتظم في تاريخ الأمم ، بن الجوزي ٢٥٥/٦ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٥٠٨/٤

[٢] انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٥٠٧٨/٤

وبعد :

فهذه سياحتي في بستان أبي الصهباء وزوجه الطاهرة ، تنقلت فيه من روضة إلي روضة ، ومن حديقة إلي حديقة ، ومن زهرة إلي زهرة أخري استنشقت من هذا البستان رحيقا مسكا ، وتغذيت منه غذاء كنت إليه في أمس الحاجة ، وشربت منه ماءا رقراقا عذبا فراتا أزال ما كان عندي من ظمأ ، وارتويت من نهره الفياض المتدفق ، وعشت فى ظلاله الوارفة ، وكان لي الشرف أن مشيت خطوات في هذا البستان وصحبت أبا الصهباء ، وأخذت عنه ، وتعلمت وتتلمذت علي يديه ، وكان النفع والخير العميم ، وأرجو لكل من يطلع علي هذا البحث أن يقيل العثرة ، ويغفر الذلة ، وأن ينتفع من هذا البحث كما انتفعت ، كما أرجوه أن يدعو لي حيا أو ميتا ، فإن رضا الناس من رضـــا الله تعالي وحب الناس من حبه عز وجل ، وأهمس في اذنك أخي القاريء وأختي القارئة ، بصوت خفي ندي وأقول لكم هيا بنا نرفع أكف الضراعة ، ونسأل المولي عز وجل مخلصين ، بعد الثناء عليه جل شأنه ، والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده : أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يتوفنا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ، وأن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة ، وأن يرزقنا البشارات بحسن الخاتمة ، وأن يقينا عذاب ناره يوم يبعث عباده ، وأن يدخلنا فسيح جناته ، وأن يجمعنا في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، إنه نعم المولي ، ونعم المجيب .... وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي أله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وآخـــر دعــــــوانا أن الحمـــــد لله رب العالمـــــين .؛

الفقير إلي عفو ربه

محمد رمزي أحمد فواز

المراجع

١)	القرآن الكريـــــــــــم
٢)	البداية والنهاية ، بن كثير ، دار الغد العربي ١٤١١ هـ
٣)	بستان العارفين النووي مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية:الكتاب العشرون سنه ١٣٩٠ هـ -١٩٧٠ م
٤)	تاريخ الإسلام الذهبي ، دار الغد العربي ط ١٩٩٦
٥)	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الذهبي دار الغد العربي ، ط أولى ١٩٩٦
٦)	تسلية أهل المصائب ، محمد الحنبلي ، تعليق محمد حسن الجمعي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤٠٧هـ
٧)	تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر
٨)	حلية الأولياء أبو نعيم
٩)	إحياء علوم الدين الإمام الغزالي ، عالم الكتب
١٠)	الأحوال الشخصية للإمام أبو زهرة ، ط ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م
١١)	أدب الدنيا والدين ، الحسن البصري ، ط ١٣٢٩ هـ ، المطابع الأميريه ط السادسة
١٢)	آداب الحياة الزوجية : في الكتاب والسنة : إعداد خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ، الطبعة السادسة
١٣)	أسباب النزول ، السيوطى ، كتاب التحرير ، طبع القاهرة ١٣٨٢ هـ ، والمكتبة التوفيقية
١٤)	أصول الدين \ البغدادي
١٥)	الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة ، عبد السلام البسيوني \ دار الإيمان أولي سنه ١٩٩٣ م
١٦)	الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، نهضة مصر
١٧)	التسلي والاغتباط بثواب من تقدم من الإفراط ، الدمياطي
١٨)	الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبى دار الغد
١٩)	الحكيم الترمذي ونظرتيه في الولاية ، د. عبد الفتاح بركه ، مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧١
٢٠)	الترغيب والترهيب ، البزار ، ط وزارة الأوقاف
٢١)	الزهد ابن المبارك
٢٢)	السنن الكبرى ،البيهقي ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، سنة ١٩٩٤ م
٢٣)	الطبقات الكبرى بن سعد ، المكتبة القيمة بدون
٢٤)	المسيحية د\ أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ط العاشرة

(٢٦	المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزى
(٢٧	الموطأ ، الإمام ملك ط دار الكتب العلمية ط أولي ١٤١١
(٢٨	النبوات ابن تيمية
(٢٩	النظام القانوني للأسرة للشرائع غير الإسلامية د . محمد رفعت الصباحي ط ١٩٨٩م
(٣٠	زاد الميعاد هدي خير العباد ، ابن القيم الجوزي ، ط أولي ١٤٠٧ / ١٩٨٧م دار الريان
(٣١	سنن أبي داوود ، ط دار الحديث ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨
(٣٢	سنن النسائي ، دار القلم ، بدون
(٣٣	سنن بن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط الريان
(٣٤	سير أعلام النبلاء الذهبي
(٣٥	صحيح بن حبان ط ١٩٩٣ ، مؤسسة الرسالة
(٣٦	شرح الزر قاني علي الموطأ ، دار الكتب العلمية ط أولي ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م
(٣٧	شرح العقيدة الوسطية ابن تيمية ،ط الرياض سنه ١٤٠٣ هـ \ ١٩٨٣ م
(٣٨	صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية ، بدون
(٣٩	صفوة الصفوة ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية
(٤٠	عقيدة المسلم ، الشيخ محمد الغزالي ،وهبة
(٤١	علم التوحيد في ضوء العقل والنقل د\ مبارك حسين ، مطبعة الأمانة ١٤٠٣ هـ
(٤٢	فتح الباري ، علي شرح صحيح البخاري ط الثانية ١٤٠٢ هـ ، دار إحياء التراث العربى
(٤٣	فتح القدير الشوكاني
(٤٤	فضل الجلد عند فقد الولد ، السيوطي
(٤٥	فقه السنة ، الشيخ سيد سابق ط الآداب
(٤٦	قصص الأنبياء ، ابن كثير ، دار الأنوار المحمدية بدون
(٤٧	كتاب الأمالي ، ابن الشجري تحقيق د/محمود محمد طناحى مكتبة : الخانجى ط أولي١٤١٣ / ١٩٩٢
(٤٨	كرامات الأولياء ،اللالطاني ،دار طيبة الرياض سنة ١٤١٢ هـ
(٤٩	لسان العرب ، بن منظور ، دار صابر بيروت
(٥٠	مجابو الدعوة ، بن ابي الدنيا / تحقيق مجدي السيد ابراهيم ، مكتبة القرآن بدون
(٥١	مسند الإمام أحمد
(٥٢	مسند الترمذي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار الفكر
(٥٣	مفردات في غرائب القرآن ، الراغب الاصفهاني
(٥٤	منهاج المسلم أبو بكر الجزائري مكتبه دار التراث ٢١ \٢ \سنه ١٣٨٤ هـ

الفهرس

رقم الإيداع
٢٠٩٩٠ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي
I.S.B.N. 977 – 224 – 320 - 2